

قُطُوفٌ مِنْ

أَهْلِ يَرِّ النُّورِ

منتدى إقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بَذِيْعُ الرَّمَانِ

سعيد النورسي

ترجمة

احسان قاسم الصاكي

مختارات من
كليات رسائل النور

قُطُوفٌ مِنْ
أَزَاهِي النُّورِ

بَذِيْعُ الرَّمَّانِ
سَعِيدُ النُّورِ سَيِّ

تَرْجُمة
احسان قاسم الضاحي

١٩٨٣م

الطبعة الاولى

١٤٠٣هـ

مطبعة العاني - بغداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم ،
وبعد : فهذه مقتطفات من أزهير « رسائل النور » لم نتكلف اختيارها ، بل
جاءت كما شاء الله تعالى ، فكانت هذه البحوث الايمانية التي وفقنا المولى
عز وجل على القيام بترجمتها من أصلها التركي ، وقامت مجلة التربية
الاسلامية الغراء التي تصدر ببغداد على نشرها طيلة اربع سنوات خلت .
وقد جمعناها الآن ونق مواضعها ، ولم نزد فيها شيئاً على ماكان الا مادعت
اليه الحاجة من وضع عناوين او تعليقات قليلة في الهوامش لتوضيح فكرة او
الاشارة الى مرجع .

ومؤلف « رسائل النور » الاستاذ النورسي ، ولد في سنة ١٢٩٣هـ
(١٨٧٣م) في قرية (نورس) قرب بحيرة (وان) الواقعة شرقي تركيا .
درس العلوم الاسلامية كلها واتمها ، وتغلب في جميع المناظرات والمناقشات
التي دخلها مع العلماء .

ثم اتجه الى دراسة مختلف العلوم والفنون الحديثة حتى لقب
بـ « بديع الزمان » اذ كان آية في الادكاء والحفظ . . قابل السلطان
عبد الحميد الثاني وخلقه السلطان رشاد وطالبهما بانشاء جامعة اسلامية
في شرق الاناضول على غرار جامعة الازهر تدعى « مدرسة الزهراء » تجمع
بين العلوم الاسلامية والعلوم الحديثة ، الا أن نشوب الحرب العالمية الاولى
حال دون تحقيق رغبته . وفي اثناء الحرب قاد فرق « الانصار » المتطوعين
ضد الروس ، وعلى الرغم من ذلك لم ينس واجبه الاساس وهو « خدمة
القرآن الكريم » اذ ألف تفسيره المسمى « إشارات الاعجاز في مظان الايجاز »
باللغة العربية في ساحات الجهاد . . . وفي احدى المعارك جرح جرحاً بليفاً
فوقع اسيراً بيد الروس وسبق الى معتقلات الاسرى في سيبيريا ، وظل فيها

سنتين واربعة أشهر ، وحكم عليه بالاعدام لموقفه الجريء من القائد العام الروسي الا ان العناية الالهية ادركته في اللحظات الأخيرة ونجا من الاعلام . ثم ادركته هذه العناية ثانية ، نتمكن من الفرار الى المانيا فالتحق باستانبول ، وهناك عين عضواً في « دار الحكمة الاسلامية » التي كانت اعلى مجلس علمي تابع للمشيخة الاسلامية ، وبدأ في التأليف ونشر نحواً من احدى عشر مؤلفاً باللغة العربية تدور جميعها حول الازكان الايمانية . وعندما دخل الانكليز «استانبول» في مارت سنة ١٩٢٠ بعد ان خسرت الدولة العثمانية الحرب ، قام النورسي ضدهم وألب الناس عليهم والتف كتابه « الخطوات الست في » ردّ مكائدهم ، واشترك بقلمه ولسانه في « حرب الاستقلال » لمقاومة المحتلين . وبعدما تغلب الشعب التركي عليهم ونال حريته وتأسس أول برلمان نيابي ، ألقى فيه بياناً رائعاً حثهم فيه على التمسك بمبادئ الاسلام . ولكن ما إن رأى أن الآخذين بزمام الامور اتجهوا الى الغرب اتجاهاً كاملاً واستبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية واحدثوا بدعة الاذان بالتركية وغيرها من الامور المنافية للاسلام حتى استقر رايه على مجافاة السياسة كلياً والانصراف الى التأليف للحفاظ على عقائد الامة ومثلها وقيمها . فاخذ يؤلف منذ سنة ١٩٢٦ مستمداً من فيض القرآن الكريم رسائل تنوف على المئة، والثلاثين رسالة سماها « رسائل النور » طيلة سنوات عمره التي قضاها بين النفي والتشريد والسجنو التي تزيد على ربع قرن . وهذه الرسائل تقع في ستة آلاف صفحة مقسمة على اربعة اقسام رئيسة هي : الكلمات ، والمكتوبات ، واللمعات ، والشعاعات ، فضلاً عن الرسائل الملحقة بها ، وهكذا ظل الاستاذ النورسي دؤوباً في خدمة القرآن الكريم والايمان بالتأليف والتوجيه الى ان وافته المنية في ٢٦ رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ مارت ١٩٦٠م . رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن دينه وامته خير الجزاء .

احسان قاسم الصالحي

ربيع الاول ١٤٠٣هـ

كانون الثاني ١٩٨٣م

من رياض الايمان

- بسم الله الرحمن الرحيم
- جلدوا ايمانكم
- الايمان هو المفتاح
- الحمد لله على نعمة الايمان
- اركان الايمان حقيقة واحدة لا تتجزأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله الرحمن الرحيم » رأس كل خير ، وبدء كل أمر ذي بال ،
فسنذكرها نحن كذلك مقدما .

فيا نفسي اعلمي :

ان هذه الكلمة الطيبة كما انها شعار الاسلام ، فهي كذلك ذكر للسنة
أحوال جميع الموجودات ، أي انها أورادهم بلسان حالهم .

فان كنت راغبة في فهم : كيف ان « بسم الله » قوة هائلة لا تنفد ،
وبركة واسعة لا تنضب ، فاستمعي الى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة :-
انه ينبغي لأي بدوي يتنقل ويسبح في الصحراء أن ينتمي الى قبيلة ،
ويتقلد اسم رئيسها ، كي ينجو من شر الاشقياء ؛ وينجز أشغاله ويتدارك
حاجاته ... والا فسيبقى منفردا وحيدا أمام كثرة من الاعداء ، ولا حدة
لها من الحاجات والضرورات .

وهكذا ... توافق ان قام اثنان بمثل هذه السباحة ، فكان أحدهما
متواضعا والآخر مغرورا .

فالتواضع انتسب الى أحد الرؤوساء ، بينما المغرور رفض ذلك .
فتجولا في هذه الصحراء ، فما كان المنتسب يحل في خيمة الا قوبل بالاحترام
والتوقير ، وان صادفه شقي أو قاطع طريق كان انتسابه مانعا من الاعتداء
عليه . فتجول بكل أمان واطمئنان بفضل ذلك الانتساب .

أما المغرور ، فقد لاقى من المصائب والويلات ما لا يكاد يوصف ،

فكان طيلة فترة السفر في خوف دائم مستمر ، ولم يتمكن من قضاء حوائجه
الا بالتسول . لذا فقد أذل نفسه وأغرقها في الرعب المستديم .

فيا نفسي المغرورة :

اعلمي انك أنت ذلك السائح البدوي ..

وتلك الصحراء هي هذه الدنيا الواسعة .

وان « فرك » و « عجزك » لا حد لهما ، كما ان اعدائك كثيرون جدا ،
وحاجاتك لا نهاية لها ..

فما دام الامر هكذا :

فما عليك الا الانتساب الى المالك الحقيقي ، والحاكم الابدي لهذه
الصحراء حتى تنجي من ذل التسول أمام الكائنات ، والهلع والخوف أمام
الحادثات !!

نعم ... ان كلمة « بسم الله » كنز عظيم لا يفنى أبدا ، اذ انها تربط
عجز الانسان وفقره غير المتناهين « برحمة » واسعة مطلقة ، أوسع من
الكائنات ، و « بقدرة » مطلقة تمسك زمام الامور من الذرات الى السيارات
والمجرات .

فباسم الله يصبح كل من عجزك وفقرك الكامنين في جبلتك شفيعين
مقبولين عند القدير الرحيم ذي الجلال .

نعم ؛ ان مثل الذي يتحرك ويسكن ، ويصبح ويفقد بهذه الكلمة ،
كمثل شخص انخرط في الجندية فيتصرف باسم الدولة ويتكلم باسم
القانون وينجز كل عمل .. يتمالك امام كل شيء . ولا يبقى لديه خوف
من أحد .

— وقد ذكر في البداية : « ان جميع الموجودات تذكر بلسان حالها

اسم الله . أي انها تقول « بسم الله » . أهو كذلك ؟

نعم ؛ لو رأيت ان أحدا يسوق الناس الى صعيد واحد ، ويرغمهم على

انجاز أعمال مختلفة ، فانك لاشك ستحكم : ان هذا الشخص لا يمثل نفسه ، ولا يسوق الآخرين بقوته ، وانما هو جندي موظف في الدولة ، يستند على قوة الدولة والسلطان عند قيامه بمثل تلك الاعمال ...

وهكذا جميع الموجودات ، تنجز وظائفها « باسم الله » حتى ان البذيرات المتناهية في الصغر يحملن فوق رؤوسهن أشجاراً باسقة ضخمة واثقالاً هائلة كالجبال .

وان كل شجرة تذكر اسم الله وتملأ أياديها بأثمار من خزينة الرحمة الالهية وتقدمها بكل تواضع لنا .

وكذا كل بستان يذكر اسم الله فينضج فيه انواع من الاطعمة اللذيذة من مطبخ القدرة الالهية .

وكذا الحيوانات ذات البركة والنفع كالابل والماعز والبقر ... كل منها يقول « بسم الله » فيغلبو ينبوعا دفاقا للبن السائغ ، فيقدم لنا - باسم الرزاق - ألطف مغذ وأنظفه وكأنه أكسير الحياة .

وهكذا جذور وعروق كل نبات وشجر وعشب ، تشق الصخور الصلدة وتثقبها بشعيراتها الحريرية الرقيقة ذاكرة « بسم الله » فتسخر أمامها - باسم الرحمن - كل أمر صعب وكل شيء صلد !!

نعم .. ان انتشار الاغصان في الهواء ، وحملها للثمار ، وتشعب الجنور وتوغلها في الصخور الصماء ، بكل سهولة ويسر ، وخبزها للغذاء النافع في ظلمات الارض ، وكذا تحمل تلك الاوراق الخضراء شدة الحرارة ولغحاتها ومن ثم بقاءها طرية رطبة ..

كل ذلك ، وغيره ... صفقة قوية على أفواه الماديين عبدة الاسباب ، وصرخة مدوية في وجوههم ، من أن تلك الصلابة ، والحرارة الشديدة ، لا تعملان بنفسهما وانما تؤديان وظائفهما تحت امرة أمر واحد أحد حكيم عليم حيث يجعل تلك العروق الدقيقة الحريرية كعصا موسى تشق الصخور

وتمثل أمر « فقلنا اضرب بعصاك الحجر » (١) •

وان تلك الاوراق الطرية الندية كانها أعضاء ابراهيم عليه السلام
تقرأ تجاه لفحة الحرارة آية « يا نار كوني برداً وسلاماً » (٢)

ولما كان كل شيء في الوجود يقول « بسم الله » بلسان حاله ، ويكون
وسيلة لجلب النعم وتقديمها للآخرين •

فما علينا - اذن - الا أن نقول أيضاً باسم الله ، ونعطي باسم الله ،
ونأخذ باسم الله ، ونرد ايدي الغافلين الذين لم يعطوا باسم الله •

والسؤال الذي يرد :

اننا نؤدي ثمن من يكون سبباً لنعمة علينا بالاحترام والتوقير له ،
فيا ترى ماذا يطلب منا - من الايمان - صاحب تلك النعم كلها ومالكها
الحقيقي ؟••

الجواب :

ان ذلك المنعم الحقيقي - تجاه تلك النعم الثمينة - يطلب منا
اثمانها بثلاثة أمور :

الاول : الذكر ••

الثاني الشكر ••

الثالث : الفكر ••

ف « بسم الله » بدءاً هي ذكر •

و « الحمد لله » ختاماً هي شكر •

وما يتوسطهما هو الفكر •• اي التفكير والادراك بان هذه النعم
البديعة انما هي معجزة قدرة الأحد الصمد وهدايا رحمته الواسعة •

(٢) الانبياء / ٦٩ •

(١) البقرة / ٦٠ •

ولكن ٠٠ اليس الذي يقبل أقدام الجندي الخادم الذي يقدم هدية
السلطان قد ارتكب حماقة فظيعة وبلاهة مشينة ؟

فما بال من يثني على (الاسباب) الجالبة للنعم ، ويخصصها بالحب
والود ، دون المنعم الحقيقي ٠٠٠ ألا يكون قد اقترف بلاهة أشد منها ألف
مرة ؟!

فيا نفسي ٠٠٠

ان كنت ترفضين أن تكوني ذلك الاحمق الابله ،

فأعطي باسم الله ٠٠

وخذي باسم الله ٠٠

وابدأي باسم الله ٠٠

واعلمي باسم الله -

والسلام

مجدد إيمانكم

ان الانسان كونه يتجدد (بشخصه) و (بعالمه) الذي يحيط به ، فهو اذن بحاجة الى تجديد ايمانه دائماً ، اذ هو معنى يتكون من عديد من الافراد في فرد واحد ٠٠٠ افراد بعدد سنى عمره ، بل بعدد أيامه ، بل بعدد ساعاته ، فكل فرد منه يعد إنساناً آخر • ذلك لأن الفرد الواحد عندما يجرى عليه الزمن يصبح بحكم نموذج ، يتشكل كل يوم في فرد جديد •

وكما ان الانسان يتعدد ويتجدد بالزمن ، فان العالم الذي يسكنه كذلك سيّار لا يبقى على حالٍ • فهو يمضي ويأتي غيره مكانه ، اي في تنوع دائم اذ يفتح كل يوم باب عالم جديد •
أما الايمان فهو من جهة نور لحياة جميع افراد ذلك الشخص • •
وهو ايضاً ضياء لعوالمه التي يدخلها •
« ولا إله الا الله » مفتاح يفتح ذلك النور • • •

ونحن بحاجة دائمة الى تجديد الايمان طالما ان النفس والهوى والاورام والشيطان تتحكم فينا • ولكي تضيق خناق ايماننا تفتنم غفلتنا وتحتال علينا كثيراً بسد منافذ النور الايماني الى قلوبنا والقاء الشبهات والوساوس • •

ولما كان عالمنا ايضاً لا يخلو من تلك الاعمال والكلمات المنافية لظاهر الشريعة ، - حتى انها عند بعض الائمة لها من الآثار ما للكفر - لذا فنحن نحتاج كل يوم ، بل كل ساعة ، بل كل وقت الى تجديد الايمان •
فحقاً قال سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم :

[جدّوا ايمانكم ، اكثروا من قول لا إله الا الله] حديث صحيح - رواه احمد والحاكم (١) •

(١) من المسألة الرابعة / المكتوب السادس والعشرون •

وهكذا يا أخي :

اصبح الناس بحاجة ماسة الى التزود بالحقائق الایمانية ، كحاجتهم الى الخبز والماء • رغم ما يروج البعض : « ان لا حاجة الى المزيد من الدروس الایمانية لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى فالناس جميعاً مؤمنون ، ويعرفون ربهم جيداً » •• وذلك تهوينا منهم لتلك الحاجة الملحة وصدأ عن سبيل الايمان •

والحال ان (معرفة الله سبحانه) والایمان بحقائق لا إله إلا الله ، يستلزم التصديق القلبي ، والایمان المطلق الجازم بربوبيته سبحانه وتعالى ، الشاملة المحيطة بكل ما في الكون وان مقاليد الامور - من النرات الى المجرات - بجزئياتها وکلياتها في قبضته سبحانه ، ولا تدار إلا بقدرته ، وتمت ارادته ، فلا شريك له في ملكه •

أما النطق والتفوه بأن (الله موجود) ، ومن ثم اسناد تصريف الامور في ملكه الى (الاسباب) التي لا علة لها والى (الطبيعة) ، واتخاذها شركاء لله تعالى ، ومن ثم الجهل بارادته النافذة ، وعلمه المطلق ، ومثول كل شيء امامه • وعدم الاهتمام بأوامره ونواهيه ، والجهل بصفاته الجليلة ، وما ارسل من رسله ، ••• لاشك ان هذا كله ليس من الايمان في شيء •

ولا ينطق بهذا ناطق الا ليسلّي به نفسه وينجيها من التعذيب الدنيوي الروحي الذي يعذب به الكفر المطلق اصحابه في الدنيا قبل الآخرة • نعم ان (عدم الانكار) شيء و (الايمان) شيء آخر مغاير تماماً ، إذ ما من ذی حس أو شعور يمكنه ان ينكر الخالق ذا الجلال الذي تشهد بربوبيته وعظمته وحكمته وجماله جميع اجزاء الكون ••• فلو حاول الانكار ، لحال دونه الكون باجمعه ، فيخرس ، ويبقى وحيداً سائباً معزولاً شاردأ دون سند •

أما الايمان ، فلقد علّمنا القرآن الكريم أنه : التصديق القلبي لوجود الخالق جل وعلا بصفاته المقدسة وبأسمائه الحسنی ، مستنداً الى شهادة الكون جميعاً •

وهو - اي الايمان - تطبيق لما جاءت به الرسل الكرام - عليهم السلام - من اوامره ونواهيه ••• واذا ما سوّلت للانسان نفسه أمراً ، فدونه باب الاستغفار والانابة ••

أما أن يقترب أحد الكبار بلا اهتمام ولا مبالاة للاوامر ، ودون استغفار وانابة ، فلاشك ان ذلك دليل خلوه من الايمان(١) •

هذا وقد اثار آخرون سؤالاً هو :

ان ايمان الشخص العامي كايان الولي • فلا حاجة اذن الى مزيد من الدروس الايمانية ولا الى تحشيد البراهين والأدلة لها •

والجواب : ان الايمان لا ينحصر بتصديق اجمالي وتقليدي فحسب ، بل له مراتب كثيرة جداً ، كالمراتب التي بين البذرة النامية الى الشجرة الباسقة ، أو بين انعكاس ضوء الشمس من المرآة الى انعكاسها من سطح البحر بل الى الشمس نفسها •

وله كذلك حقائق غزيرة جدا ذات علاقة بحقيقة الكون كله ، حيث تنجلي في جميع اجزائه انوار الاسماء الحسنی واركان الايمان • حتى اتفق اهل الحقيقة على : ان اجل العلوم ، وقمة المعرفة وذروة الكمال الانساني هو في الايمان والمعرفة القدسية النابعة من الايمان الحقيقي •

نعم ان الايمان التقليدي معرض للشبهات والوساوس ، أما الايمان الحقيقي فهو اوسع واغنى وأمتن منه ، وله مراتب كثيرة منها : مرتبة (علم اليقين) التي لا تتأثر بالشبهات لقوة براهينها ، بينما الايمان التقليدي قد لا يقاوم شبهة واحدة •

(١) ملحق امير داغ - ج ١ ص ١٩٩ •

ومن مراتبه أيضاً مرتبة (عين اليقين) التي لها مراتب كثيرة ، حتى
تجعل الكون ينطق بالآيات الدالة على الخالق سبحانه كالقرآن الكريم .
ومرتبة أخرى هي (حق اليقين) وفيها مراتب كثيرة أيضاً .
فصاحب هذا الايمان لا يمكن ان تنال جيوش الشبهات والوساوس
شيئاً منه .

ولقد اوضح علماء علم الكلام طريق الايمان مستنديين على البراهين
العقلية والمنطقية فحسب في آلاف من كتبهم . أما أهل الحقيقة والتصوف
فقد اوضحوا المعرفة الايمانية كشفاً وذوقاً في مئات من كتبهم .

اما المنهج القرآني واسلوبه فقد اوضح طريق الايمان وبرزه بشكل
ارفع وأسمى واقوى بكثير من غيره . فنحن في رسائلنا لا نفسّر إلا الطريق
الأقوم والجادة الكبرى للقرآن الكريم والتي بها نتصدى للتيارات الفاسدة
والمضللة والشبهات الواردة على القرآن الكريم والاسلام الحنيف منذ
الف سنة .

لذا غدت الحاجة ماسة الى التكرار والتحفيد الهائل للمسائل
الايمانية ، مستنديين في ذلك الى نور القرآن ، لتتصدى لتلك الهجمات
الوحشية من اهل الكفر والضلال .

ولنعلم جيداً ان لا خير افضل من ارشاد الناس الى الايمان بالله تعالى ،
فقد قال رسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم : « لأن يهدي الله على يدك
رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » ، رواه الطبراني .
ولا يستقيم لمثل هذا الارشاد عود إلا بالمزيد من الفروس الايمانية ،
والتأمل ، والتدبر فيها بالعبادات الفكرية التي تكون ساعة واحدة منها
افضل من سنة من العبادة البدنية(١) .

(١) ملحق امير داغ - ج ١/١٠٢ - ١٠٣ .

الْإِيمَانُ هُوَ الْمِفْتَاحُ

إذا أردت أن تفهم ما الدنيا وما دور الروح الانسانية فيها ، وما قيمة الدين عند الانسان وكيف أنه لولا الدين الحق لتحولت الدنيا الى سجن رهيب ، وأن الشخص الملحد هو أشقى المخلوقات ، وأن الذي يحل طلسم العالم ولغزه المحير وينقذ الروح البشرية من الظلمات إن هو إلا « يا الله » .
« لا اله الا الله » .

أجل إذا كنت تريد أن تفهم كل ذلك فتأمل هذه الحكاية التمثيلية القصيرة وتفكر فيها ملياً :

كان شقيقان في قديم الزمان يذهبان معاً الى سياحة طويلة ، فواصلتا سيرهما سوية الى أن وصلا الى مفرق طريقين ، فرأيا هناك رجلاً وقوراً منتصباً للنصح لمن يطلبه منه فسألاه : - أي من الطريقين أحسن ؟ فأجابهما :

ان في الطريق الأيمن التزام اجباري للقانون والنظام ، الا أن في ثنايا ذلك التكليف ثمة أمان وسعادة . أما الطريق الشمالي ففيه الحرية والتحرر الا أن في ثنايا تلك الحرية تهلكة وشقاء . والآن لكم الخيار في أيهما سلكنتم . وبعد الاستماع الى هذا الكلام سلك الأخ - ذو الطبع الطيب - طريق اليمين قائلاً : « توكلت على الله » وانطلق راضياً - عن طيب نفس - باتباع النظام والانتظام .

أما الأخ الآخر الغاوي العديم الأخلاق فقد رجح طريق الشمال لمجرد هوى التحرر الذي فيه .

والآن فلنتابع - خيالاً - هذا الرجل السائر في طريق ظاهره السهولة
والخفة وباطنه من قبله الثقل والعناء .

فما أن عبر الرجل الوديان العميقة والمرتفعات العالية الوعرة حتى
دخل وسط مفازة خالية وصحراء موحشة ؛ فسمع فجأة صوتاً مخيفاً ، ورأى
أن أسداً ضخماً غضوباً قد انطلق من الأحراش نحوه ؛ ففر منه فراراً وهو
يرتعد خوفاً وهلعاً ، فصادف بشراً معطلة على عمق ستين ذراعاً فألقى نفسه
فيها طلباً للنجاة ، وفي أثناء السقوط لقيت يدها شجرة فتنبت بها .
كان لهذه الشجرة جنران نبتا على جدار البئر وقد سلط عليهما فاران ،
أبيض وأسود . وهما يقضمان ذينك الجنرين بأسنانهما الحادة ببطء .

فنظر الى الأعلى فرأى الأسد واقفاً كالحارس على فوحة البئر ونظر
الى الأسفل فرأى ثعباناً كبيراً جداً قد رفع رأسه يريد الاقتراب منه وعلى
مسافة ثلاثين ذراعاً وله فم واسع سعة البئر نفسها .

ورأى ثمة حشرات مؤذية لاسعة تحيط به ، ونظر الى أعلى الشجرة
فرأى أنها شجرة تين الا أنها تثمر بصورة خارقة أنواعاً مختلفة وكثيرة من
فواكه الأشجار ابتداءً من الجوز وانتهاءً الى الرمان .

وهكذا لم يكن هذا الرجل ليفهم - لسوء ادراكه وحماقته - بأن
هذا الأمر ليس اعتيادياً ، ولا يمكن أن تأتي كل هذه الأشياء مصادفة وبدون
قصد . ولم يكن يفهم أن في هذه الشؤون العجيبة أسراراً غريبة وأن هناك
 وراء كل ذلك من يدبر هذه الأمور ويسيرها . فلا جرم أن قلبه يبكي وروحه
تصرخ وعقله يندمش على ما هو عليه الآن من الأوضاع الاليمة . . الا أن
نفسه الامارة بالسوء أخذت تلتهم فواكه تلك الشجرة متجاهلة عما حولها
وكان شيئاً لم يحدث ؛ سادة أذنيها عن صرخات القلب وهواتف الروح ،
خادعة نفسها بنفسها رغم أن قسماً من تلك الفواكه مسمومة ومضرة .

وهكذا نرى أن هذا الرجل الشقي قد عومل بمثل ما جاء في الحديث
القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ، أي : أنا أعامل عبدي مثلما يعرفني هو .
نعم لقد عومل هكذا ، وسيعامل مثلها بل لابد أن يرى مثل هذه
المعاملة جزاء لتلقيه كل ما يشاهد أمراً عادياً دون قصد وحكمة وكأنه الحق
بعينه وذلك لسوء ظنه وبلاهته الخرقاء ؛ فصار يتقلب في نار العذاب
ولا يستطيع أن يموت لينجو ولا يقدر على العيش الكريم .
ونحن بدورنا سنرجع تاركين وراءنا ذلك المشؤوم يتلوى في عذابه ؛
لنعرف ما جرى على الأخ الآخر من أحوال .

فهذا الرجل المبارك ذو العقل الصائب لا يزال يقطع الطريق دون أن
يعاني الضيق كأخيه ، ذلك لأنه لا يفكر إلا في الأشياء الجميلة - لما له
من جمال الخلق - ولا يأخذ بعنان الخيال إلا بما هو جميل ولطيف ، لذا
كان يستأنس بنفسه ولا يلاقي الصعوبة والمشقة كأخيه . ذلك لأنه يعرف
النظام ويعمل بمقتضى الولاء والاتباع ، فيرى الأمور تسهل له ويمضي حراً
منطلقاً مستظلاً بالأمان والاستقرار .

وهكذا مضى حتى وجد بستاناً فيه أزهار جميلة وفواكه لطيفة مع
نمة جثث حيوانات وأشياء منتنة مبعثرة هنا وهناك بسبب إهمال النظافة .
كان أخوه الشقي قد دخل - من قبل - في مثل هذا البستان أيضاً
غير أنه انشغل بمشاهدة الجيف الميتة والامعان فيها مما أشعره بالفثيان
والدوار . فغادره دون أن يأخذ فيه قسطاً من الراحة لمواصلة السير .

أما هذا الأخ - فعلاً - بقاعدة « انظر الى الأحسن من كل شيء » -
فقد أهمل الجيف ولم يلتفت إليها مطلقاً ، بل استفاد مما في البستان فائدة
طبية من الأشياء والفواكه .

وبدء ما استراح فيه الراحة الحسنة مضى الى سبيله .

ودخل - هو الآخر كأخيه الأول في صحراء عظيمة ومفازة واسعة وفجأة سمع صوت أسد يهجم عليه ؛ فخاف - إلا أنه دون خوف أخيه - حيث فكر - بحسن ظنه وجمال تفكيره - قائلاً :

« لابد أن لهنه الصحراء حاكماً ، فهذا الأسد اذن يحتمل أن يكون خادماً أميناً تحت أمرته » . فوجد في ذلك اطمئناناً ، غير أنه فر كذلك حتى وصل وجهاً لوجه الى بشر معطلة ذات عمق بستين ذراعاً فألقى نفسه فيها وأمسك - كصاحبه - بشجرة في منتصف الطريق من البشر . . . وبقي معلقاً بها ، فرأى حيوانين اثنين يقطعان جذري تلك الشجرة رويداً رويداً . . فنظر الى الأعلى فرأى الأسد ، ونظر الى الأسفل فرأى ثعباناً ضخماً ، ونظر الى نفسه فوجدها - كأخيه تماماً - في وضع عجيب غريب . فدهش من الأمر هو كذلك إلا أنه دون دهشة أخيه بألف مرة ، لما منحه الله من حسن الخلق وحسن التفكير والفكر الجميل الذي لا يريه الا الجهة الجميلة من الأشياء .

ولهذا السبب فقد فكر : بأن هذه الأمور العجيبة ذات علاقات مترابطة بعضها ببعض وانها لتظهر كأن أمراً واحداً يحركها ؛ فلا بد - اذن - أن يكون في هذه الاعمال المحيرة سر مغلق وطلسم غير مكشوف .

أجل ان هذه كلها ترجع الى أوامر حاكم خفي ، لذا والحالة هذه فانا لست وحيداً بل ان ذلك الحاكم الخفي ينظر الي ويرعاني ويختبرني ، ولحكمة مقصودة يسوقني الى مكان ويدعوني اليه .

فمن هذا التفكير الجميل نشأ عنده شوق أثار هذا السؤال : يا ترى من يكون هذا الذي يجربني ويريد أن يعرف نفسه الي ؟ ومن هذا الذي يسوقني في هذا الطريق العجيب الى غاية هادفة ؟

نشأت محبة صاحب الطلسم من معرفة التعرف اليه ، ومن تلك المحبة نمت رغبة حل الطلسم ، ومن تلك الرغبة انبثقت رغبة اتخاذ وضع جميل وحالة مقبولة لدى صاحب الطلسم حسب ما يحبه ويرضاه .

ثم نظر الى أعلى الشجرة فرأى أنها شجرة التين غير أن في نهاية أغصانها آلاف الأنواع من الأثمار والفواكه ، وعندها ذهب خوفه وزال نهائياً ، لأنه علم علماً قاطعاً بأن شجرة التين هذه انما هي فهرس ومعرض ، حيث قلد الحاكم الخفي نماذج ما في بستانه وجناته بشكل معجز عليها وزينها بها اشارة لما اعدده من اطعمة ولذائذ لضيوفه ٠٠ وللا فان شجرة واحدة لن تعطي اثمار وفواكه آلاف الأشجار ، فلم ير امامه الا الدعاء والتضرع ؛ فالج متوسلاً بانكسار الى أن الهم بمفتاح الطلسم فهتف قائلاً:

« يا حاكم هذه الديار والآفاق التجيء اليك وأتوسل وأتضرع ، فأنا لك خادم أريد رضاك وأنا اطلبك وأبحث عنك » ٠٠٠

فلنشق جدار البشر فجأة بعد الدعاء وفتح منه باب لبستان فاخر طاهر جميل ، وربما انقلب فم ذلك الثعبان الى ذلك الباب واتخذ كل من الأسد والثعبان صورة الخدم وهياته ٠٠ فأخذا يدعوانه الى دخول البستان حتى أن ذلك الأسد تقمص شكل حصان مسخر بين يديه .

وهكذا يا نفسي الكسلى ! ويا صاحبي في الخيال ٠٠

تعالوا لنوازن بين أوضاع هذين الأخوين كي نعلم كيف أن الحسنه تجلب الحسنه وأن نرى كيف أن السيئة تأتي بالسيئة .

انظروا :

ان المسافرين الشقي الى جهة الشمال معرض في كل آن أن يلج في فم الثعبان فهو يرتجف خوفاً وعلماً .

اما هذا السعيد فهو يدعى الى بستان أنيق بهيج مثمر بفواكه شتى .

وان قلب ذلك الشقي يتمزق في خوف عظيم ورعب اليم بينما هذا السعيد يرى غرائب الأشياء وينظر اليها بعبرة حلوة وخوف لذيذ ومعرفة محبوبة .

وان ذلك الشقي المسكين ليعاني من الوحشة واليأس واليتم عذاباً
واي عذاب؟! بينما هذا السعيد يتلذذ في الأنس ويترفل في الأمل والشوق.
ثم ان ذلك المتكود يرى نفسه محكوماً عليه - كالسجين - بهمجات الحشرات
المؤذية . بينما هذا السعيد المحظوظ يتمتع متعة ضيف عزيز وكيف
لا فهو ضيف عند مضيف كريم . فيستأنس مع عجائب خلقه .
غير أن ذلك السيء الحظ ليعجل عذابه في النار بأكله مأكولات لذينة الطعم ظاهراً
ومسمومة حقيقة ومعنى ، إذ أن تلك الفواكه ما هي إلا نماذج ، قد أذن
للتذوق منها فقط لكي يكون طالباً لحقائقها وأصولها ويكون شاريها
الأصيل والا فلا سماح للشراة منها كالحيوان . أما هذا السعيد المحمود
فانه يتذوق منها اذ يعي الامر ، مؤخراً أكلها وملتذاً بالانتظار .

ثم ان ذلك الشقي يكون قد ظلم نفسه بنفسه ؛ جاراً عليه وضعاً
مظلماً وأوهاماً ذات ظلمات - بانعدام بصيرته عن حقائق ساطعة كالنهار
وأوضاع جميلة باهرة - الى درجة كانه في جهنم ، فلا هو مستحق للشفقة
ولا هو له حق الشكوى ، منله في هذا مثل رجل وسط أحيائه في موسم
الصيف وفي حديقة جميلة بهيجة في حفلة وليمة طيبة للأفراح ولعدم قناعته
بها راح يرتشف كؤوس الخمر - أم الخبائث - حتى أصبح سكيراً ثملاً ؛
فشرع بالصراخ والعويل ، وبدأ بالبكاء ، طائفاً نفسه في قلب الشتاء
القارص ، ومتصوراً أنه جائع وعار وسط وحوش مفترسة . . .

فمثلما أن هذا الرجل لا يليق بالشفقة والرافة ، اذ ظلم نفسه بنفسه
متوهماً أصدقاء وحوشاً ، محتقراً لهم . . فان هذا المشؤوم كذلك تماماً .
ولكنما ذلك السعيد يرى الحقيقة ، والحقيقة بذاتها جميلة ، ومع
ادراك جمال الحقيقة فانه يحترم كمال صاحب الحقيقة ويوقره فيستحق
رحمته .

فاعلم اذن سرّاً من أسرار : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » . سورة النساء/ ٧٩

فلو وازنت سائر هذه الفروق وأمثالها لعلمت أن النفس الأمارّة للأول قد أحضرت جهنم معنوية له ، بينما الآخر يكون قد صار - بحسن نيّته وحسن ظنه وحسن خصلته وحسن فكره - مظهرّاً للفيض والسعادة والفضيلة الالامعة والاحسان الكبير .

فيا نفسي . ويا أيها الرجل المنصت معي الى هذه الحكاية :

إذا كنت لا تريد أن تكون مثل ذلك الأخ المشؤوم وترغب في أن تكون كالأخ السعيد فاستمع الى القرآن الكريم وأرضخ لحكمه واعتصم به واعمل بأحكامه .

وإذا كنت قد وعيت ما في هذه الأقصوصة التمثيلية من الحقائق ؛ فانك تستطيع أن تطبق عليها الحقيقة الدينية والدنيوية والانسانية والايمانية كلها .

وسأقول لك أنا الأساسيات ، واستخرج أنت بنفسك الدقائق !
والآن فانظر !

أما الاخوان الاثنان : فأحدهما هو روح المؤمن وقلب الصالح ، وأما الآخر فهو روح الكافر وقلب الفاسق .

أما اليمين من تلكما الطريقتين فهي طريق القرآن وطريق الايمان .
وأما الشمال فطريق العصيان والكفران .

وأما ذلك البستان في الطريق فانه تلك الحياة الاجتماعية المؤقتة للمجتمع البشري والحضارة الانسانية التي يوجد فيها الخير والشر والطيب والخبيث والظاهر والقدر معاً .

فالعاقل هو من يعمل على قاعدة « خذ ما صفا ٠٠٠ دع ما كثر »
فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان •

- وأما تلك الصحراء فهي هذه الدنيا وهذه الأرض •
- وأما ذلك الأسد فهو الأجل والموت •
- وأما تلك البئر فانها جسد الانسان وزمان الحياة •

وأما ذلك العمق البالغ ستون ذراعاً فانه اشارة الى العمر الغالب ،
وهو معدل وسط العمر « الستون سنة » •

وأما تلك الشجرة فهي مدة العمر ومادة الحياة •

وأما الحيوانان الاثنان : الأسود والابيض فهما الليل والنهار •

وأما ذلك الثعبان فهو فم القبر المفتوح الى طريق البرزخ ورواق
الآخرة • الا أن ذلك الفم هو للمؤمن باب يفتح من السجن الى البستان •

وأما تلك الحشرات المضرّة فانها المصائب الدنيوية الا أنها للمؤمن
في حكم الايقاظات الالهية الحلوة والالتفاتات الرحمانية لتلا يفغل عن
يقظته أبداً •

وأما مطعومات تلك الشجرة فهي النعم الدنيوية التي صنعها رب
العزة الكريم المطلق لكي تكون فهرساً للنعم الأخروية ومذكرة لها ومشابهة
بها وقد خلقها البارئ الحكيم على هيئة نماذج لدعوة الزبائن الى فواكه الجنة •
وان اعطاء تلك الشجرة على وحدتها الفواكه المختلفة المتباينة اشارة
الى سكة الصمدانية وختم الربوبية الالهية وطغراء سلطنة الألوهية •

ذلك لأن « صنع كل شيء من شيء واحد » أي صنع جميع النباتات
وأثمارها من تراب واحد ، وخلق جميع الحيوانات من ماء واحد وابداع
جميع الأجهزة الحيوانية من طعام بسيط ٠٠٠

وكذا ان « صنع الشيء الواحد من كل شيء » كبناء لحم معين وجلده بسيط لذي الحياة من مقطوعات مختلفة الأجناس ٠٠٠ انما هي السكة الخاصة للذات الاحدية الصمدية والختم المخصوص للسلطان الأزلي والأبدي وطفاؤه التي لا يمكن تقليدها أبداً •

نعم ان خلق شيء من كل شيء وخلق كل شيء من شيء ، انما هو خاصية تعود الى خالق كل شيء وعلامة مخصوصة للقادر على كل شيء بل انها آية !

وأما ذلك الطلسم فهو سر حكمة الخلق الذي يفتح بسر الايمان •
وأما ذلك المفتاح فهو « الله لا اله الا هو الحي القيوم » و « يا الله »
« لا اله الا الله » •

وأما انقلاب فم ذلك الشعبان الى باب البستان فهو رمز الى : أن القبر هو سجن الوحشة والنسيان والاهمال والضيق ، فهو كبطن الشعبان لأهل الضلالة والطفيان •

ولكنه بالنسبة لأهل الايمان والقرآن ٠٠ انما هو باب مفتوح على مصراعيه من سجن الدنيا الى بستان البقاء ، ومن ميدان الامتحان الى روضة الجنان ومن زحمة الحياة الى رحمة الرحمن •

وأما انقلاب ذلك الأسد المقترس الى حصان مسخر والى خادم مؤنس فهو اشارة الى أن الموت لأهل الضلال فراق أبدي اليم من جميع المحبوبات وخروج من جنة دنيوية كاذبة الى وحشة سجن انفرادي للقبر وضياح في تيه سحيق ٠٠ بينما هو لأهل الهداية وأهل القرآن رحلة الى العالم الآخر ووسيلة الى ملاقة الأحبة والأصدقاء القدامى وانه واسطة الى دخول الوطن الحقيقي ومنازل السعادة الأبدية وانه دعوة كريمة من سجن الدنيا الى بساتين الجنات • وانه انتظار لأخذ الأجرة للمخدمات تفضلاً من الرحمن

الرحيم • وانه ترخيصة من تكاليف الحياة واجازة من وظيفتها • وانه
اعلان الانتهاء من واجبات العبودية وامتحانات التعليم والتعليمات •

نحصل من هذا كله : أن كل من يجعل الحياة الفانية مبتغاه فسيكون
في جهنم حقيقة ومعنى •• حتى لو كان يتقلب - ظاهراً - في بحبوبة النعيم •
وان كل من كان متوجهاً الى الحياة الباقية ويسعى اليها بجد واخلاص
فهو فائز بسعادة الدارين وأهل لهما معاً حتى لو كانت دنياه سيئة
وضيقة •• الا أنه سيرها حلوة طيبة ، وسيرها قاعة انتظار لجنته ••
فيتحملها ويشكر ربه فيها وهو يخوض غمار الصبر •

اللهم اجعلنا من أهل السعادة والسلامة والقرآن والايمان آمين •

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعدد جميع
الحروفات المتشكلة في جميع الكلمات المتمثلة بأذن الرحمن في مرايا
تموجات الهواء عند قراءة كل كلمة من القرآن من كل قاريء من أول النزول
الى آخر الزمان •

وارحمنا ووالدينا وارحم المؤمنين والمؤمنات بعددها برحمتك يا أرحم
الراحمين آمين • والحمد لله رب العالمين(١) ••

(١) هذه الادعية الواردة في ختام اغلب البحوث جاءت باللغة العربية في
الاصل ٠/م •

الحمد لله على نعمه

[هذا البحث يخص « الحمد لله » سنين فيه تسع فوائد من تلك التي لا تنتهي من نعم الايمان وانواره التي تجعلنا في « حمد » دائم] •

النقطة الاولى

لابد من التنبيه الى ملاحظتين مهمتين :-

(١) ان الفلسفة المادية « أو التفكير المادي » ليست في الواقع سوى نظارة سوداء يرى الانسان بها الاشياء جميعاً قبيحة مخيفة •

اما حقيقة الايمان ، فهي نظارة شفافة نورانية براقية يرى الانسان بها جميع الاشياء والامور مؤنسة وجميلة •

والانسان يتحسس كل ما حوله ويرى من احوال ومخلوقات من الجهات كافة حسب استعماله لتلك النظارتين •

(٢) ان الانسان بفطرته اجتماعي ، فله علاقات مع جميع المخلوقات اخذاً وعطاءً ، كلاماً ، واتصالاً ، ومجاورة ، مع كل ما يحيط به سواء كان بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، لذا أصبحت له ست جهات يرتبط بها وهي :

اليمن واليسار « أي الماضي والمستقبل » • والخلف والامام « أي المبدأ والمصير » • والتحت والفوق « أي الارض والسماء » •

(جهة اليمن) :-

وهي جهة الماضي ، فالمنظار المادي يرينا : ان ممالك الماضي الغابرة قد انهلت أركانها وهدمت عروشها ، وان الآباء والاجداد قد فنوا من الوجود ، فلم يبق في نظره من هذه الجهة الا ظلام موحش رهيب ، وكأنها

مقبرة كبيرة واسعة ، ومدافن منتشرة خربة ٠٠٠ ولاشك ان الانسان
ينظرته هذه سيكون في يأس ورعب دائمين .

ولكن عندما يأتي نور الايمان الانيسي يبدد ذلك الظلام الموحش قائلا:
نعم لقد دمرت الممالك حقاً ، وانها هدمت وزالت من الوجود ولكن بدون
خسائر في الارواح . فان ساكني تلك الممالك وموظفيها في حقيقة الأمر قد
نقلوا الى عالم نوراني خالده رائع الجمال . وما هذه القبور المبتوثة في أرجاء
العالم التي نشاهدها هنا وهناك الا انفاق تحت الارض توصلنا الى ذلك
العالم الرحب .

فينبثق من هذا الايمان سرور وافراح واطمئنان وانشراح ، وفي كل
منها نعمٌ عظيمة تستوجب على الانسان ان يردد اللف المرات ٥ الحمد
لله ٠٠٠ الحمد لله ٠٠٠ ، .

(جهة اليسار) :-

ونعني بها المستقبل ، ان المستقبل في النظر المادي ينتهي بـ (الموت)
وحفرة القبر المظلم المخيف ، فهو فاغر فاه ليلقينا في جوفه ، وثمة عقارب
وحيات تنتظرنا لتتغذى وتتعضى بجيف أجسادنا ٠٠ هذه هي نظرة المحروم
من نعمة الايمان ٠٠ فيا لها من نظرة قبيحة .

أما المستقبل المنور بنور الايمان عند المؤمن فهو : رياض مزينة
تتهدى ، وضيافات رحمانية تمتد ، تحوي أشهى لذائد المأكولات الملونة ،
وطايب نفائس المشروبات المتنوعة ، اعددها الله سبحانه وتعالى للبشر ،
بفضله وكرمه ، وهو الخلاق الرحيم ، مما يدفعنا الى أن نكرر منشدين
اللف المرات ٥ الحمد لله ، على نعمة الايمان .

(جهة الفوق) :-

السماء ؛ هب أن أحداً ينظر اليها بمنظار الماديين الجفاة : فسيرى
أنها سماء مملوءة بملايين النجوم والكواكب تسبح في هذا الفضاء الواسع

وتجربى بسرعة هائلة ، وتتحرك بحركات مختلفة ، ولكن بدون هدف وقصد !! وبدون منظم ومدبر كما يظنون ، مما يقذف في قلوبهم الرعب والخوف ، فيستوحش من النظر اليها ، ولا يجد فيها أنساً ولا حباً ..

الا ان النظرة الايمانية تجعل هذه القناديل المضيئة والمصابيح المتدلية المتبسمة لنا في سماننا ، والسابحة بسرعة رائعة رشيقة ومنظمة ، هي تحت رعاية وتدير عليم حكيم .. وهكذا يدخل الانس والمحبة في قلوبنا بدلاً من الخوف والوحشة ، من أجل ذلك فلو سبّحنا بـ « الحمد لله » آلاف المرات لكانت اذن قليلة امام نعمة الايمان الذي يرينا السماء على هذه الصورة المؤنسة .

(جهة التحت) :-

أي الارض ؛ ان الذي ينظر الى الارض بعين الماديين وتصورهم يرى : ان الكرة الارضية وليدة الصدفة فحسب ، وان حبلها على غاربها ، وان أمرها ليس بيدها أو بيد أحد ، تدور حول الشمس بلا هدف وبلا غاية ، فهي كسفينة حائرة في خضم البحر تسير بلا ربان . وعندئذ يأخذه الدوار والدهشة والاضطراب ، فلا يفهم شيئاً .. وهنا يأتي نور الايمان يضيء كالسراج ، ويزيل بنوره تلك الحيرة والاضطراب جاعلاً من الارض سفينة ربانية مسخرة ، مشحونة بأنواع اللذائذ والمطعومات ، وقد سخرها الله سبحانه للانسان والاحياء الآخرين ليمتطي متنها ويسير بها في اطراف مملكته من أجل النزهة والسياحة والتجول ... وبعد ، الا تدفع هذه النعمة المنبعثة من الايمان المؤمن ان يردد ويردد دائماً « الحمد لله » .

(جهة الامام) :

المصير ؛ ان الانسان المادي يرى ؛ ان جميع الاحياء من الانسان والحيوان يتوجهون مسرعين قافلة اثر قافلة الى هذا المصير حتى يغيبوا وراء ظلمات العدم الى غير رجعة ، وهو يعلم يقيناً انه سيأتي دوره يوماً ، وسيكون

واحداً من هؤلاء في هذه الرحلة الخاطفة ، ويظل يلزمه هذا التفكير حتى يوصله الى القلق والبهتان والهدر .

أما المؤمن المتيقن فانه يرى : ان هذه الرحلة لن تنتهي الى العدم ، وان المجدوعة البشرية هم كالبدو الرحل ينتقلون من مرعى الى مرعى آخر ، ومن دار الفناء الى دار البقاء . ومن مكان الخدمة الى موضع أخذ الأجرة . . . ومن ميدان الرحمة والشفقة الى مقام الرحمة والمكافأة . فينظر المؤمن بكل اطمئنان وامل الى مصيره ، وان كل ما يراه من اتعاب ونصب ومشقة في سفرته هذه ؛ من موت وقبر وما شابهه ، سينقلب عنده الى سعادة ولذة وأمان، ذلك لأن الطريق التي تؤدي الى العالم النوراني تمر حتماً من «القبر» .

وان السعادة الكبرى هي نتيجة المصائب الكبيرة الاليمة ، ولذلك ما نال سيدنا يوسف عليه السلام مرتبة عزيز مصر الا بعد السجن بافتراء امرأة العزيز عليه بعد ان القاه اخوته في الحب ، وكذلك الطفل لا ينال سعادة الحياة الا بعد ما يرى من مضايقات الرحم والولادة على باب الدنيا . فـ « الحمد لله » دائماً على ما فتحه لنا نور الايمان من ابواب السعادة على مصاريعها .

(جهة الخلف) :-

المبدأ ؛ ويتساءل المادي : ما هذه الاجيال المتكاثرة الغفيرة ، والاحياء المتدفقة ؟ ومن أين أتت ؟ . والى أين يذهبون ؟ ولماذا ؟

ولما كانت الغفلة المطبقة لا يمكنها ان تجيب على تساؤله ، فانه في حيرة وتردد ، ثم يتحول هذا التردد والحيرة الى ظلمات تغشى قلبه وروحه ، فيحس احساساً قوياً بقلق دائم وخوف مرعب . بينما يرى المؤمن بنور الايمان وبنعمته ان تلك الجهة هي مبدأ الانسان . . وان الله سبحانه وتعالى أرسله مكلفاً اياه بواجب في دار الامتحان هذه ، ولينظر ويشاهد ويطلع غرائب وعجائب معجزات القدرة الربانية المعروضة في معرض الكون ، وانه

سبحانه سيرده الى عالم المكافأة والجوائز حيث يكافئه بمقدار ما فهم ووعى في الارض من مطالعاته الكون ، ومن قيامه بواجبه المطلوب ؛ فللله در الايمان ، كم يورثنا من نعم لا تعد ولا تحصى ٠٠! مما يدفع هذا الانسان ان يردد مراراً وتكراراً « الحمد لله » على نعمة الايمان بل جل النعم ٠

فمن هذه الحقيقة ، وبهذا النوع من التفكير الايماني يكون « الحمد لله » على نعمة الايمان ، التي ازالته الظلمات عن الجهات الست ، هو الآخر نعمة عظيمة تستلزم « الحمد لله » ايضاً ٠ اذ بـ « الحمد لله » يفهم درجة هذه النعمة ولذتها ٠ فالحمد لله على الحمد لله في سلسلة لا تنتهي من « الحمد لله رب العالمين » ٠

(النقطة الثانية) :

لابد من الحمد لله على نعمة الايمان التي نورت لنا الجهات الست ٠ فكما ان الايمان بازالته ظلمات تلك الجهات ، نعمة عظيمة من ناحية « دفع البلايا » كذلك هو نعمة عظيمة ايضاً لتنويره تلك الجهات من ناحية « جلبه للمنافع » ٠

والانسان يستفيد من نعمة الايمان في علاقاته مع جميع المخلوقات وفي جميع تلك الجهات ومن ثم تأتي الآية الكريمة التي تملأ بصداها العذب ارجاء الكون : « فايما تولوا فثم وجه الله » ٠٠ لتنور للمؤمن المكرم جميع الجهات اينما اتجه ، وتتسع الى ما لا نهاية له ، حتى كأن للمؤمن عمراً معنوياً طويلاً ممتداً من الخليقة الى نهاية العالم ٠ اذ يستمر ذلك العمر المبارك من نور الحياة ، وبارتباطه بقافلة المؤمنين المنطلقة مع أول مسلم على وجه الأرض ٠٠

وهكذا فان نور الايمان هذا يحول عالمه الضيق المحصور بين جداري الزمان والمكان الى عالم فسيح مريح ، ويجعل الازمنة كلها بماضيها ومستقبلها زمناً حاضراً في قلبه وروحه بازالته البعد بينهما ، فيتحول

هذا العالم الفسيح بيتاً له •

(النقطة الثالثة) :-

انها تقتضي « الحمد لله » على نعمة الايمان لاحتوائه على نقطتين :
« الاستناد والاستمداد » ••

نعم ، نظراً لكثرة أعداء البشر أولاً ولانتهى عجزه ثانياً ، فلا بد أنه محتاج غاية الاحتياج الى نقطة استناد يلتجئ اليها دائماً دفعا لشر أعدائه العديدين • ونظراً لكثرة حاجاته ، وآماله ، مع شدة فقره ونواقصه ، فلا بد له من نقطة استمداد لكي يطمئن تلك الحاجات وتلك الآمال •

فيا أيها الانسان : اعلم ان نقطة استنادك في عملك وجهادك انما هي
ايمانك بالله وحده •• واما نقطة استمدادك لروحك ووجدانك فهي بلاشك
ايمانك بالآخرة • ومما لا ريب فيه ان الذي لا حظ له من تلك النقطتين
فانه يستوحش في قلبه وروحه ، ويعذبه وجدانه دائماً ••

اما الذي يستند الى الاولى « الايمان بالله » ويستمد من الثانية
« الايمان باليوم الآخر » فانه لاشك يحس من اعماق قلبه وروحه بلذائذ
معنوية ، وانساً مسلياً ، واعتماداً وثيقاً يطمئن به وجدانه ويشرح فؤاده
بسعادة لا يتصورها غيره ، وقد لا يحلم بها أصلاً •

(النقطة الرابعة) :-

ان الثمرة التي لا تعرف شجرتها تنحصر لذتها في تلك الثمرة فحسب،
ولذلك فان لذتها ستزول بمجرد أكلها تاركة وراءها اسفاً وحسرةً ، اما
اذا عرفت للثمره شجرتها ، فلا يمكن ان يحصل ذلك الالم والاسى بعد
أكلها وفراقها ، ذلك لان لها أصلاً باقياً معروفاً •

وهكذا فان نور الايمان يزيل الآلام الناتجة من زوال اللذائذ المشروعة.

وذلك باظهاره وجود امثالها ومجبتها من كنوز الرحمة الالهية ، ويؤمن دوام النعم ، وعدم تناقصها باظهارها منابها وخزائنها الربانية ، فيزيل ما يحصل من آلام الغرائ باظهار لذة تجدد الامثال ، اذ التفكير بزوال اللذة يولد آلاماً كثيرة . فبنور الايمان تنوب تلك الآلام محيلاً زوالها الى ثمرات جديدة من امثالها بلا انقضاء .

هذا وان اشد الحالات ضيقاً وهمّاً لروح الانسان ما يتولد من آلام الغراق وحسرات الوداع . فنور الايمان قد اودع الله فيه ما يذهب تلك الآلام بدوام تجدد الامثال والوصال ولا ريب ان في تجدد اللذات لذات أخرى . وان التجدد بحد ذاته لذة . ولكل جديد لذة .

(النقطة الخامسة) :-

يصور لنا الايمان بنوره ، ما يتصوره الانسان في الموجودات ويتوهم انها أعداء له وانها اموات بلا حياة . . . يصورها الايمان : انها احباب لنا ، واخوان واحياء مؤنسین ، وانهم عباد مسبحون ، ذاكرون . . . فالغافل ينظر الى موجودات العالم كالأعداء ، وهو في صراع معها دائماً ، فيستوحش من كل شيء ولا يتلفت الا ويرى نفسه بين غرباء يضربون له العداء والشر . ذلك لأن علاقة الاخوة بين الازمنة الماضية والمستقبلية في نظر أهل الضلالة تنقطع . فتتحول الى حاضر جزئي محدود ، فاخوتهم ان دامت فهي كدقائق معدودة .

اما اخوة الايمان فانها تمتد وتمتد ابتداءً من مبدأ الماضي وانتهاءً الى منتهى المستقبل . واذ ترى الضلالة وأهلها ان الكائنات كلها اموات موحشة ، يرى الايمان وأهله انها مخلوقات ذات روح وحياة . . . فيستأنس بها ، ويتجاوب معها بلغة المحبة والايمان والفرحة ، ذلك لان « كل قد علم صلاته وتسبيحه » . « وان من شيء الا يسبح بحمده » . ففي كل شيء حياة على قدمه وقدره ، فلا وحشة ولا خوف في نظر الايمان . وبينما ترى

الضلالة في الاحياء المنتشرة والمخلوقات القائمة في الوجود انهم ضعفاء عاجزون لا يصلون الى مطالبهم ، وليس لهم من يحميهم ويتودد اليهم ، وليس لهم من صاحب كريم يتعهدهم فهم كإيتام يكون من عجزهم وحزنهم ويأسهم يأتي نور الايمان وقد جعل الموجودات كلها مخلوقات مأنوسة كالأحياء ، فينظر الى من منحهم الله الخلق والحياة ، بانهم عباد مكلفون وموظفون ذاكرون ومأمورون مسبحون وليسوا إيتاماً أبداً .

(النقطة السادسة) :-

ان نور الايمان يصور الدارين « الدنيا والآخرة » اشبه ما تكونان بسفرتين مملودتين ومملوءتين من النعم ، يستفيد منهما المؤمن بيد الايمان وبحواسه الظاهرة والباطنة وبلطائفه المعنوية والروحانية . بينما تتضاءل وتضجر دائرة استفادة الاحياء في نظر الضلالة فتتخسر في لذائذه المادية فقط ، والتي ينغصصها الزوال .

فنور الايمان يوسع ويوسع تلك الدائرة الى ما تحيط السماوات والارض بل الدنيا والآخرة . . . حتى انه يرى الشمس سراجاً في بيته ، والقمر نوراً في داره ، فتكونان نعمة له ، ويحسبهما رفيقين له في وظيفته ، وأنيسين له في سفره . فلاشك ان دائرة نعمته اوسع من كل ما نتصوره . اذ كما ذكره القرآن الكريم المعجز « وسخر لكم الشمس والقمر ، وسخر لكم ما في البر والبحر » فأشار ببلاغته الرائعة الى هذه الاحسانات الخارقة الناشئة من الايمان .

(النقطة السابعة) :-

ان المؤمن يعلم بنور الايمان ان اعظم نعمة في الوجود هي (معرفة الله) . . فهي نعمة لا تفوقها نعمة ، اذ هي منبع كل انواع النعم التي لا نهاية لها ، واجناس الاحسانات التي لا غاية لها ، واصناف العطايات التي لا حد لها . . . فيلزم الحمد بعدد ذرات العالم على نعم الايمان هذه

لأن « أل » الاستغراق في « الحمد » تتضمن جميع (النعم) التي تستوجب الحمد ٠٠٠ منها نعمة « انه رحمن » التي تتضمن نعماً بعدد ما تعلق به الرحمة بنوى الحياة ، فالانسان له علاقة بجميع الاحياء وتسعد فطرته بسعادتهم وتتألم بالآلامهم ، فالنعمة للفرد هي نعمة للناس جميعاً ٠٠٠ ومنها نعمة « انه رحيم » التي تتضمن نعماً بعدد الاطفال الذين يتمتعون بعطف امهاتهم والتي تستوجب الحمد والثناء ٠٠٠ نعم فكما ان لكل من له فطرة سليمة يتأثر ويتألم ببكاء طفل يتيم ، كذلك لابد انه يتنعم ويتذوق ويتلذذ برحمة الامهات لاطفالهن ٠٠٠ فما هذه الاذواق الا نعم عظيمة تستلزم الحمد والشكر ٠٠٠ ومنها نعمة « انه حكيم » فهي نعمة تستوجب الحمد والشكر بعدد افراد وانواع الحكمة المندمجة في جميع الكائنات والكون . اذ كما أن نفس الانسان تنعم بالانوار الرحمانية ، وقلبه بالتجليات الرحيمية ، كذلك يتنوق عقله باللطائف الحكيمية .

فالحمد لله ملء الفم بالقلب والنفس والعقل ٠٠ وكذلك نحمده حمداً يملأ صداه الفضاء على نعمة الحفظ اي « انه الحفيظ » لان دوام النعمة اعظم من النعمة نفسها ٠٠٠ وبقاء اللذة ألد من اللذة نفسها ٠٠٠ والخلود في الجنة نعمة تفوق الجنة نفسها .

فنعمة معرفتنا انه (الحفيظ) سبحانه وتعالى تتضمن نعماً اكثر وازيد واعلى من جميع النعم الموجودة في الكائنات ٠٠٠ وهكذا فقس على اسم : الرحمن ، الرحيم ، الحكيم ، الحفيظ . سائر اسمائه الحسنی ، اذ أن في كل اسم من اسمائه نعماً لا نهاية لها تستوجب حمداً لا نهاية له .

ومنها نعمة (الاسلام) و (القرآن الكريم) الذي فجر لنا منابع جميع انواع النعم المادية والمعنوية مما يستلزم حمداً لا متناهيًا .

ومنها نعمة (محمد) صلى الله عليه وسلم ، التي تستوجب حمداً لا نهاية له ، اذ هو الوسيلة لنعمة الايمان ، وفتح كنوز النعم كلها ، فهو نعمة تظل البشرية مدينة له بالحمد والثناء الى الابد .

(النقطة الثامنة) :-

الحمد لله الذي يحمده له ويشني عليه هذا الكتاب الكبير المسمى
بـ « الكون » ومفسره الذي هو (القرآن الكريم) باظهار اوصاف جماله
وكماله .

فكتاب الكون هذا بجميع ابوابه وفصوله ، وبجميع صحائفه وما تحويه
من سطور وبجميع كلماته وحروفها كلّ بقدر نسبته ، من اصغر نقش
الى اعظمه ، يحمده سبحانه وتعالى ، ويسبحه باظهاره اوصاف جلال قائله
الاحد الصمد . وكل حرف فيه يشني باظهار انوار اوصاف جمال كاتبه
الرحمن الرحيم . وكل ما في الكون من نقاط ونقوش هي مرايا لتجليات
اشعة اسماء من له الاسماء الحسنى جلّ جلاله ولا اله غيره .

(النقطة التاسعة)

الحمد - من الله بالله على الله - لله ، بعدد ضرب ذرات الكائنات من
اول الدنيا الى آخر الخلقة ، في عشرات دقائق الازمنة ، من الازل الى الابد .

الحمد لله على نعمة القرآن والايمان عليّ وعلى اخواني بعدد ضرب
ذرات وجودي في عشرات دقائق عمري في الدنيا وبقائي في الآخرة .

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد
جاءت رسل ربنا بالحق .

اللهم صلّ على سيدنا محمد بعدد حسنات امته وعلى آله وصحبه
وسلم آمين والحمد لله رب العالمين .

أركان الإيمان

[آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله ٠٠٠٠] سورة البقرة/ ٢٨٥

ان السبب الذي ادى الى ايضاح هذه الآية الجامعة السامية العظيمة ودعا الى بيانها ؛ هو حالة خاصة معينة نتجت عن سؤال معنوي مثير .
وعن انكشاف نعمة آلهية عظيمة ، كالآتي :

فقد ورد الى الروح هذا السؤال : لِمَ يعتبر كافراً من ينكر جزءاً من حقيقة إيمانية ، ولا يعد مسلماً من لم يقبلها مع أن نور الايمان بالله واليوم الآخر - كالشمس - يبدد كل ظلام ؟!

ثم ، لِمَ يصبح مرتدّاً من ينكر حقيقة أو ركناً إيمانياً ، ويرديه الى الكفر المطلق ومن لم يقبلها يخرج من دائرة الاسلام . بينما ينبغي أن ينقذه إيمانه بالاركان الاخرى - إن وجد - من ذلك الكفر المطلق ؟

الجواب : ان الايمان هو حقيقة نابعة من ستة اركان ، فهو حقيقة واحدة موحدة بحيث لا يقبل التفريق ، وهو كلي بحيث لا يتحمل التجزأة ، وهو كلّ بحيث لا تقبل اركانه الانقسام ، ذلك لأن كل ركن من تلك الاركان اليمانية مع حججها التي تثبتته - يثبت بقية الاركان ، فيصبح بذلك - كل ركن - حجة قاطعة عظمى لكل ركن من الاركان . لذا فالفكر الباطل الذي لا يتمكن من زعزعة جميع الاركان - مع جميع أدلتها - لن يستطيع - من وجهة الحقيقة - نفي ركن واحد بل ولا تفنيها حقيقة واحدة من حقائقها ، الا أن يغمض المنكر عينيه ويتشبث بعدم القبول والرفض ، فيدخل في الكفر العنادي ويسوقه ذلك بمرور الزمن الى الكفر المطلق ،

فتنعدم انسانيته ويولئى الى جحيم مادي فضلاً عما هو فيه من جحيم
معنوي .

وكما اننا بيتنا في رسالة الثمرة (١) - دلالة الاركان الايمانية على
الحشر بشكل مقتضب - كذلك سنبين هنا باشارات مختصرة جداً ومجملّة -
المغزى العميق العظيم لهذه الآية معتمدين على عنايته سبحانه . وذلك في
ست نقاط :

النقطة الاولى :

ان (الايمان بالله) بحججه القاطعة يثبت (الايمان بالآخرة) مع
اثباته سائر الاركان الايمانية الاخرى .

نعم ؛ ان سلطنة الربوبية وقدرتها الازلية وقوتها الباقية وغناها
المطلق ، والحاكمية الابدية للالوهية الدائمة التي تدير هذا الكون غير
المحدود - مع جميع لوازمه وضروراته - كانه قصر أو مدينة ، والتي تصرف
جميع شؤونه ضمن نظام وميزان ، وتغيره وفق حكم كثيرة ، والتي تدير
النرات والكواكب وتجهز الذباب والنجوم معاً كالجنود المطيعين للجيش
المنسقى ، والتي تسوق الجميع - ضمن ارادتها وامرها - الى استعراض
هائل عام شامل للعبودية الخالصة ، من خلال مناورة سامية وابتلاء واختبار
وتدريب على الوظائف وتعليم لها بنغالية وبنشاط دائم وسير وجولان
مستمر . هل يمكن ، أم هل يعقل ، لا بل هل هناك اي احتمال قط في الا
يكون هناك مقر باق ومملكة دائمة ، وظهور خالد ، وتجلٍ سرمدى - وهو
الدار الآخرة - لمثل هذه السلطنة الابدية ، ومثل هذه الحاكمية الباقية
الدائمة ؟! حاشا وكلا . . . والف مرة كلا .

(١) تثبت المسألة السابعة من رسالة (الثمرة) الايمان بالآخرة بدلالة
الاسماء الحسنى . وهذا البحث هو المسألة التاسعة من الرسالة
نفسها التي كتبها الاستاذ رحمه الله في سجن (دنيزلى) م/٠

فسلطنة ربوبية الله جل وعلا - اذن - واغلب اسماء الله الحسنی ،
وجميع دلائل وحجج وجوب وجوده سبحانه وتعالى - كما بيّن في المسألة
السابعة - تشهد جميعاً وتدل على (الآخرة) وتطلبها •

فما اعظم مرتكز هذا الركن الايماني العظيم ، وما أمتن قوة نقطة
استناده ! ألا فادرك ذلك ، وصدق به كأنك تراه •

ثم أن (الايمان بالله) كما لا يمكن ان يكون دون (الايمان بالآخرة)
كذلك - مثلما ذكر ملخصاً في رسالة الحشر - هل يمكن ، أم هل يعقل ،
ان الله تعالى الذي خلق هذا الكون - اظهراً لالوهيته ومعبوديته - وهو
المعبود الحق ، خلقه على هيئة كتاب صمداني مجسم - يا له من كتاب
ظاهر - بحيث يفيد كل صحيفة من صحائفه معاني كتاب ضخّم ، ويعبر
كل سطر من اسطره عن معاني صحيفة كاملة ٠٠٠ وخلق على شكل قرآن
سبحاني مجسم تجسيمياً بحيث ان كل آية من آياته التكوينية ، وكل كلمة
من كلماته ، بل حتى كل حرف منه وكل نقطة بمثابة معجزة ٠٠٠ وخلق
على صورة مسجد رحماني مهيب - وما اعظمه من مسجد مزين بما لا يحده
من الآيات والنقوش الحكيمة - بحيث ان في كل زاوية من زواياه طائفة
تنهمك بنوع من العبادة القطرية •

فهل يمكن لهذا الخالق المعبود الحق الاتي يرسل اساتذة ليدرسوا
ما في ذلك الكتاب الكبير ويعلموا ما فيه ؟

أم هل يمكن الاتي يبعث مفسرين ليفسروا آيات ذلك القرآن الصمداني •
أم هل يمكن الاتي يعيّن إماماً لذلك المسجد الاكبر ليؤم الذين يعبدونه
بانماط واشكال مختلفة من العبادات ؟؟

أم هل يمكن الاتي يزود أولئك الاساتذة والمفسرين والائمة بالأوامر
السلطانية؟! حاشا لله وكلا ٠٠٠ وألف ألف مرة كلا ٠ ١

ان الخالق الرحيم الكريم الذي خلق هذا الكون - إظهاراً لجمال رحمته وحسن رأفته وكمال ربوبيته - لذوى الشعور ليحثهم على الشكر والحمد ، فخلقه على هيئة دار ضيافة فخمة ، ومعرض رائع واسع ، ومتنزه جميل بديع ، حيث صفت فيه ونضد ما لا يحصى من النعم اللذيذة المتنوعة المختلفة ، ونظم فيه ما لا يعد من خوارق الصنعة وبدائعها الرائعة .

فهل يمكن ، ام هل يعقل الا يتكلم هذا الخالق الرحيم الكريم - بواسطة رسله - مع ذوى الشعور من مخلوقاته في دار ضيافته الفاخرة هذه ، والا يعلمهم وظائف شكرهم وامتنانهم ومهام عبوديتهم تجاه رحمته السابغة وتودده الظاهر؟! كلا ٠٠٠ ثم ألف ألف مرة كلا !

ثم ان الخالق الذي يحب خلقه وصنعتة ، ويرغب جلب الإعجاب والتقدير اليه ، بل يطلب استحسانه وتثمينه - بدلالة اهتمامه بالأنواع من الاذواق في الافواه فيعرف نفسه سبحانه بكل مخلوق من مخلوقاته ويحببها كذلك مظهراً نوعاً من جماله المعنوي ، بما زين هذا الكون ببدايع صنائعه ومخلوقاته . فهل يعقل الا يتكلم مع قسم من عظماء البشر وهم سادة ذوى الحياة ؟

وهل يمكن الا يبعثهم رسلاً اليهم ، فتظل تلك الصفات الجميلة دون تقدير وتظل تلك الاسماء الحسنى الخارقة دون استحسان ولا اعجاب ويظل تعريفه وتحببه دون مقابل؟! حاشا لله وكلا ٠٠٠ ثم ألف ألف مرة كلا!

ثم ان المتكلم العليم الذي يستجيب - في وقته المناسب - لدعوات جميع ذوات الحياة ، مليئاً حاجاتها الفطرية ، ومغيثاً تضرعاتها ورغباتها المرفوعة اليه بلسان الحال - فيتكلم صراحة فعلاً وحالاً باحساناته غير النهائية لهم وانعاماته غير المحدودة عليهم، مظهراً القصد والاختيار والارادة .

فهل يمكن وهل يعقل ان يتكلم هذا المتكلم العليم مع أصغر كائن حي فعلاً وحالاً ويسعف دأه ، ويفيئه باحسانه ، ويسد حاجاته ، ومن ثم

لا يتقابل الرؤساء المعنويين للانسان الذي هو سيد أغلب المخلوقات الارضية ، وهو خليفة الله في أرضه ، وهو النتيجة المستخلصة من الكائنات ؟
فهل يعقل ألا يتكلم معهم قولاً وكلاماً مثلما يتكلم مع كل ذي حياة فعلاً وحالاً ، أم هل يمكن ألا يرسل معهم اوامره ، وصحفه وكتبه المقدسة؟
حاشا لله . . ثم ألف ألف مرة كلا !

وهكذا يثبت « الايمان بالله » مع حججه القاطعة الثابتة غير النهائية
الايمان (بكتبه) المقدسة (وبرسله) الكرام عليهم السلام .

ثم ان الذي جعل الكون يسوي بالحقيقة القرآنية ويطرنم بها والذي عرّف وعرّف باكمل وجه ذلك الخالق البديع الذي عرّف نفسه وحبّبها لجميع خلقه - فأوجب عليهم الشكر فعلاً وحالاً - فأحبّه وحبّبه ، وادى شكره له وجعل الآخرين يشكروونه بل جعل الأرض تردد « سبحان الله والحمد لله والله اكبر » حتى اسمعت السموات العلى . والذي قابل الربوبية الظاهرة للخالق العظيم بعبودية واسعة كلية فقاد خمس البشرية كمية ونصفها نوعية خلال ألف وثلاثمائة سنة قيادة حتى اهاج البر والبحر وملاً شوقاً ووجداً ، والذي هتف بسور القرآن الكريم - لاجل المقاصد الآلية - في اذن الكون ولدى جميع العصور . فالقى درساً عظيماً ، ودعا بدعوة كريمة ، مظهراً وظيفة الانسان وقيمته ومبيناً مرتبته ومنزلته .

ذلكم هو محمد الأمين - عليه افضل الصلاة والسلام - الصادق المصدّق بألف معجزاته .

فهل يمكن ألا يكون هذا العبد العزيز المصطفى المختار اكرم رسول لذلك المعبود الحق ، وهل يمكن ألا يكون أعظم نبي له ؟ حاشا وكلا . .
ألف ألف مرة كلا !

فحقيقة (أشهد ان لا إله الا الله) - مع حججها اذن - تثبت (أشهد أن محمداً رسول الله) .

ثم ان الخالق الذي جعل مخلوقاته يتبادلون الكلام بمئات الآلاف من
الالسنه واللغات وهو الذي يسمع كلام الجميع ويعرفه ، فهل يمكن الا
يتكلم هو ؟ . . كلا ثم كلا !

فالقرآن الكريم الذي نور ثلاثة عشر قرناً واضاءها ، والذي تتناقله
في كل ساعة مائة مليون لسان بكل اجلال وتوقير ، والذي سطر في صدور
ملايين الحفاظ بكل سمو وقداسة ، والذي اُدار بقوانينه القسم الأعظم من
البشرية ، وربى نفوسهم وزكى ارواحهم ، وصفى قلوبهم وأرشد عقولهم .
والذي هو معجزة اثبت اعجازه بأربعين وجهاً في رسائل النور ، ووضّح ان
له اعجازاً لكل طبقة من الطبقات الاربعين للناس (كما جاء في المکتوب
التاسع عشر . ذات الكرامة الخارقة) . والذي استحق بحق أن يطلق
عليه « كلام الله » وثبت ذلك ودلّ عليه اذ اصبح محمد عليه الصلاة والسلام
مع آلاف معجزاته معجزة باهرة من معجزاته .

فهل يمكن الا يكون هذا القرآن الكريم - معجز البيان - كلام ذلك
المتكلم الازلي سبحانه وهل يمكن الا يكون اوامر ذلك الخالق السرمدي
جل وعلا ؟ حاشا وكلا ألف ألف مرة كلا !

ف « الايمان بالله » مع جميع حججه يثبت ان القرآن الكريم كلام الله
عز وجل .

ثم ان السلطان ذا الجلال الذي يملأ سطح الارض بنوى الحياة
باستمرار ويفرغه ، مُعمراً دنيانا بنوى الشعور لأجل معرفته سبحانه
وعبادته وتسبيحه .

فهل يمكن لهذا السلطان ذي الجلال ان يترك السموات والنجوم خالية
فارغة ، ولا يعمر تلك القصور السماوية بأهالي وسكنة تناسبها ؟

وهل يمكن ان يترك (هذا السلطان العظيم) سلطنة ربوبيته في اوسع
ممالكه بلا هيبة وعظمة ، وبلا موظفين مأمورين ، وبدون سفراء رسل ،
وبدون ناظرين مشرفين ، وبدون مشاهدين معجبين ، وبدون عباد مكرمين ،

وبدون رعايا مطيعين ١٩

حاشا لله وكلا ٠٠ بعدد الملائكة ٠٠

ثم ان الحاكم الحكيم والعليم الرحيم الذي كتب هذا الكون بشكل كتاب ، بحيث سجل تاريخ حياة كل شجرة في كل بذر من بذورها ، ودون وظائف حياة كل عشب ومهام كل زهر في جميع نواها ٠ وكتب جميع حوادث الحياة لكل ذوى شعور في قواه الحافظة الصغيرة كالخردل ٠ واحتفظ بكل عمل في ملكه كافة ولكل حادثة في دوائر سلطنته بالنقاط صورها المتعددة ، والذي خلق الجنة والنار والصراط والميزان الاكبر لأجل تجليات العدالة والحكمة والرحمة التي هي اهم اساس للربوبية وتحققها ٠

فهل يمكن لهذا الحاكم الحكيم ولهذا العليم الرحيم الا يسجل اعمال الانسان التي تتعلق بالكائنات ؟!

وهل يمكن الا يدون افعاله ولا يكتب سيئاته وحسناته في السواح القدر ١٩ حاشا لله وكلا بعدد حروف ما كتب في اللوح المحفوظ للقدر ٠
أي أن حقيقة « الايمان بالله » مع حججها تثبت حقيقة « الايمان بالملائكة » كما تثبت حقيقة « الايمان بالقدر » أيضاً اثباتاً قاطعاً ٠ كالشمس التي تظهر النهار والنهار الذي يدل على الشمس ، فالاركان الايمانية يثبت بعضها البعض الآخر هكذا ٠

النقطة الثانية :

ان جميع ما دعت اليه الكتب والصحف السماوية كافة وفي مقدمتها القرآن الكريم وجميع الدعوات التي قام بها الانبياء عليهم السلام كافة وفي مقدمتهم محمد عليه الصلاة والسلام ، تدور على عدة اساس ثابتة ٠ وكان سعيهم دائماً لاثبات تلك الاسس وتلقينها للآخرين ٠ فجميع الحجج والدلائل التي تشهد على نبوتهم وصدقهم متوجه معاً الى تلك الاسس مما تزيدها قوة واحقية ٠ وما تلك الاسس الا الايمان بالله وباليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره من الله تعالى ٠

فلا يمكن اذن التفريق بين اركان الايمان الستة اطلاقاً ، حيث أن كل

ركن من الاركان يثبت الاركان عجمة بل يطلبها ويقتضيها ، لذا فان الاركان الستة كلٌ وكلّي الى درجة انها لا تقبل التجزأة البتة . فانقسامها غير ممكن ابدأ . فكما ان كل غصن من اغصان الشجرة المباركة (شجرة طوبى) الممتد جذرها في السماء وكل ثمر من ثمارها وكل ورقة من اوراقها يستند على الحياة الخالدة لتلك الشجرة ، ولا يتمكن أحد ان ينكر تلك الحياة العظمى الظاهرة كالشمس وتلك الحياة الاصيلية المثبتة ، ولا يمكنه مطلقاً ان ينكر حياة ورقة واحدة متصلة بها . ولئن انكر ، فان تلك الشجرة تكذبه بعدد اغصانها وثمارها واوراقها وتسكته ، كذلك الايمان باركانه الستة هو بالصورة نفسها .

هذا ولقد كانت النية معقودة على بيان الاركان الايمانية الستة في ست نقاط وفي كل نقطة خمس نكات ذات مغزى ، وكانت الرغبة متوجهة الى اجابة السؤال المثير الوارد في المقدمة ببيان اكثر وتوضيح اوسع ، الا أن عوائق وعوارض حالت دون ذلك . بيد أنني أخال أن النقطة الاولى لم تدع سبيلاً لايضاح اكثر لأهل الدراية حيث انها مقياس كافٍ للموضوع . وقد وضح تماماً انه اذا ما انكر المسلم اية حقيقة ايمانية كانت غانه يتردى الى الكفر انطلق ؛ اذ تسلسلت الاركان الايمانية بعضها ببعض وفصل الاسلام ووضح ما أجمل في الاديان الاخرى . فالمسلم الذي لا يعرف محمداً عليه الصلاة والسلام ولا يصدق به فلا يعرف الله سبحانه اذن (بصفاته) ولا يعرف الآخرة كذلك . فليس هناك مجال للانكار قطعاً اذ أن ايمان المسلم قوي ورصين الى درجة لا يتزعزع ابدأ لاستناده الى حجج كثيرة جداً وكان العقل يرضخ وضوحاً لقبول هذا الايمان .

(النقطة الثالثة :

قلت ذات مرة « الحمد لله » . ثم بحثت عن نعمة عظيمة جداً تقابل معناه . فخطر على القلب الجملة الآتية : [الحمد لله على الايمان بالله ، وعلى وحدانيته ، وعلى وجوب وجوده وعلى صفاته ، واسمائه ، حمداً بعدد تجليات اسمائه من الازل الى الابد] . فتأملت فيها فوجدتها مطابقة تماماً للمعنى . . . وهي كالآتي :-

من جنان التوحيد

- بشائر التوحيد
- لا شريك له
- نور التوحيد
- نافذة الى التوحيد

بشائر التوحيد

« لا اله الا الله ، وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ، ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، واليه المصير ، » .

ان هذه الجملة التوحيدية عبارة عن احدى عشرة كلمة وان تكرارها بعد صلاتي « الفجر والمغرب » له فضائل كثيرة ، حتى لقد وردت في احدى الروايات الصحيحة ان هذه الجملة تحمل مرتبة « الاسم الاعظم » .

فلا غرو اذن أن في كل كلمة من كلماتها أملاً وبشرى ومرتبة من مراتب توحيد الربوبية ، وأما من زاوية الاسم الاعظم فان في كل كلمة من كلماتها كبرياء الوحدانية وكمالها ، لذا نحيل ايضاح هذه الحقائق السامية والواسعة الى سائر « الكلمات » مكتفين هنا بوضع فهرس لها على صورة خلاصة مجملة تتكون من « مقامين » و « مقدمة » .

المقدمة :

اعلم - قطعاً - أن الغاية العليا للخلق والنتيجة المهمة للفترة الإنسانية إنما هي « الايمان بالله » . وأن المرتبة السامية للانسان والمقام الاعظم للبشرية إنما هي في ما ينطوي عليه الايمان بالله من « معرفة الله » . وأن السعادة الحقيقية المشعة للجن والانس والنعمة اللذيذة لهما إنما هي فيما تحتضنه معرفة الله من « محبة الله » . وأن السرور الخالص للروح البشرية والفرحة الغامرة الصافية للقلب الانساني هو « اللذة الروحية » الموجودة في « محبة الله » . تلك .

نعم ان السعادة الحقيقية والسرور الخالص والنعمة اللذيذة واللذة الصافية لتكمن في « معرفة الله » وفي « محبة الله » فتلكم الأشياء لا تتأتى عبثاً

من دون الايمان بالله ، فالذي يعرف خالقه اذن ويحبه يكون أهلاً لسعادة عظيمة ونعمة كبرى وأنوار لا نهاية لها وأسرار لا حدود لها ، أما « فعلاً » وأما استعداداً •

بينما الذي لا يعرف خالقه معرفة حقيقية ولا يكن له حبا وودا يصاب بشقاء وآلام وأوهام لا نهاية لها سواء منها المادية أو المعنوية •

نعم ، ان الانسان - حتى لو كان مالكاً للعالم كله - فليس له قيمة في عالم البشر المسكين هذا فتيلاً ، وضمن هذه الحياة القصيرة غير المجدية ، وبهذه الصورة التي يتوهمها - هو - بانها خالية من أي صاحب أو مالك أو حفيظ •

فهو واضح ومعلوم للجميع اذن مدى شقاوة هذا الانسان في دوامة هذه البشرية المضطربة وخلال هذه الحياة الدنيوية الفانية لو لم يجد مالكة ومولاه الحق •

ولكن حينما يجد مولاه الحق ويتعرف على خالقه الكريم ويلجأ الى كنفه ويستظل بمظلة رحمته الواسعة مستنداً الى قدرته المطلقة ، تتحول الدنيا - عندئذ - الى مكان مؤنس للتجارة والى متنزه جميل رائع والى دار استراحة وأمن واطمئنان بدلا عن مكان موحش مخيف مؤلم •

« المقام الاول »

في كل كلمة من كلمات هذا الكلام التوحيدي بشرى سارة وأمل دافئ ، وضمن تلك البشرى شفاء روحي وخلال ذلك الشفاء الروحي تنوق لنة معنوية •

الكلمة الاولى :-

(لا إله الا الله) - ان في هذه الكلمة بشرى وأملا كآلاتي : ان روح الانسان المبتلى بحاجات لا محدودة ، والهدف المقصود لهجوم أعداء لا نهاية لها ، لتجد في هذه الكلمة نقطة « استعداد » عظيمة الى درجة

بحيث تفتح له باب خزينة رحمة تصب عليه كل ما تسد حاجاته تلك فتطمئن • وتجد أيضا نقطة « استناد » رصينة الى درجة بحيث تعرفه على خالقه ومعبوده • لا بل تريه مولاه وتأخذ بيده الى مالكة ذي القدرة المطلقة الذي يستطيع انقاذه من شر أولئك الاعداء كافة •

فبهذا التعرف على الله يتخلص القلب الانساني من الوحشة المطلقة وتنجو الروح الانسانية من الحزن الاليم اذ يؤمن الله فيه للمؤمن فرحاً ابدياً وسروراً دائماً •

الكلمة الثانية :-

« وحده » - ففي هذه الكلمة أمل شاف وبشرى باعثة على السعادة ، هكذا : ان الروح البشرية والقلب الانساني - المرهقين البائسين بل الفارقين الى حد الاختناق بكثرة ارتباطهما ووثوق علاقتهما بالكائنات كافة - لتجدان في كلمة « وحده » ملجأ لهما ومنقذاً • حتى أنها تنقذهما من تلك المهالك والسوامات جميعها ، بمعنى أن كلمة « وحده » تقول :

أن « الله واحد » • فلا تتعب نفسك ولا ترهقها بمراجعة سواء ، ولا تتذلل فتدخل نفسك تحت منة الغير وأذاه • ولا تتعلق لما سواء وتحني رأسك له • ولا تحمل نفسك مشقة السير وراء الغير ، ولا ترتعد ولا تخشى مما سواء • لأن سلطان الكون واحد ، فمفتاح كل شيء عنده ومقود كل شيء بيده ، وتتحل عقدة كل شيء بأمره ، وتنفرج كل شدة وأمر وشأن بإرادته ، فاذا وجدته هو فقد فزت بمطلوبك ونجوت من المخاوف والأوهام والمنن والأذى •

الكلمة الثالثة :

(لا شريك له) أي : أن الله واحد وليس بمتعدد : فكما أن الوهيته وسلطنته مجردتان من الشرك ومنزهتان منه ، فان ربوبيته سبحانه وإجراءاته وإيجاداته كذلك خالية من الشرك • بخلاف سلاطين الأرض اذ يحدث

أن يكون السلطان هذا واحداً في سلطنته لا يشاركه فيها أحد الا أنه في إجراءاته وتنفيذه هناك الحرس والحاشية والموظفون ممن لهم شركاء له في ذلك . بل باستطاعتهم السماح أو منع أي واحد بالدخول في حضرته قائلين: « راجعونا قبل الدخول في حضرة الملك » .

ولكن الحق سبحانه وتعالى وهو سلطان الأزل والأبد ليس بحاجة الى شركاء ولا الى معينين في إجراءات ربوبيته وتنفيذ أوامره كما هو الحال في سلطنته سبحانه ؛ ذلك لأنه لا يجرؤ أي شيء - كائن من كان - أن يتدخل أو يتعامل مع الآخر أبداً ما لم يحضر أمره وإرادته وما لم يكن هناك حوله وقوته ، وأنه بمقدور أي واحد أن يراجع بنفسه مباشرة وذلك لعدم وجود شريك أو معين له فلا يقال للمراجع اذن : « ممنوع الدخول في الحضرة الالهية » .

وهكذا فان هذه الكلمة تحمل أملا عظيما وبشرى بهيجة بحيث أن الروح البشرية المتشعبة بالايان الخالص تستطيع عرض حاجتها بدون حواجز وبدون حوائل وبدون موانع أو تدخلات أية رغبة كانت من رغباتها في كل آن وفي كل مكان، ويمكن للانسان أن يدخل الى حضرة ذلك الجميل ذي الجلال وذلك القادر ذي الكمال صاحب الأزل والأبد المالك لخزائن الرحمة التي لا تنضب وكنوز السعادة التي لا تنفذ ، فارشاً حاجاته كاملة أمام رحمته الواسعة واجداً مبتغاه بالاستناد الى قوته المطلقة مكتسباً بذلك فرحاً كاملاً وسروراً غامراً .

الكلمة الرابعة :-

(له الملك) يعني : الملك كله له ، فأنت أيضاً ملكه كما أنك مملوكه . وأنت عامل في ملكه . . فهذه الكلمة تفوح أملا وتقطر بشرى شافية وتقول : أيها الانسان لا تحسب أنك مالك نفسك ، حيث أنك لا تقدر إدارة نفسك ولا مراعاتها ، فالحمل ثقيل ، وليس باستطاعتك الحفاظ على نفسك .

ومسايرتها ، فلا تستطيع اجتناب البلى مثلًا ولا توفير لوازم الحياة بنفسك ،
اذن لا تضطرب ولا تجلب لنفسك الآلام سدى • فالمثل لك لغيرك ، وذلك
المالك قادر ورحيم • فاستند الى قدرته ، ولا تنهم رحمته ، دع عنك المعاناة
وذق لذة الحياة وراحتها ، وانبذ الصعاب وحز على الصفاء والسعادة •
وتقول هذه الكلمة :

ان هذه الكائنات التي تهواها معنى وتتعامل معها وترتبط بها بأوثق
العلاقة فتتأثر نتيجة ذلك بأعباء تلك العلاقات ومسؤولياتها الصعبة ويصيبك
البؤس والاذلة من ورائها وليس بمقدورك اصلاحها واعمارها ، انما هي ملك
ذلك القادر الرحيم فارجع الملك اذن الى صاحبه وتخل عنه ، لتسعد بصفاتها
وهنائها ، دون معاناتها ومقاساتها ، فهو حكيم وهو رحيم يتصرف في ملكه
وفق حكمته ورحمته كيفما يشاء •

واذا ما أخذتك الدهشة والحيرة ، فكن كما يقول الشاعر « ابراهيم
حقي » :

[- لنر المولى ماذا يفعل ؟]

فكل ما يفعله حسن جميل !]

فانظر بعد ذلك من خلال النوافذ دون اقتحامها أو الدخول فيها •

الكلمة الخامسة :-

« له الحمد » أي : أن الحمد والثناء والمدح والمنة كلها لله ، ولأنه
به كلها • فالنعم والآلاء - اذن - له وحده وهي تفيض من خزينته بغزارة
وسخاء • وتلك الخزينة دائمة •

فهذه الكلمة تمنح بشري ويسرأ وتقول :

أيها الانسان • لا تتجرع الألم بزوال النعمة ، لأن خزينة الرحمة
لا تنفذ ، ولا تصرخ من الألم بالتفكر بزوال اللذة والتأمل في فنائها •

لأن ثمرة تلك النعمة أنها هي رحمة لا نهاية لها فاذا كانت الشجرة حية وباقية فإن ثمرتها تستمر وتحل محلها أخريات .

وان هناك في لذة النعمة لذة أعظم منها مائة درجة ذلك هو الشكر والحمد على تكرمة الرحمة وتوجهها والتفاتها المتجسد في تلك النعمة ، فترتقي اللذة عندئذ وتكبر مائة مرة ومرة .

فمثلما ان ملكا عظيما وسلطانا ذا شأن اذا ما قدم اليك هدية ، - ولتكن تفاحة مثلا - فان هذه الهدية ستنطوي على لذة تفوق اللذة المادية للتفاح نفسه بمائة بل بألف مرة . تلك هي لذة الالتفات الملكي والتوجه السلطاني المكلل بالتخصيص والاحسان .

كذلك فان كلمة « له الحمد » أي الحمد والشكر والشعور بالانعام في النعمة ، أي التعرف على المنعم بالتفكر بالانعام ، أي التفكير والتبصر في التفات الرحمة وتوجه الشفقة ودوام الانعام ، لتفتح بابا تتدفق لذة معنوية هي الذ من تلك النعم نفسها ألف درجة ودرجة .

الكلمة السادسة :-

« يحيي » أي أنه هو الذي يهب الحياة وهو الذي يرزق تلك الحياة ويديمها بالغذاء الاستمرارا وهو الذي يظهر لوازم الحياة ومقوماتها .
فالأغيات السامية للحياة تعود اليه ، والنتائج المهمة للحياة ترجع اليه ، وان تسعا وتسعين من ثمراتها ونتائجها عائدة اليه ، فهذه الكلمة تنادي الانسان الفاني العاجز نافخة فيه روح الأمل قائلة :

- أيها الانسان لا تتعب نفسك ولا ترهقها بتحمل تكاليف الحياة الباهظة والثقيلة على عاتقك ، ولا تحزن وتعذب نفسك بتصور فناء الحياة وانتهائها ، وتستاء وتتذمر بمحيثك الى الحياة الدنيا ورؤيتك الثمرات العقيمة فيها ، فان الماكنة الحياتية المركبة في سفينة وجودك تعود الى « الحي

القيوم ، فهو الذي يقوم بتجهيز تلك الماكنة الناطقة وتزويدها بمصاريفها ولوازمها ، وأن لهذه الحياة غاياتها ونتائجها الكبيرة جدا وكلها تعود اليه ، وما أنت الا شخص مسافر وعامل بسيط في تلك الباخرة . . باخرة الوجود .
فقم بواجبك على الوجه الأكمل والأحسن وبالشكل المطلوب منك ، ومن ثم اقبض اجرتك وتمتع بها وتفكر بمدى أهمية تلك السفينة وتأمل بمدى قيمتها ومدى انتاجها للفوائد الجميلة العظيمة ومدى كون صاحبها كريما ورحيما .

فأسبح في فضاء السرور والسعادة والفرحة الغامرة منطلقا من ممنويات
إيمانية سامية شاكرا لله حامدا له .

وأفهم بأنك اذا استقمت في مهمتك فان النتائج التي ستترتب على
هذه السفينة ستسجل أولا في صحيفة أعمالك ، ومن ثم تؤمن لك حياة باقية
فتحيا حياة أبدية .

الكلمة السابعة :-

« ويميت » أي : أنه هو واهب الموت ، أي أنه هو الذي يسرح من
وظيفة الحياة فيبدل مكانك في الدنيا الفانية ، وينقلك من تكليف الخدمة ،
ومشقة المسؤولية وأعباء الوظيفة . أي أنه يأخذك من الحياة الفانية الى
الحياة الباقية ، فهذه الكلمة تستصرخ الأنس والجنان الفانيين قائلة :

- اليكم البشرى والأمل والسلام . . فالموت ليس اعدا ، وليس
عبثا ، وليس سدى ، وليس فناء ، وليس انقراضا ، وليس انطفاء ، وليس
فراقا أبديا ، وليس عدما ، وليس تصادفا ، وليس انهداما بلا فاعل . .
بل هو تسريح من لدن فعال حكيم رحيم وتبديل مكان ، وسوق نحو
السعادة الأبدية - كسوق الجيش - الى الوطن الاصلي ، وهو باب وصال
لعالم البرزخ الذي يجمع تسعا وتسعين بالمئة من الاحباب .

الكلمة الثامنة :-

(وهو حي لا يموت) أي : ان الكمال والحسن والاحسان الذي هو وسيلة المحبة الظاهرة في موجودات الكون تتجلى كلها بما هو فوق الدرجات العلى في مالِك الجنال والكمال والاحسان وصاحبه ، فهو البديل اذن لكل الاحبة والاعزاء .

اذ يكفي تجل من تجليات جمال ذلك المعبود الحي ، وذلك المحبوب القيوم بجميع تلك الاحبة والمحجوبات فهو المالك لحياة ابدية دائمية وهو المنزه عن كل شوائب الزوال والفناء وهو المبرأ من كل عوارض النقص والقصور سبحانه . . فهذه الكلمة تعلن للملأ جميعا من الجن والانس وأولى المشاعر والفطنة وأهل العشق والمحبة قائلة : اليكم نسمة أمل وخير فان هناك محبوبا باقيا يداوي الجروح المتمخضة من الفراق الابدي لاحتكم بمرهم رحمته ، فما دام هو موجودا باقيا فلا تهتموا اذن ولا تقلقوا بشأن الآخرين .

بل ان الحسن والاحسان والفضل والكمال الذي هو سبب محبتكم وتلفكم لتلك المحجوبات انما هو ظل ضعيف جدا انشق عن ظلال الحجب لتجل واحد من تجليات جماله الباقي للمحجوب الباقي سبحانه .

فلا يعذبكم زوال أولئك وفراقهم لأن جميعها انما هي نوع من المرايا ، وان تبديل المرايا تلك انما هو لتجديد وتزيين شعشة تجلي جماله ولمعانه .
فما دام هو موجودا ، فكل شيء موجود اذن !

الكلمة التاسعة :-

« بيده الخير » أي أن كل الخير بيده هو ، وكل أعمالكم الخيرة وحسناتكم تسجل في سجله ، وكل ماتعملونه من أعمال صالحة تدرج عنده .
فهذه الكلمة تنادي الجن والانس واهبة اياهم الأمل والشوق والبشرى قائلة : ايها المساكين لا تقولوا عندما تغادرون الى المقبرة (أوامه .

وا أسفاه) لقد ذهبت أموالنا ههنا ، ومضى سميننا عبثا وهباء ، ودخلنا
باطن الأرض الضيق بعد هذه الدنيا الفسيحة الجميلة •

لا • لا تصرخوا يائسين ضجرين •• لأن كل ما لديكم محفوظ عنده
وفي أمان لديه ، وقد كتبت كل أعمالكم ، وقد دونت كل خدماتكم ، فان
الذات الجليلة - جلّت وعلت - ستكافئكم على تلكم الخدمات والأعمال
الطيبة ، فكل خير بيد الله وبمقدوره تقديم أي خير لكم وسيجلبكم اليه بعد
أن يبقاكم موقتا تحت الأرض • ويأخذكم الى ديوان حضرته •

فما اسعدكم اذن وأنتم قد أتممت خدماتكم وأنهيتم وظائفكم وقد برئت
ساحتكم وأنتم ماضون لقبض الاجور العادلة •

نعم ان الذي حافظ في الربيع الماضي على البذور والنوى التي هي
صحف أعمال ذلك الربيع ودفاتر خدماته وحجرات وظائفه وأوصلها - وهو
القادر الجليل - في غاية التائق والبركة وبفزادة اكثر من قبل وبمنط فريده
ونشرها في هذا الربيع الحاضر •• فانه لا ريب سيحافظ على نتائج حياتكم
ومصائر اعمالكم وسيجازيكم على اعمالكم بأحسن الجزاء وأجزل الثواب •
الكلمة العاشرة :-

(وهو على كل شيء قدير) أي : أنه واحد أحد ، قادر على كل شيء ،
لا يشق عليه شيء ، ولا يصعب عليه أمر فخلق ربيع كامل - مثلا - وإيجاده
سهل ويسير عليه كخلق زهرة واحدة فلا يصيبه لغوب ولا تعب ، وخلق
الجنة عنده كخلق ذلك الربيع وبالسهولة نفسها واليسر الكامل • والمخلوقات
غير المحدودة التي يوجدها ويجدها في كل يوم وفي كل سنة وفي كل عصر
لتشهد كلها بالسنة لانهاية على قدرته المطلقة •

فهذه الكلمة أيضا تمنح أهلا وبشرى وتقول :

أيها الانسان ان الخدمة التي أديتها والعبودية التي قمت بها لن
تنذهب سدى لأن دارا للمكافاة قد هيئت وان محلا للسعادة قد أحضر لك •

ولقد جعل سبحانه بديلا لدنياك هذه .. جنة باقية تنتظرك بلهفة
وشوق . فاطمئن للمخالق الجليل الذي عبدته وتعرفت عليه واعتمد على
وعده ، فمحال عنده خلف الوعد .

وقدوته العظيمة خالية من النقص فلا يتدخل العجز الى أفعاله مطلقا
ففي الوقت الذي يخلق لك حديقتك الصغيرة ويحييها .. يمكنه أن يخلق
لك الجنة الواسعة بل قد خلقها ووعدك بها ، فلا جرم أنه سينفذ وعده.
ويأخذك الى تلك الجنة .

وما دمنا نرى بالمشاهدة أنه ينشر في كل عام ويحشر على وجه البسيطة
أكثر من ثلاثمائة ألف نوع من النباتات وطوائف الحيوانات بكمال الانتظام
والميزان وبكمال السرعة والسهولة .

فلا غرابة إذن على مثل هذا القادر الجليل أن يضع وعده موضع
التنفيذ . وما دام التقدير المطلق يوجد في كل سنة آلاف النماذج للحشر
والجنة وبمختلف الأنماط والأشكال . وما دام الخالق العظيم يبشر بالجنة
الأمولة ويعد بالسعادة الأبدية في جميع أوامره السماوية . وما دامت
جميع إجراءاته وشؤونه حقاً وحقيقةً ، وصدقاً وصداقة وجداً وأصيلاً ..
وما دامت آثاره وكمالاته تشهد على كماله المطلق وتدل عليه . وما دام
أنه منزّه عن كل نقص أو قصور ، وما دام نقض العهد وإخلاف الوعد
والكذب والمحاولة من الصفات القبيحة ومن النقص والقصور .. فلا بد
ولا بد من أن ذلك التقدير ذا الجلال وذلك الحكيم ذا الكمال وذلك الرحيم ذا
الجمال سينفذ وعده حتماً مقضياً فاتحاً باب السعادة الأبدية على مصراعه ..
وسيدخلكم أيها المؤمنون الجنة .. موطن أبيكم آدم عليه السلام !

الكلمة الحادية عشرة :-

(واليه المصير) أي : أن الناس الذين يرسلون الى دار الدنيا للامتحان
والابتلاء والتجارة والتوظيف والمهام العظيمة ، سيرجعون بالتالي الى مرسلهم.

الخالق ذي الجلال بعد أن أنجزوا تجارتهم واثموا وظائفهم وأنهوا خدماتهم وسيلاقون مولاهم الكريم ، أي أنهم سيتشرقون بالمشول بين يدي ربهم الرحيم وفي مقر سلطنته الأبدية وسيلتقون به لقاء مباشرا ليس بينهم وبينه حجاب ، وقد خلصوا من مخاض الأسباب وظلام الحجب والوسائط .

وسيجد كل واحد منهم ويعرف بصورة مباشرة من خالقه وربّه وسيدّه ومليكه .

فهذه الكلمة تشع أملا وتتألق بشرى بما تفوق كل تلك الآمال والبشائر اللذيذة قائلة :

أيها الانسان !

هل تعلم الى أين أنت سائر ؟ وإلى أين أنت صائر ؟!

فكما قيل في ختام (الكلمة الثانية والثلاثين) : « بأن قضاء ألف سنة بسعادة مرفهة في الحياة الدنيا لا تساوي ساعة واحدة من حياة الجنة ، وأن حياة ألف سنة بسرور الجنة ونعيمها لن تساوي ساعة من فرحة رؤية جمال الجليل الجليل سبحانه » ، فأنت أيها الانسان راجع الى دائرة رحمته صائر الى أعتاب ديوان حضرته ، فأما الذي ترونه من أحببتكم المجازين – الذين تشتاقون اليهم بل ابتليتكم افتتنتم بهم – من الحسن والجمال ، وتلهفكم بموجودات الدنيا إنما هو نوع ظل من تجلى جماله وحسن أسمائه الجليلة .

فالجنة بكل لطائفها ولذائدها ما هي الا تجل من تجليات رحمته وجميع أنواع الشوق والمحبة والانجذاب والجواذب ما هي الا لمة من محبة ذلك المعبود الذي لم يزل وذلك المحبوب الذي لا يزال .

فأنتم ذاهبون اذن الى دائرة حظوته ومقام حضرته الجليلة .

وأنتم مدعوون الى جنته الخالدة التي هي دار ضيافته الأبدية .

فلا تهنوا اذن ولا تحزنوا ولا تبكوا لدى دخولكم حفرة القبر .. بل
استبشروا واستقبلوا القبر برحابة صدر وابتسامة فرح .

وهذه الكلمة تتابع وظيفتها في بث نور الامل والبشرى وتقول :
أيها الانسان !

لا تتوهم فتتصور أنك ماض الى الفناء أو العدم أو العبث أو الظلمات
أو النسيان أو التفسخ أو التحطم أو الانهشام أو الفرق في الانعدام ..

- وانما أنت ذاهب الى البقاء وليس الى الفناء .
- وأنت مسوق الى الوجود الدائم وليس الى العدم .
- وأنت داخل الى عالم النور وليس الى الظلمات .
- بل أنت سائر نحو مولاك ومالكك الحقيقي ..
- وأنت عائد الى مقر السلطان الازلي سبحانه وتعالى .

فأنت ستتنبس في دائرة الوحدة فلا تفرق في الكثرة ، وأنت متوجه
الى اللقاء والوصال دون البعاد والفراق !

لَا شَرِيكَ لَهُ

[لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا] الانبياء - ٢٢

« لا اله الا الله ، وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ، ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، واليه المصير » .

ان هذا الكلام الطيب الجميل ، كلام توحيد يتكون من احدى عشرة جملة في كل منها بشارة وسارة ومرتبة من مراتب التوحيد .

وفي احدى ليالي رمضان المبارك ، كنت قد بينت - بياناً يقرب من فهم العوام - ما في جملة « لا شريك له » من المعاني الجميلة ، على شكل محاور ومناظرة افتراضية ذكرت فيها لسان الحال بدلاً عن لسان المقال ، والآن ادرجها كما هي ، اسعافاً لطلب بعض الاخوة . وهي كالآتي :

ان الملاحدة وأهل الشرك والضلالة على اختلاف انواعهم يحيلون اسباب الخلق والتدبير الى القوى الطبيعية ، والاسباب المادية والصدفة وغيرها ، ويقيمونها مقام الخالق الحكيم .

فلنمثل ما يتوهمه أهل الشرك والكفر من شركاء الله تعالى في شخص «عفترض ، وان هذا الشخص المفترض يريد أن يكون « رباً » لموجود ما فيدعي التملك الحقيقي له .

وهكذا فقد قابل ذلك المدعي اولاً ما هو اصغر شيء في الوجود وهو «النرة» فقال لها بلسان الطبيعة والفلسفة المادية :

— أنا ربّ وما لك لك ، لذا اتصرف فيك كيف أشاء .

فأجابته الذرة بلسان حقيقة حالها ، وبلغه الحكمة الربانية المودعة فيها :

— اني مأمورة مطيعة ، أنجز ما لا يعد من الوظائف والخدمات •
فأدخل بنظام الى جميع الموجودات على اختلافها ٠٠٠ فان كان لك أيها المدعي ، علم واسع يحيط بجميع تلك الأنظمة وأواصرها ، وقدرة شاملة لتوجيه جميع تلك الوظائف في شؤونها ٠٠٠ وحكم نافذ وهيمنة كاملة على تسخير وتوجيهي — مع امثالي (١) من الذرات المتجولة في الوجود — بانتظام كامل • أي تسخر الموجودات — التي أنا جزء منها — تحت حكمك ونفوذك !! •

نعم ان كان لك كل ذلك ، فيمكنك ادعاء الربوبية والمالكية علي ، فتسند وظائفني وخلقني الى غير خالقي ومالكي وهو الله سبحانه وتعالى • والا فاخرس • فمثلاً لن تكون رباً لي ، لن تستطيع كذلك التدخل في شؤوني لأنك أيها المدعي ، عاجز ، جامد ، أعمى ، أصم ، أسير بيد الطبيعة والصدفة ، وانهما مسميات وهمية لا يحركان ساكناً ، وعاجزان عمياوان • فهل يمكن أن تدخل الأعمى اصبعه في أمثال وظائفنا التي تدار بكل بصيرة وحكمة ؟! اذ لو تدخل لأفسد • فان وظائفنا دقيقة جداً ، وحركاتنا

(١) نعم ! ان كل شيء متحرك — ابتداءً من الذرات الى الكواكب السيارة يدل على الوجدانية ، بما فيه من سكة الصمدانية وطاقبها ، حيث يضم جميع الاماكن التي يحول فيها ضمن ملك مالكة • أما المصنوعات الساكنة — ابتداءً من النباتات الى النجوم الثابتة — فهي بمثابة اختتام التوحيد ، حيث يظهر كل منها موضعه الذي فيه ويبينه بمثابة رسالة من صانعه ، ومكتوب منه • أي ان كل نبات ، وكل ثمر ، هو ختم الوجدانية ، وسكة الوحدة ، بما يدل على ان مواضعه وأوطانه رسالة لصانعه البديع •

الخلاصة : ان كل شيء يسيطر بحركته على جميع الاشياء باسم الوجدانية ، أي ان الذي لا يقبض زمام جميع النجوم بيده لن يكون رباً على الذرة ••

موزونة مقدرة بميزان دقيق ٠٠ وهي من الانتظام والكمال بحيث من لم يكن
ذا علم محيط يسع الموجودات جميعها ، وحكمة مطلقة يودع كل شيء في
مكانه اللائق ، وقدره شاملة تمسك الموجودات بيسه ٠٠٠ لا يمكنه ان
يسخر أو يتدخل في أمورنا ٠٠

عندئذ عجز المدعي ، وهاله ما في النرة من أمور محسوب حسابها ،
ولكنه قال لها كما يقول الماديون :-

- اذن كوني مالكة لنفسك ، فلم تدعين انك مملوكة ومحكومة لفيرك؟
وانك تعملين بأمره ولأجله ؟ ٠

فردت عليه الذرة قائلة :

- لو كان لي عقل جبار كالشمس ، وعلم محيط كضوئها ، وقدره
شاملة كحاراتها ، وحواس وشعور واسع كالألوان السبعة التي في ضيائها ،
ووجه متوجه الى كل مكان اسبح فيه ، وعين ناظرة وكلام نافذ الى كل
موجود أتوجه اليه ٠٠٠ ربما كنت اتجاهل واتغابي مثلك فادعي الحاكمية
لنفسي ٠٠ ولكن هيهات ٠!!٠ تنح عني فلسفتُ ممن تغافلهم ٠

وعندما ينس مدعي الربوبية ، ووكيل الشركاء من التدخل في أمور
الذرة والتصرف فيها ، تراجع فقابل الكريات الحمر في الدم علته يظفر منها
بشيء ٠ فقال لها بلسان الأسباب والطبيعة والفلسفة المادية :-

- انت تحت تصرفي فاني أنا رب ومالك لك وسوف أدبر أمورك
كلها ٠ !!

وردت عليه الكرية الحمراء بلسان الحقيقة وبالحكمة الربانية
المستترة فيها :-

- اني لست وحيدة منفردة ، ولست طليقة حرة في وظائفني ٠٠ فنحن
جميعاً كالجيش الكثيف في خضم معسكر الدم ، ولي أمثال لا تعد ولا

تحصى • ولنا علاقات متينة وطيدة مع جميع أجزاء الجسم • فنستخدم جميعاً بنظام ، ونسيّر بنظام ، فنعمل بنظام تحت امرة أمر واحد يرى ويبصر الجميع في آن واحد ••

فان كانت لك حكمة بالغة وقدرة شاملة تحكم سيطرتها على جميع الخلايا في الجسم وعلى أوكسجين الهواء ، وتستخدمنا جميعاً بنظام يماثل النظام الذي نحيا في ظله فهاتها ، فربما يكون لدعواك معنى •• ولكنك لا تملك الا الصدفة العمياء ، والطبيعة الصماء ، وهما بلا سمع ولا بصر • فليس في وسعك قط التدخل في شؤوني الكثيرة ، فضلاً عن ان تتصرف في وتدعي الربوبية •• فالنظام فينا محكم وصارم ، والعلاقات بيننا خفية ودقيقة ، مما يدل دلالة واضحة : ان الذي يسيّرنا لا يمكن ان يكون إلا الذي يرى كل شيء ويصنع ، ويسمع كل شيء فيقدر ، وهو الفعال لما يريد •

أليس من الاولى أن تسكت ؟ أما رأيت وظائف الجمّة ، والاحكام الرائع في أنظمتنا ، والقوانين الجارية علينا ؟! •• فلا وقت عندي حتى أجيب على هذرك •

وهكذا طرد المدعي من الكرية الحمراء ، ولكنه قابل الخلية الصفراء فهمس فيها :

— لم أتمكن من ان أسمع دعواي الى النذرة ، والكرية الحمراء لعلّي أجد منك أذنًا صاغية لدعواي، فانك لست الا حجرة صغيرة حاوية على بعض الاشياء ، ! وانني قادر على صنعك وأمثالك •• فكوني اذاً مصنوعاً وتحت امري •

ولكن الخلية أجابته بالنظام الحكيم الدقيق الذي فيها :-

— حقاً انني صغيرة جداً • ولكن اعلم ان وظائفي عظيمة وجسيمة ••

وان عليّ مهام وخدمات جليلة ، واني لست وحيدة وحرّة في هذه الوظائف .
وانما لي روابط وثيقة فيما بيني وبين اخواتي من خلايا الجسم ، فمثلاً :
لي وظائف دقيقة ومتقنة مع جميع الاوعية الدموية (الشريانية والوريدية) ومع
جميع الاعصاب (الحسية منها والحركية) ومع جميع القوى التي تشكل وتنظم
الجسم كالقوى الجاذبة والدافعة والمولدة والمصورة وامثالها ... فهل لك قدرة
شاملة تحيط بجميع تلك الاعضاء والقوى؟ وهل لك حكمة شاملة تسيطر على
الجميع وهل لك قدرة نافذة على جميع الذرات الداخلة والخارجة ؟؟ وعلى جميع
الخلايا ؟؟ .. فان كنت هكذا فارنا ما عندك !! ولاّ فاغرب عنا وما نحن
منهمكون فيه ، اذ أن واجباتنا كثيرة ولا متسع لنا من الوقت كي افهمك
جميع الحكم الالهية التي فينا اذ الكريات الحمر تأتي لنا بالارزاق والبيضاء
منها تدافع عنا ضد الامراض . وان مثلك العاجز القاصر الأصم الأعمى
ليس له حق التدخل في شؤوننا الدقيقة . أما ترى ان الذي يسيّر نظامنا
المحكم الدقيق (٢) ان لم يكن قادراً مطلقاً وحكيماً مطلقاً وعليماً مطلقاً فلا
يبقى نظام ولا انتظام ؟!

(٢) ان الصانع الحكيم قد خلق جسم الانسان على هيئة مدينة منسقة
ومنتظمة جداً ، فقسم من الاوعية يقوم بمهمة التلغراف والتلفون ،
وقسم منها بمثابة الانابيب التي تأتي بالماء من ينابيع تندفق بماء
باعث على الحياة ، فيسير فيها الدم ويجول .. وخلق سبحانه في
الدم نفسه قسمان من الكريات يطلق على احدهما الكريات الحمراء
تلك التي تقوم بتوزيع الارزاق الى حجيرات البدن ، فتوصل اليها
أرزاقها بقانون الهي مثلما يقوم موظفو الارزاق وتجارها بالتوزيع .
والقسم الآخر هو الكريات البيضاء وهي أقل عدداً من الاولى ، ويقوم
بالدفاع عن الجسم - كالجنود - ضد الاعداء من الامراض متخذة
وضعاً سريعاً جداً بنوعين من الدوران والحركة كالريد المولوي حالما
تدخل حومة المعركة .. اما مجموع الدم فله وظيفتان عامتان ..
الاولى : تعمير الحجيرات المتهدمة في الجسم وترميمها .. والاخرى :
جمع النفايات الضارة وانقاص الخلايا وتخليص الجسم منها ..
وهناك قسمان من الاوعية ايضاً ، يطلق على احدهما الشرايين التي
تقوم بنقل الدم الصافي وتوزيعه ، فهي بحكم انابيب نقل الدم

وهكذا ينس المدعي من الخلية أيضاً ، ولكنه قابل جسم الانسان فقال
له كما يقول الماديون بلسان الطبيعة العمياء والفلسفة الضالة .
- أنت ملكي وتحت تصرفي ، فأنا الذي صنعتك .

فرد عليه الجسم الانساني بحقيقة النظام الحكيم الذي فيه ردأ
مقنعاً ، فبهته سائلاً :-

الصافي ، ، والآخ : هو مجاري الدم الفاسد الذي جمع النفائات
الضارة والانقاض ، ويأتي بها الى الرئة التي هي مركز التنفس .
هذا وقد خلق الصانع الحكيم سبحانه عنصرين في الهواء ،
أحدهما : الآزوت . والآخ : مولد الحموضة - الاوكسجين - فهذا
الأخير ما ان يلامس الدم - اثناء التنفس - حتى يجذب اليه الكربون
الكثيف الذي لوّث الدم محولاً اياه الى غاز سام يطلق عليه
« حامض الكربون البخاري » - ثنائي اوكسيد الكربون - . وبهذا
يقوم بتنقية الدم وتصفيته ، فضلاً عن انه يضمن الحرارة الغريزية
للجسم . ذلك لأن الصانع الحكيم قد وهب مولد الحموضة والكربون
علاقة شديدة تلك التي يطلق عليها (الالفة الكيميائية) بحيث
ما ان يقتربا حتى يمتزجا معاً ، فتتولد الحرارة أساساً من هذا
الامتزاج ، اذ الامتزاج احتراق ، وحكمة هذا السر هي ما يأتي :
ان لذرات كل عنصر من العناصر حركات مختلفة ، فائناء
الامتزاج ، تمتزج الحركتان معاً وتتحرك الذرتان حركة واحدة ،
وتظل حركة واحدة معلقة ، سائبة ، فتنتقل - بقانون الصانع الحكيم -
على صورة حرارة . . ومعلوم ان الحركة تولد الحرارة ، كما هو
ثابت ومقرر .

وهكذا ، وبناء على هذا السر ، فان الحرارة الغريزية التي في
الجسم ، مثلما تؤمن بهذا الامتزاج الكيميائي ، فالكربون أيضاً ،
عندما تسلب من الدم يتصفى الدم كذلك .

وهكذا ينقي الشهيق ماء الحياة (الدم) ويشعل نار الحياة .
اما الزفير فانه يشر الكلمات المنطوقة من الفم ، وهي معجزات القدرة
الالهية ، فسبحان من تحرير في صنعه العقول .

- ألك علم واسع وقدره متصرفه على جميع اجسام البشر لتضع
العلامات الفارقة التي في وجوهنا والتي هي طابع القدرة وختم الفطرة ؟
وهل لك ثروة طائلة فتتحكم في مخازن أرزاقى ابتداءً من الهواء والماء الى
النباتات والحيوانات ؟ ومن ثم هل انت صاحب تلك القدرة غير النهائية
والحكمة التي لا حد لها فتجمع اللطائف المعنوية الراقية الواسعة من روح
وقلب وعقل في بودقة صغيرة مثلي !! . وتسيّرُها بحكمة بالغة الى
العبادة ؟ ...

نعم ان كان لك كل هذا فأرنيه !! ثم ادع الربوبية على خلقي ..
والا- فاسكت . واخرس .

نعم ان النظام الكامل الذي يسيّرني يشهد ، وان طابع التوحيد في
وجهي يدل : أن خالقي قدّير على كل شيء ، عليم بكل شيء ، وهو
السميع البصير .

أما أنت أيها المدعي العاجز القاصر فلا يمكنك ان تمد اصبعك في صنعته
وخلقته سبحانه ، ولا يكون لك ان تتدخل - ولو بمقدار ذرة - في شؤونه .
فسرعان ما ولّني المدعي هارباً لما رأى من اسرار دقيقة في جسم
الانسان ، فقال محاوراً نفسه : ان مثل هذه الامور المتقنة الصنع لا يمكن
ان نمد اليها اصبعنا .

فراجع المدعي المغرور نفسه قائلاً : ألا أجد في النوع الانساني ومجتمعه
المزدهم المتشابهك موضع قدم لي ، فلماذا لا اقلد الشيطان في وساوسه
وضلاله وتدخله في افعالهم الاختيارية وشؤونهم الاجتماعية ؟ فلادخل اذاً الى
الفطرة البشرية واتصرف فيها ، واكتفي بها ، فاعوض عما خسرت في
جولاتي مع الذرة والكرية والخلية والجسم !؟

لذا قال مخاطباً النوع الانساني بما يزعمه من الطبيعة الصماء والفلسفة
العمياء : - أنتم أيها البشر تبدون في فوضى وهرج ومرج لا أرى فيكم نظاماً

ينظّمكم ، فاني أنا المالك الحقيقي والمتصرف فيكم ! أو على الأقل لي حصة فيكم .

فردّ عليه حالاً النوع الانساني بلسان الحق والحقيقة وبلغه الحكمة والنظام الساريين فيه :-

- الا ترى انني جزء من هذا الكون المنسق ، ولي سلسلة متشابكة متوافقة مع كل صغيرة وكبيرة فيه . مع الاحياء . مع الهواء . مع الماء ، مع الجبال وحتى مع الشمس والقمر والنجوم ؟

فهل تملك قدرة وحكمة يكون في وسعك أيها العاجز المدعي أن تنسج هذا البساط الرائع البهيج المنسوج بحكمة تامة المفروشي على وجه الأرض، المزخرف بأنواع النباتات والانهار والازهار والبحار ، والمزيت بأنواع الحيوانات والاحياء الاخرى . ليس هذا فقط بل ، وتبدله ، وتجدهه بحكمة مرة بعد أخرى في كل موسم بمثل ما هو عليه من الزينة والجمال الرائع ؟!

فان خالقنا صاحب القدرة المطلقة يجمع لنا من جميع أقطار الأرض ما نجن نحتاج اليه من ضرورات ويهيئها لنا بميزان وتقدير دقيقين فهل عندك هذه القدرة المحيطة والحكمة الشاملة !!

ثم انظر الى القدرة الشاملة المتجلية على وجوهنا وملامحنا ، فقد أودع فيها ربنا علامات فارقة مميزة عن كل ما سبق ويلحق من الوجوه . اذ هو المطلع على الاولين والآخرين حيث يضع تلك المميزات الخاصة لكل انسان . فهل لديك مثل هذا الاقتدار حتى يمكنك ادعاء الربوبية . هيهات . احرص وانصرف . دعنا لشؤوننا .

فان خالقنا سبحانه وتعالى بصير سميع مدبر قدير . فأين عجزك المطلق ايها الاحمق من هذه القدرة ؟! . فلا تحاول ابداً ان تطمع بالتدخل في نوعنا وفطرتنا بما تظنه من اختلاط وفوضى ظاهرة لك . فالنظام كامل والتناسق تام ، وما تبدو من الاوضاع التي قد تظهر مختلطة وفوضى ما هي

الا استنساخ القدرة الربانية وفق كتاب القدر الالهي . ولئن كان النظام دقيقاً في أدنى درجات الحياة من النباتات والحيوانات ، ولا يقبل تدخلاً . فكيف بنا ونحن في قمة درجات الحياة ؟؟ اليس الذي يبدو اختلاطاً وفوضى هو نوع من كتابة ربانية حكيمة .

وهل يمكن ان يتدخل في النقوش البديعة لهذا البساط الزاهي الرباني الزاخر بكل بدائع المخلوقات من النباتات والحيوانات غير صانعه ، وغير خالنه الحقيقي ؟

وهل يمكن ان يكون موجد الثمرة غير موجد شجرتها ؟ . وهل يمكن ان يكون خالق البذرة والنوى غير الذي ينشيء شجرتها ؟ . ولكنك اعمى حقاً . . .

فهلا نظرت الى معجزات القدرة الالهية في وجهي ، وخوارق الفطرة فيه . فان كنت ذا بصيرة ، فستفهم ان صانعي وخالقي هو الذي لا يخفى عليه شيء ولا يصعب عليه أمر ، ولا يعجزه شيء ، فادارة الكواكب السيارة عنده يسيرة كادارة الذرات ، وخلق الربيع الكامل سهل عنده كخلق زهرة واحدة . وهو الذي أدرج في كنهى أسرار الوجود والكون العظيم ، فجعلني فهرساً للكائنات . . فهل يمكن لعاجز واعمى مثلك ان يحشر نفسه في ابداعه وصنعه سبحانه ؟! ألا تسكت الى الابد وتصرف وجهك عنى . . فيطرده . .

ثم يذهب ذلك المدعي الى ذلك البساط الزاهي والثوب المنقش المزين الذي يكسو الكرة الارضية من النباتات والحيوانات الموزعة بنظام رائع . فيخاطبهم بما يزعمه من الاسباب والطبيعة والمادية :-

- انني انا المالك لزام اموركم ، والمتصرف في شؤونكم ، او على الاقل

لي حظ فيكم • فأجابه ذلك البساط المنسوج من ذوى الحياة والحلة
المزينة (٣) بالحكمة الرائعة التي فيه :

— ان كانت لك قدرة نافذة لنسج هذه الفرش والبسط التي هي بعدد
القرون والسنين والايام ، ثم تبدلها باستمرار بنظام واتقان ناشراً ايها على
حبل الزمان بعد تصميمه وتقديره بميزان دقيق محكم في دائرة القدر
بنقوشها الزاخرة البديعة !! وكذا ان كنت مالكا ليد غيبية ذات قدرة وحكمة
بحيث تمتد من خلق الارض حتى دمارها ، بل من الأزل الى الابد ، فتجدد
وتبدل جميع الكائنات في لحمة وسدى بساطي هذا • وكذا ان كنت قابضاً
على زمام الكرة الارضية التي تلبسنا وتكتسى بنا وتتستر ...

نعم ان كنت هكذا ... يمكنك ان تدعي الربوبية علينا • والا فاخرج
مذموماً مدحوراً من الأرض جميعاً فليس لك هنا مقام • فان عندنا من
تجليات الوحدانية وعلاماتها واختامها بحيث من لم يكن جميع الكائنات في
قبضته ، ومقابليد السموات والأرض جميعاً في يده ، ومن لم ير
جميع الأشياء وشؤونها في آن واحد ، ومن لم يكن قادراً على انجاز جميع
الامور في آن واحد ، ومن لم يكن منزهاً عن المكان والزمان — فيكون حاضراً
وناظراً في كل مكان — ومن لم يكن صاحب قدرة وحكمة مطلقتين ...
لا يمكن ان يكون مالكا لنا ابدًا ، ولا يمكن ان يتدخل في أمورنا مطلقاً •

فتراجع المدعي خائباً يائساً وتوجه الى الكرة الارضية باكملها ، على
أمل اغفالها أن يجد جزءاً من مبتغاه • فقال للأرض (٤) مرة اخرى بلسان
الاسباب والطبيعة :

(٣) ولكن مثلما ان هذا النسيج ذو حيوية ، فهو في اهتزاز منتظم كذلك ،
اذ تتبدل نقوشه باستمرار بحكمة كاملة وتناسق تام ، وذلك اظهاراً
لتجليات الاسماء الحسنی المختلفة لنساجه البديع في تجليات متنوعة
مختلفة •

(٤) الحاصل : ان الذرة تحيل ذلك المدعي الى الكرية الحمراء ، وهذه
تحيله الى الخلية ، وهذه الى الجسم ، والجسم يحيله الى النوع

— ان دورانك هكذا دون قصد أو هدف يشف عنك سائبة أو
يتيمة ، اذا فكوني طوع يدي وتحت تصرفي •

فردت عليه الأرض بصيحة كالصاعقة المدوية ، منكرة دعواه ،
بلسان الحق والحقيقة انضمرة فيها :-

— لا تهذر أيها الاحقق الابله ، كيف أكون هملاً وبدون مالك
ومولى ؟ • وكيف يكون جبلي على غاربي كما تتوهم ؟ • فهل رأيت في
نوبي الذي ألبسه « يعني بساط الحياة » خيطاً واحداً فقط نشازاً بغير
حكمة وبدون اتقان ؟ • حتى تحكم عليّ هذا الحكم السخيف •

انظر فحسب الى حركاتي ٠٠٠ وحركة منها هي السنوية (٥) ، التي
أسير مسافة (تقرب من خمس وعشرين ألف سنة) واقطعها بسرعة في
سنة واحدة فقط وبكل نظام وحكمة • منجزة وظائفي الملقاة عليّ بكمال
الميزان والحكمة •

فان كان لديك حكمة مطلقة وقدرة تامة فتسيّر وتجرى معي
رفقائي من السيارات العشر من امثالي في افلاكها العظمى ، فكل منا مختص
بمهام جسيمة ، ونحن مأمورون بالسير والجولان وفق نظام صارم ، لا نعيد
عنه أبداً •

الانساني ، والنوع الى الحلة المنسوجة من الاحياء التي يلبسها سطح
الأرض ، وتحيله حلة سطح الأرض الى الأرض نفسها ، وهذه الى
الشمس ، والشمس الى النجوم • • وهكذا يقول كل منها : انصرف
عنا • • فلم استطعت ان تسيطر على من هو فوقني فحاول السيطرة
عليّ ، ولا فانت عاجز من التحكم عليّ •
فاذا من لم ينفذ أمره الى النجوم كافة لا يمكنه ان ينفذه على
ذرة واحدة •

(٥) اذا كان نصف قطر دائرة (١٨٠) مليون كيلومتراً ، فتلك الدائرة
تكون بمسافة (٢٥) سنة تقريباً •

وكذا ان كنت قادراً على ايجاد إمامنا وقائدنا الشمس المنيرة ، كيف
ان الخالق الحكيم سبحانه ربطنا واياهاً بجاذبية الرحمة ، وبجبالها غير
المرئية !! فهل لديك مثل هذه الحكمة المطلقة يا ترى .. فتديرنا وتجرى
بنا حول الشمس في نظام وحكمة تامين ؟

نعم .ان كنت أيها المدعي ذا قدرة على ادارة هذه الامور العظيمة
وتدبيرها ، فمن الممكن ان تجد من يسمع دعواك ، والا فاترك هذا الهذيان
المفرط وسحقاً لك في جهنم وبئس المصير . ولا تشغلني عن مهماتي ، اذ ان
ما فينا من الانتظام الرائع والتناسق المهيّب والتسخير الحكيم في الدوران
والجولان يدل بوضوح صارخ على ان صانعنا وخالقنا واحد . قادر مقتدر ،
جميع الموجودات طوع يده من الذرات الى السيارات . ومثلما أنه ينظم
بسهولة الشجرة وثمراتها ويزينها ، فانه بالسبولة نفسياً ينظم الشمس
بسياراتها .. فهو الحكيم ذو الجلال والحاكم المطلق ذو الكمال ..

ثم يتوجه المدعي الى الشمس بعد ان لم يجد موضع قدم له في الارض
مناجياً نفسه :

ان الشمس شيء عظيم ، لعلني أجد فيها واقص وثغرات أمرر فيها
دعواي واسخر بدوري الارض كذلك ، فقال لها بلسان الشرك والاضاليل
الشيطانية ، وكما يقول المجوس :-

- انت سلطنة العالم ، وانت حتماً مالكة لنفسك . فتصرفين في العالم
كيف تشائين ! وعلى الفور اجابته الشمس بلسان الحق والحقيقة :

- كلا .. وحاشا لله .. بل اني مأمورة مطيعة ، مسخرة موظفة
بتنوير العالم ، وتأمين راحة المسافرين والضيوف في مستضاف سيدي
وخالقي . فلست مالكة لنفسي ابدأ بل لست مالكة حتى على جناح ذبابة
لما فيه من الجواهر المعنوية النفيسة فهي خارجة عن طوقي ... وهنا ينتر
المدعي المتفطرس المتفرعن فيرجع قائلاً :

- ان لم تكوني مالكة لنفسك هكذا .. فاذا انت مملوكة لي وتحت تصرفي .

فردت عليه الشمس رداً مقنعاً باسم الحق والحقيقة وبلسان العبودية قائلة :

- انما انا مملوكة لمليك الكون كله . فقد خلق نجوماً هائلة كثيرة أمثالي .. واسكنها بكمال انتظام وحكمة في السماء ، ولا يزال يديرها ويدبر بكل هيبة واحتشام امورها مزيناً بها السماء . فليس بمقدور أحد غيره سبحانه التدخل في امورنا مطلقاً .. فتطرده .

ثم يذهب المدعي الى مجموعة النجوم والكواكب وهو يحدث نفسه :

- ان النجوم والكواكب كثيرة جداً ومزدحمة مختلطة ، ومتباعدة بعضها عن بعض ، فلا بد اني سأجد من يسمع قلبي ويقبل دعواي، فيدخل بين النجوم . ويقول لها باسم الاسباب والشركاء ولأجلهم وبلسان الفلسفة الطاغية كما هو قول الصابئة عباد النجوم :

- ايتها النجوم انه للبعد الشاسع فيما بينكم يمكن للكثيرين أن يتحكموا فيكم ..

فاجابته حالاً نجمة باسم النجوم جميعاً : ما ابلهك ايها الاعمى الاحمق . الا ترى سكة التوحيد وطغراء الأحدية على وجوهنا ، .. الا تفهم ان قوانين عبوديتنا محكمة متينة وانظمتنا راقية صارمة .. اتظننا بلا نظام وبلا منظم ينظم امورنا ؟

نحن مخلوقون عبيداً لخالق عظيم واحد أحد ، في قبضته امورنا وامور السموات جميعاً ، تلك السموات التي هي كالبحر ونحن كالسفن السلطانية المنورة التي تسبح فيه .. في ذلك الفضاء الواسع الذي هو كالمسير العظيم لنا .

ونحن كالمشاعل الساطعة والقناديل المضيئة شواهد نورانية لعرض كمال الربوبية ، وبراهين مضيئة لإعلان حاكميته سبحانه وتعالى .

ونحن خدمة وعبيد منورون في دائرة سلطنته في جميع العوالم الدنيوية والبرزخية والاخروية . فكل منا :

معجزة من معجزات قدرة الواحد الأحد ، وثمرة يانعة لشجرة الخلقة ، وبرهان منور ساطع للوحدانية ، ومنازل وطائرات ومساجد للملائكة . ومصاييح وشموس للعوالم العلوية ، وشواهد على سلطنة الربوبية وقصور وزينة ، وازاهير لهذا الفضاء الواسع وكائناتنا اسماك نورانية في بحر السماء . وعيون جميلة لوجه السماء (٦) .

فكما ان كلاً منا هكذا ... فان مجموعنا :-

سكوت في سكون ... وحركة في حكمة ... وزينة في حشمة ... واستواء في الخلقة ... وكمال الخلقة في تقدير وميزان ...

فبكل هذا نشهد جميعاً بوحداية الله سبحانه وأحديته وصمدانيته ، وعلى جميع اوصافه الجمالية والكمالية والجلالية ، ونُري مخلوقاته جمال صنعته وابداعه . فنعلمه الى الكون اجمع .

أنبعد هذا تقول لعبيد طاهرين مطيعين مسخرين من امثالنا بأننا في فوضى واختلاط وعبث ... وبلون صاحب ومالك وتدعي التملك والربوبية ؟! فانك لاشك اذاً تستحق الرجم واللعنة ...

(٦) فنحن مشاهدو مصنوعات الخالق البديعة ، والمشيرون اليها ، بل نجعل الآخرين يشاهدونها باعجاب ... أي كأن السماء تنظر الى عجائب الصنعة الالهية في الأرض بما لا يحدها من عيون ... فالنجوم - كملائكة السماء - تنظر الى الأرض التي هي محشر العجائب ، ومعرض الفرائب ، بل تستقطب أنظار ذوي الشعور اليها .

فيرجم ذلك المدعى كما يرجم الشيطان ويطرده من بين النجوم ويلقيه
من هناك الى قعر جهنم ، ويرمي من معه من الطبيعة ومدعوها الى
وادي الوهم (٧) . ويقذف الصدفة الى بئر العدم ، والشركاء الى ظلمات
الامتناع والمحال ، والفلسفة المادية البلهاء التي تضاد الدين الى قعر أسفل
سافلين .

ورتلت النجمة مع جميع النجوم معاً قول الله تعالى :

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، »

(سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك العليم الحكيم) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد سراج وحدتك في كثرة مخلوقاتك ،
ودلائل وحدانيتك في مشهر كائناتك وعلى آله وصحبه اجمعين .

(٧) وبمد ما هوت الطبيعة ندمت عمّا فعلت ، وعلمت ان وظيفتها
الحقيقية القبول والانفعال ، لا التأثير والفعل ، وانها تعمل وفقاً لقدرة
الله ومشينته ، فهي دفتر كتابة القدرة الالهية - دفتر قابل للتبديل
 والتغيير - وبما يشبه منهج القدرة الربانية . وشريعة فطرية للمقدير
 ذي الجلال . ومجموعة قوانين الهية . فقبلت الطبيعة وظيفتها وهي
 العبودية ، وتسمت بالفطرة الالهية والصنعة الربانية .

نور التوحيد

[بسم الله الرحمن الرحيم • قل هو الله أحد •]

• لقد تراءى لى قيس* من انوار الاسم الاعظم ■ الفرد ، المتضمن للواحد والاحد من اسماء الله الحسنى وذلك فى سجن (اسكيشهر) فى شهر شوال • سآورد بعضاً من ذلك التجلى الاعظم وما فيه من التوحيد الحقيقى باختصار شديد ، واحيل تفاصيله الى الرسائل الاخرى •

الاشارة الاولى (اختتام التوحيد)

ان اسم « الفرد » جلّ وعلا ، يتجلى بنوره على الكون قاطبة فيطبعه بطابع التوحيد المميز ، ويختمه بخاتم الوجدانية ، فيظهر شعار التوحيد ويمسسه على الكون كله ، وعلى كل نوع فيه بل على كل جزء فيه •

وهنا سنكتفى بالاشارة الى ثلاثة شعارات واختام منها باختصار حيث وضحها كل من الكلمة الثانية والمشرىن والمكتوب الثالث والثلاثين •

اولاً : ختم التوحيد على وجه الكون

ان تجلى اسم (الفرد) قد وضع على وجه الكون سكة وطابعاً مميزاً للتوحيد ، حيث جعل جميع اجزائه كلاً واحداً ، لا يمكن ان يقبل التجزئة ، فلا يمكن ان يكون احد* مالكاً حقيقياً لاي جزء منه ما لم تكن مقاليد جميع الكون تحت تصرفه وفي قبضته • وهذا الطابع والختم المميز ، هو :

ان موجودات الكون كلها ، بانواعها المختلفة ، تتعاون فيما بينها

(١) النكتة : هي مسألة لطيفة اخرجت بدقة نظر وامعان فكر ، وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر فى استنباطها (من التعريفات للجرجاني) / م •

كتروس ودواليب معمل رائع يعمل بنظام دقيق جداً ، فتتربط اجزاؤها بعضها مع بعض ترابطاً وثيقاً ويسمى كل جزء لتكملة مهمة الآخر . .

فمثل هذا « التعاون » وهذا « التساند » وهذا « التجاوب » وهذا السمي في المعاونة واسعاف الآخرين ، وهذا الترابط والاندماج . . يشكل وحدة متحدة الاجزاء في الوجود كله ، تشبه تماماً اعضاء جسم الانسان التي لا يمكن فك بعضها عن بعض لشدة الترابط والاندماج فيما بينها ، أي أن الذي يمسك زمام عنصر واحد في الوجود يلزم ان يكون زمام جميع العناصر بيده ، والا فلا يمكنه السيطرة على ذلك العنصر الواحد .

وهكذا فان ظاهرة (التعاون) و (التساند) و (التجاوب) (التعانق) الجارية على وجه الكون بين جميع اجزائه هي اسطح سكة وشعار وختم للتوحيد .

ثانياً : ختم التوحيد على وجه الأرض :

ان آية جليلة للتوحيد ، وختماً ظاهراً للوحدانية نراها واضحة وضوحاً على وجه الأرض ، بحيث : ان الذي لا يدير جميع الاحياء ، بافرادها واحوالها وشؤونها كافة ولا يعرفها ، ولا يخلقها ولا يراها في آن واحد ، لا يمكنه ان يلمن ، او يتدخل ، في أمر أي واحد منها .

تأمل في هذه البسطة المغروشة التي لحمتها وسداها مئتا ألف طائفة ونوع من انواع الحيوانات والنباتات بافرادها المختلفة المتنوعة التي تزين نسيج الحياة على سطح الأرض - وبخاصة في الربيع - تأملها جيداً . . فانها مع اختلاف اشكالها ، وتباين وظائفها ، وتنوع اجهزتها ، وامتزاجها بعضها مع بعض ، نرى أن رزق كل ذي حياة يأتيه رغداً من كل مكان ، دون سهو ، أو نسيان ، بلا انشغال وبلا ارتباك ، ودون خطأ مطلقاً . فيعطى بميزان دقيق حساس ، كل ما يحتاجه ، وفي وقته المناسب ، وبدون تكلف ولا تكليف مع تمييز لكل فرد من الاحياء في خضم هذا الامتزاج الهائل .

كل هذا ظاهر جلي لمن يتأمل وجه الارض ، فضلاً عن انتظام المعادن
والعناصر الجامدة في باطن الارض التي تخبيء كل منها - هي للآخرى -
آيات التوحيد .

لذا فان هذا « التدبير الحكيم » و « الادارة الحاسمة » في هذا الأمر
الدائب على الارض هو سكة ساطعة للأحادية وختم واضح لها وطابع مميز
للتوحيد بحيث من لم يكن خالقاً لجميع تلك الموجودات من العدم ، ومدبراً
لجميع شؤونها في آن واحد ، لا يمكنه ان يتدخل - من حيث الربوبية - في
أي أمر فيها ، لأنه لو تدخل لأفسد تلك الادارة المتوازنة التي لا تحد
سوى ما يقوم به الانسان من وظيفة ظاهرية - باذن آلهي ايضاً - لكشف
تلك انقوائين الربانية وحسن سيرها .

ثالثاً : ختم التوحيد على وجه الانسان :

ان شعار التوحيد وختمه واضح لكل من يتأمل في وجه أي انسان
كان وذلك :

ان لكل انسان علامة فارقة في وجهه تميزه عن غيره ، فالذي وضع
تلك العلامات في كل وجه ينبغي ان يكون عالماً ، وشاهداً ، لجميع الوجوه
السابقة واللاحقة منذ زمن آدم عليه السلام الى يوم القيامة - والا فلا
يمكنه ان يمد يده من حيث الخلق والايجاد في ذلك الختم للوحدانية ليضع
تلك الفوارق المميزة الهائلة في ذلك الوجه الصغير .

نعم ، ان الذي وضع في وجه الانسان ذلك الطابع المميز بتلك العلامات
الفارقة هو الذي جعل افراد البشر كافة تحت نظره وشهوده ، وضمن دائرة
علمه حيث أنه رغم التشابه الظاهر بين الاعضاء كالعيون والانوف وغيرها
فإنها لا تتشابه تشابهاً تاماً بسبب تلك العلامات الفارقة فيها .

وكما ان تشابه الاعضاء في وجوه البشر كافة دليل قاطع على وحدانية
الخالق سبحانه وتعالى كذلك فان العلامات الفارقة الموضوعة على كل وجه

— لصيانة حقوق كل فرد في المجتمع ، ولمنع الالتباس وللتمييز ولحكم أخرى كثيرة — هي الأخرى دليل على الإرادة المطلقة والمشيئة الكاملة لذلك الخالق الواحد سبحانه وتعالى .

أي أن الذي لا يكون خالقاً لجميع البشر — وكذلك الحيوانات والنباتات — بل لجميع الكون لا يمكن أن يضع تلك السمة المميزة في أحد .

الاشارة الثانية (ناموس واحد)

ان عوالم الكائنات المختلفة بانواعها المتنوعة وعناصرها المتباينة قد اندمجت وتداخلت بعضها مع بعض بحيث ان من لم يكن مالكا لجميع الكون لا يمكنه ان يتصرف بنوع منه أو عنصر فيه تصرفاً كاملاً لأن تجلى نور التوحيد لاسم « الفرد » قد اضاء ارجاء الكون فجعل اجزائها كافة وحدة متحدة . وغدا كل جزء منه يظهر ، بل يعلن، تلك الموحداية . فمثلاً ان كون الشمس — وهي مصباح العالم — واحدة يشير الى ان الكون باجمعه ملك لواحد . وكون الهواء الذي يسمى لخدمة الاحياء واحداً . وكون النار التي يوقد عليها واحدة ، وكون السحاب الذي يسقى به الارض واحداً ، وكون الامطار التي تأتي لاغاثة الاحياء كافة واحدة ، وانتشار اغلب الاحياء من النباتات والحيوانات انتشاراً طليقاً في ارجاء الارض كافة مع وحدة نوعيتها ، ووحدة مسكنها . . . كل ذلك اشارات قاطعة وشهادات صادقة أن :

المسكن وساكنيه هو ملك للمالك واحد أحد .

فقياساً على هذا فان تداخل واندماج الانواع المختلفة في هذا الكون الواسع الشاسع قد جعل مجموع الكائنات كلاً واحداً لا ينفك عنه أي جزء من حيث الخلقة ، بحيث ان الذي لا ينفذ حكمه على جميع الكون لا يمكنه ان ينفذه — من حيث الخلق والربوبية — على أي شيء فيه حتى لو كان ذرة أو أصغر منها .

الإشارة الرابعة : (التوحيد فطري والشرك محال) :

لقد اوضحت رسائل النور في اجزائها الكثيرة ببراہین متعددة ان التجلي الاعظم لاسم « الفرد » ، مع أنه واضح وضوح الشمس فهو فطري ، وبسيط ، ومقبول في الاعماق الى حد السهولة انطلقت ، وهو مستساغ عقلاً ومنطقاً الى حد الوجوب والبداهة .

وبعكسه « الشرك » المنافي لذلك التجلي فهو معقد الى أقصى حدود التعقيد ، وغير منطقي اطلاقاً ، وهو بعيد جداً عن المعقول الى حد المحال والامتناع .

وسنشير هنا الى ثلاث نقاط من تلك الأدلة ، ونحيل بقيتها وتفصيلها الى الرسائل الاخرى .

النقطة الاولى :

لقد اثبتنا ببراہین قاطعة في الكلمة العاشرة وفي ختام الكلمة التاسعة والعشرين اثباتاً مجملًا وفي ختام المكتوب العشرين مفصلاً من :

انه من الهين على قدرة الاحد الفرد ، ان يخلق اعظم جرم ، وان يخلق اصغر شيء على حد سواء ؛ فيخلق الربيع كخلق زهرة واحدة ييسر وسهولة سواء بسواء ، ويرينا في كل ربيع آلافاً من نماذج الحشر والنشر الذي يحدثها بسهولة ويسر ، ويراعى الشجرة الضخمة الباسقة كمراعاته الفاكهة الصغيرة بسهولة ويسر .

فلو اسند اي من ذلك الى فاعلية القوانين ، والاسباب المختلفة ، لأصبح في خلق كل زهرة من المشكلات والتعقيدات ما يجعلها صنو ربيع كامل ، وفي خلق كل ثمرة من الصعوبات ما للشجرة الباسقة .

نعم ، فكما ان تجهيز الجيش بأكمله بالمؤن والعتاد بأمر من قائد واحد ، من معمل واحد يكون سهلاً وبسيطاً كتجهيز جندي واحد ، ويكون صعباً

بل ممتنعاً ان كان كل جندي يتجهز من معامل متفرقة ويتلقى الاوامر من ادارات متعددة كثيرة ، فعندها يحتاج الى معامل بقدر افراد الجيش بأكمله .

كذلك الأمر ان أسند الخلق الى الفرد الاحد، فان خلق افراد النوع الواحد كافة يكون سهلاً كالفرد الواحد ، وان اسند الى الاسباب فان خلق كل فرد يكون معضلاً وصعباً كالنوع .

أجل ان الوجدانية والتفرد يجعل كل شيء «منتسباً» و «مستنداً» الى تلك الذات الالهية الواحدة ، وان هذا « الانتساب والاستناد » يصبحان قوة وقدرة لا حدّ لهما لذلك الشيء ، فعندها يمكن ان ينجز اي شيء بسيط بما يفوق قوته الشخصية آلاف المرات معتمداً على سر ذلك « الاستناد والانتساب » .

أما الذي لا يستند ولا ينتسب الى صاحب تلك القوة العظيمة « الفرد الأحـد » فستبقى قوته الذاتية محدودة جداً ، وتنحسر نتائجه تبعاً لذلك ،
فمثلاً :-

ان الذي لم ينخرط بالجنديـة وان كان شجاعاً ، مضطراً الى حمل ذخيرته وعتاده معه ، وقد لا يقاوم الا عشرة من أعدائه مقاومة مؤقتة ، لأن هذا هو أقصى آثار قوته الذاتية . الا أن الجندي الذي يستند وينتسب الى قائد عظيم ، فلأنه ليس مضطراً الى حمل ذخيرته وعتاده معه ، فان ذلك الانتساب والاستناد يكون له بمثابة قوة لا تنفد وكـنز لا يفنى ، اذ به قد يأسر قائد جيش العدو المغلوب مع آلاف ممن معه .

لذا فـقوة الاستناد والانتساب في الفردية والوجدانية تجعل النملة الصغيرة تهلك فرعوناً عنيداً ، والبعوضة الرقيقة تغلب نموداً طاغياً ، والميكروب البسيط يدمر باغياً اثيماً . كما تجعل البذرة الصغيرة جداً نحمل على ظهرها شجرة باسقة شاهقة . . . كل ذلك باسم ذلك الانتساب وصر ذلك الاستناد .

نعم كما ان قائدا عظيما شهما يستطيع ان يستنفر جميع جنوده ويحشدهم لانقاذ واعداد أحد افراده والجندي بسوره يحمل قوة معنوية هائلة ، لان جيشا جرارا يسنده من ورائه ، فيتمثل أوامر قائده بحرارة وحماس ، فينجز أعمالا عظيمة ، كذلك فان الله سبحانه وتعالى لانه فرد واحد أحد ، فلا حاجة هناك في أية جهة الى أحد غيره . واذا افترضت الحاجة في جهة ما ، فانه سبحانه يستنفر جميع الموجودات ، ويحشد الكون كله ، لاسناد ذلك الشيء الواحد .

بهذا يستند كل شيء الى قوة عظيمة هائلة تملك الكون بأسره . فكل شيء في الوجود يستمد قوته من تلك القوة الالهية الهائلة العظيمة ، من ذلك الفرد الاحد جل وملا . فلولا الفردية لفقد كل شيء هذه القوة الهائلة ، ولسقط الى العدم ، وتلاشت نتائجه .

نعم ، ان مشاهداتنا مرارا من ظهور النتائج العظيمة الهائلة من الشيء البسيط جدا ترشدنا الى « الوحدةانية » والا فنتاج كل شيء وثماره ينحصر في الشيء بذاته ، وفي قوته ومادته ، عندئذ تصغر النتائج بل تزول .

الا ترى الاشياء الثمينة كالفواكه والخضر وغيرها مبدولة ومتوفرة ، وما ذلك الا بسر الوحدةانية ، والانتساب ، وتحشيد جميع القوى فلولا الفردية لما كنا نحصل بالالف الدراهم ما نحصله اليوم من بطيخ أو رمان بدراهم معدودة .

نعم ان كل ما نراه من بساطة الامور والاشياء وسهولتها ورخصها وتوفرها ما هي الا نتائج الوحدةانية ، وتشهد بالفردية .

النقطة الثانية :

ان الموجودات تظهر الى الوجود بوجهين :-

الاول : الخلق من العدم ، وهو ما يعبر عنه ، بالابداع والاختراع .
الثاني : انشاؤها وتركيبها من العناصر الموجودة والاشياء الحاضرة أي
يب « التركيب والانشاء » .

فان أسندنا الخلق الى سر الاحدية ، وتجلى الفردية . فسيكون سهلا
هينا جدا الى حد الوجوب والبداهة ، ولكن ان لم يسند الى الفردية
والوحدانية ، فستتعدد الامور وتتشابك وتظهر أمور غير معقولة وغير منطقية
الى حد المحال والامتناع . بيد اننا نرى الموجودات قاطبة تظهر الى الوجود بدون
صعوبة وتكلف ومن غير عناء ، وعلى أتم صورة وكيفية ، مما يشهد لنا بداهة
ان جميعها تتجه مباشرة الى تجلى اسم الواحد الاحد الفرد الصمد ، وانها
جميعا من خلقه وصنعه .

نعم ان اسناد الخلق الى الفرد الواحد الاحد ، يجعله سهلا وبسيطا ،
لانه يخلق كل شيء ويرسله الى الوجود من العدم بقدرته المطلقة الظاهرة
آثارها ، فيقدر كل شيء بعلمه المحيط المطلق حسب تصاميم قوالب غيبية .
فكل شيء عنده بمقدار .

فكما ان الجنود المطيعين في الجيش الواحد يساقون بأمر من القائد ،
ويأخذون أماكنهم ومواضعهم حسب الخطة الموضوعة في علم القائد ، كذلك
فان في مرآة علمه سبحانه وتعالى تصميم كل شيء وصورته ، وبأمر منه
— بكل سهولة ويسر — تأخذ الذرات المطيعة للأوامر الربانية أماكنها وتحافظ
على مواضعها حسب التصميم أو القالب العلمي الالهي .

وهكذا تساق جميع النرات بقانون العلم المحيط الرباني المنتظم ،
وبدستور القدرة الآلهية المحيطة كأفراد الجيش المطيعين .

وكما ان الصورة في المرآة تظهر على الورقة الحساسة في الكاميرا وتلبس
وجوداً خارجياً . وكما تظهر الكتابة المخفية بمادة كيميائية ، كذلك صور جميع

الموجودات ، وماهية الاشياء موجودة في مرآة « العلم الالهي » الفرد الواحد
الاحد . وبكل سهولة ويسر تلبسها « القدرة الالهية » المطلقة وجودا خارجيا
فتظهر للعيان في عالم الشهادة ، بعد أن كانت في عالم الغيب أو المعنى .

ولكن ان لم يسند الخلق الى الفرد الاحد ، فانه يلزم لخلق ذبابة
واحدة مسح وتفتيش سطح الارض قاطبة وغرلة عناصرها وذراتها جميعا
ثم قياسها بميزان دقيق حساس، لوضع ذرات معينة في أماكنها المخصصة،
حسب قوالب مادية بعدد أجهزتها وأعضائها المتقنة ، ليأخذ كل شيء مكانه
اللائق المنسق . ومن ثم جلب المشاعر والاحاسيس الروحية الدقيقة
واللطائف المعنوية بميزان دقيق من العوالم المعنوية والروحية حسب حاجة
الذبابة .

كل ذلك في ذبابة واحدة !! لا يكون صعبا ممتنعا كايجاد جميع
الكائنات ؟! اليس فيها الصعوبات تلو الصعوبات والمحالات ضمن
المحالات . لذا اتفق جميع أهل الايمان والعلم أنه لا يخلق من العدم شيء إلا
الخالق الفرد سبحانه وتعالى .

النقطة الثالثة :

لقد أوردنا أمثلة كثيرة في رسائل شتى تشير الى أن اسناد الخلق الى
الواحد الاحد يجعل خلق جميع الاشياء سهلاً كالشيء الواحد . وبعبارة
فان اسناده الى الطبيعة والاسباب يجعل خلق الشيء الواحد صعباً ممتنعاً
كخلق جميع الاشياء تقتصر منها هنا على ثلاثة أمثلة فقط :-

المثال الاول :

ان كانت ادارة الف جندي (فرقة كاملة) تحت أمره ضابط واحد ،
وأحيل جندي واحد تحت ادارة عشرة ضباط فان ادارة هذا الجندي
تكون ذات مشكلات وصعوبات بمقدار عشرة أضعاف ادارة تلك الفرقة ،
وذلك :

ان الامراء العديدين سيعادى بعضهم بعضا ، وستتعارض أوامرهم
حتما ، فلا يجد ذلك الجندي راحة مطلقا بين أخذ ورد أمرائه • بعكسه تماما
الضابط الواحد فانه يدير فرقة كاملة بأوامره كأنه يدير جنديا واحدا ،
وينفذ خطته وطلباته من الفرقة بتدبيره بكل سهولة ويسر • علما أنه
يتعذر الوصول الى هذه النتيجة المرجوة بترك الأمر الى الجنود والافراد
السائبين •

امثال الثاني :

اذا سلم أمر بناء قبة جامع « آيا صوفيا » الى بناء
ماهر فانه يقوم به بكل سهولة ويسر ، ولكن ان سلم الأمر الى احجارها ،
للزم أن يكون لكل حجر من تلك الاحجار من المهارة والهندسة كالبناى الماهر
نفسه كي تأخذ القبة المعلقة الشامخة شكلها ، ويكون كل حجر حاكما على
سائر الاحجار ومحكوما له في الوقت نفسه !! •• فيبينما كان يقوم البناء
الماهر بالأمر بسهولة يقوم به الآن مئات من البنائين وباضعاف اضعاف ذلك
الجهد من دون الحصول على نتيجة !!

امثال الثالث :

ان الكرة الارضية مأمورة وموظفة من لدن الفرد الواحد سبحانه ،
وهي كالجندي المطيع لله الواحد الأحد • فحينما تأخذ الأمر الواحد من أمره
الاحد فانها تهب كالمولوى العاشق المجنوب الذى يدور على انفسام الناي
وتدور ، فتكون وسيلة لحصول المواسم الاربعة ، وحصول اوقات الليل
والنهار ، وكشف مناظر القبة السماوية المهيبة الخلافة ، وتبدلها المستمر
كالشاشة السينمائية ، وهكذا يقوم جندي واحد بأمر واحد صادر من أمر
واحد بهذا الدوران ويكون سببا لحصول تلك النتائج وأمثالها فكان الارض
قائد في اظهار تلك المناورة الهائلة في الكون ••

ولكن ان لم يسند الأمر الى الفرد الاحد ، والى حاكميته المطلقة ،
وربوبيته المحيطة للكون ، وحكمه النافذ في كل صغيرة وكبيرة في الوجود ،

لابد من ملايين النجوم الاخرى التي تكبر الارض بالوف المرات وتسير في مدار أضخم بملايين المرات من الارض . لكي تظهر تلك المناورة السماوية والأرضية وتلك النتائج نفسها من حركتي الارض وتقطعها في كل سنة وفي كل اربع وعشرين ساعة !!

فهذا مثال يظهر لنا ان الاحدية والفردية كم هي سهلة وفطرية وبسيطة بينما حصول النتائج نفسها في طريق الشرك والكفر مملوءة بالمحالات التي لا حد لها والامور الباطلة وغير المعقولة .
فالاّن . .

لاحظ بمنظار المثال الآتي الى المتشدقين بالطبيعة وعبّاد الاسباب كي تعلم في أي درك يتمرغون في وحل الوهم والحماقة ، وكيف انهم يعمدون كل البعد عن المنطق والعقل السليم :-

~ معمل عظيم . . كتاب رائع . . قصر مشيد . . ساعة دقيقة . . لاشك ان الذي صنع كل هذا ورتّبه بدقة يجيد ادارته ، بما يملك من مهارة فائقة . . ولاشك كذلك في أنه يرغب في اظهار محاسن وبدائع صنعته ومعمله ، أو كتابه .
فان أحال أحدهم ادارة المعمل العظيم والقصر المنيف ، ومعاني الكتاب الجميلة الى دواليب المعمل نفسه والى اجزاء القصر والى الحروف ذاتها ، فكأنه يجعل كل جزء من (المعمل) ماكينة عظيمة تعمل بنفسها وتنظم غيرها اي أن روعة الانتظام في (المعمل) ، أو جمال المعنى في (الكتاب) تأتي من عمل الدواليب نفسها ومن توافق الحروف من نفسها !!
أي هذر وإي وهم هذا !! أليس الذي يتفوه بهذا المنطق بعيداً كل البعد عن سلامة العقل ؟!

فان الذين يحيلون الخلق والايجاد في هذا الكون الرائع الى الطبيعة وقوانينها يهوون في جهل مركب سحيق كهذا ، وذلك لان آثار الابداع ظاهرة على جميع القوانين الطبيعية الفطرية ، فهي مخلوقة أيضاً كسائر المخلوقات

الآخري ، وان الذي خلقها هو الذي يخلق آثارها ونتائجها معا فيظهرها
معاً فالذي خلق البذرة هو الذي أنشأ عليها شجرتها وهو الذي يزيناها
بالازهار والاثمار ٠٠٠ فالخالق والمدير واحد أحد ٠

أما الذين لا يؤمنون بالتوحيد فقد أصبحوا أمام قبول سلسلة غير
متناهية وغير معقولة بل مستحيلة في الاوهام ٠٠٠ اذ ان كل جزء له حاجته
وقوانينه الخاصة به وهذا بدوره في حاجة الى قوانين أخرى لتكملة الجزء
الآخر وهكذا يستمرون في سلسلة لا معنى لها ولا نهاية وهذا من أعجب
الجهل وأتعبه !! ٠٠

الإشارة السادسة (البلبسم الشافي)

كما ان انفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية ، وتوحيده بالالوهية هو
اساس جميع الكمالات ، ومنشأ المقاصد السامية كافة ، ومنبع كل الحكم
المودعة في خلق الكون ، كذلك هو الناية القصوى ، والبلبسم الشافي لحصول
رغبات ومطالب كل ذي شعور - وخاصة الانسان - ٠

فمن لا يؤمن بالتوحيد ، لابد أن تنطفئ شعله رغباته ومطالبه كلها ،
ولابد أن تنمحى عنده جميع الحكم المودعة في خلقة الكون ، وتتلشى امامه
اكثر الكمالات الموجودة والحقيقية ٠

فمثلاً : ان رغبة (حب البقاء) الشديدة التي لا تنزعزع في الانسان ،
لا يحققها أو يطمئنها له الا من هو مالك لمقاييد الكون بأسره حيث يفتح باب
الخلود امامه على مصراعيه في الآخرة ، بعد أن أنهى الدنيا الفانية ، كمن
يفتح منزلاً ويغلق آخراً بكل سهولة ٠

ومثل هذه الرغبة والحب رغبات أخرى كثيرة وكثيرة جداً ، ممتدة الى
غير نهاية معلومة ومتشعبة في ثنايا الكائنات جميعاً ٠ وجميعها مرتبطة بحقيقة
التوحيد وأنواره وسرّ الفردية الواحدة وفيضها ٠ اذ من لا يؤمن بانفراد
سبحانه بالتوحيد ، لاشك في بقاء جميع تلك الرغبات عقيمة عنده قاصرة
مبتورة ، فلا يمكن ان يشفى غليل حاجاته ابداً إلا هو ٠

لذا فالإيمان بالوحدانية ، وبقدرته المطلقة سبحانه وتعالى ، هو وحده
الكفيل باحلال الطمأنينة والسكينة في تلك الرغبات للتأججة . .
من أجل هذا السر العظيم نرى القرآن الحكيم يذكر التوحيد والوحدانية
بكل حرارة وشوق ويكررها بكل حلاوة ولذة ، وإن الأنبياء عليهم السلام
والأصفياء والأولياء يجدون بغيتهم ، وذوقهم السامي بل منتهى سعادتهم في
أفضل ما قالوه وهو :

« لا إله إلا الله »

الإشارة السابعة : (السراج المنير)

وهكذا فإن هذا التوحيد الحقيقي بجميع مراتبه ، وبأتم صورته
الكاملة ، قد أثبتته وأعلنه وفهمه ، وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم .
فلا بد أن رسالته ثابتة وقطعية كقطعية ثبوت التوحيد لأنه :

لما كان التوحيد هو أعظم حقيقة في الوجود ، وإن الرسول الأعظم صلى
الله عليه وسلم هو الذي تولى تبليغه وتعليمه بجميع حقائقه ، فلا بد أن
جميع البراهين التي تثبت التوحيد تكون بدورها براهين وأدلة لا يثبت
رسالته وصدق نبوته ودعوته صلى الله عليه وسلم . ولا شك أنه ضروري ،
ومبرر شديد وقوي لذلك التوحيد إذ هو الذي جمع ما لا يعد من هذه
الحقائق السامية ، وعلم وكشف عن التوحيد بكل نصابه وحقيقته ،
لذا فهو البرهان الساطع للتوحيد ، كما أن التوحيد برهان باهر له .

وسنذكر ثلاثة نماذج ، مثلاً لتلك الأدلة والأسباب الكثيرة جداً
التي تشهد بعظمة ورفعة وعلو منزلة الشخصية المعنوية لهذا النبي الكريم
عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكيف أنه سراج منير وشمس الكائنات
بإدائه الأمانة وتبليغه الرسالة بأتم صورة .

الأول :

إذا تأملنا في : ثواب جميع الحسنات التي ينالها جميع أفراد الأمة ،
وعلى مدى جميع العصور ، أنه مكتوب مثله في صحيفة حسناته صلى الله عليه

وسلم ، اذ هو السبب في نيل كل ثواب الى يوم القيامة ، وفكرنا مع ذلك في : المقام المعظم اللائق الذي يقتضيه مجموع الادعية غير النهائية، والصلوات المقبولة المرفوعة يوميا من قبل الامة كافة عندئذ ندرك جيدا درجته العالية الرفيعة التي لا يمكن أن يصلها أحد ، وكيف أن الشخصية المعنوية المحمدية شمس الكائنات والسراج المذير للخلق أجمعين .

الشماني :

ان بذرة الشجرة الوارفة للاسلام ومنشأها وحياتها ومنبعها هي حقيقة الماهية المحمدية . بما تملك من فطرة سامية . وخلقة كاملة . فتذكر دائما ، رقيه الروحي النابع من استشعاره الكامل الاتم لجميع معاني ومراتب عباداته ، واذكاره ، وكلماته الشريفة ، والذي بمجموعه يمثل روح الاسلام وحقيقته .

واعلم كذلك ان منزلته صلى الله عليه وسلم كانت « المحبة » في العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى وذلك بمضمون قوله الشريف « أفلا أكون عبداً شكوراً » . ثم قس عليها ، مدى علو منزلته ورفعة درجته على سائر الولايات والمراتب والدرجات الاخرى .

ولقد فتح الله عليّ يوماً في سجدة في صلاة ، بعض معاني وأنوار كلمة « سبحان ربي الاعلى » بما يقرب من تلقي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من هذه الكلمة المقدسة فتبين لي يقينا أنها خير من عبادة شهر ، فقلت في نفسي : ان كانت جميع هذه الانوار والفيوضات في كلمة واحدة ، في صلاة واحدة ، فكيف بمن يعيش طيلة حياته في تلك الانوار والفيوضات ؟ فأدركت المنزلة العظيمة ، والدرجة العالية للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

نعم ان الانوار التي تشعها الكلمات المقدسة وفيوضاتها في بدء الاسلام لها مزايا خاصة ، ولذات راقية جدا ، وذلك لجديتها ، ولطافتها ، وطرابتها التي قد تتناقص بمرور الزمن ، وتتستر تحت ستار الغفلة .

وآآن تأمل مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تناول الكلام المقدس،
ورشفه من المنبع الاقدس واستوعب أنواره بالوحي ، مع كامل جدته
وطراوته ولطافته مع استعداد الفطري الكامل .. فالانوار والفيوضات
الكامنة في تسبيحة واحدة منه صلى الله عليه وسلم هي خير وأعم من جميع
الانوار التي تملأ أرجاء عبادة سنة كاملة عند غيره !!

قس هكذا حتى تعلم كم بلغ رسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم من
درجات الكمال التي لا حد لها .

الثالث :

لاشك ان أفضل وأكرم مخلوق على الله سبحانه هو الانسان ، اذ هو
المطلوب والمراد من الخلق ، لانه المخاطب الاكثر ادراكا للخطاب الرباني .
وقد اختار سبحانه وتعالى من هو أشهر وأعظم وأكمل انسان بأعماله وآثاره
الكاملة ، فجعله مخاطبا له باسم النوع الانساني كافة ، بل باسم المخلوقات
جميعا .

فلا ريب أن الله سبحانه الذي هيأ رسوله الحبيب صلى الله
عليه وسلم لهذه المرتبة قد جعله مظهراً لانوار كمالاته التي لا تحد ..
ومثل هذه النقاط الثلاث هناك نقاط اخرى كثيرة تثبت لنا بقطعية
كاملة :

ان الشخصية المعنوية للرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أنها
شمس معنوية للكائنات والسراج المنير لها كذلك هو : آية عظمى في قرآن
الكون والاسم الاعظم للفرقان الاعظم ، ومرآة صافية لتجليات أنوار الفرد
الاحد الصمد جل وعلا .

فاللهم يا أحد ، يا فرد ، يا صمد ، أنزل من بركات خزينة رحمتك
التي لا تنفذ صلوات وسلاما على تلك الذات النبوية الشريفة بعدد ذرات
الكون مضروبا بعدد دقائق الزمان ..

(سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم)

[النافذة التاسعة عشرة - رسالة النوافذ]

نافذة إلى التوحيد

[تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا

يعلم بحمده]

نعم مثلما أودع الصانع الجليل حكماً لا تعد ومعاني سامية لا تحصى في
الاجرام السماوية، فزيّن تلك السموات بكلمات الشمس والاقمار والنجوم
لتعبر عن جلاله وجماله سبحانه . كذلك فانه - جلّ - وعلا - قد ركب ما في
جو السماء من موجودات حكماً عالية ، وعلّق عليها معاني سامية ومقاصد
عظمى بحيث أنطق جو السماء بكلمات الرعود والبروق وقطرات الامطار
ليعلم بها ويعرف كمال حكمته وجمال رحمته .

ومثلما جعل سبحانه وتعالى كرة الارض تتكلم بكلمات ذات منزى ،
وأنطقها بما بث فيها من الحيوانات والنباتات التي ما هي الا كلمات بليغة،
مبيناً كمال صنعته للوجود ، كذلك جعل النباتات والاشجار نفسها تنطق
بكلمات اوراقها ، وازهارها ، وثمارها ، معلنة كمال صنعته سبحانه وجمال
رحمته جل جلاله .

وجعل الزهرة ايضاً ، والثمرة كذلك التي ما هي الا كلمة واحدة من
تلك الكلمات ، جعلها البارئ المصور تتكلم بكلمات بذيراتها الدقيقة ،
فعلّم بها سبحانه دقائق صنعته ، وكما ربوبيته لجميع من له شعور .

فدونك ما لا يحد من كلمات التسبيح والاذكار في الكون .

وسنستمع الآن الى ذلك النمط من كلام زهرة واحدة ، وسنصغي الى إفادة سنبله واحدة ، لنتعلم كيف ان هذا كله يشهد شهادة صادقة بالتوحيد: نعم ؛ ان كل نبات ، وكل شجر ، دليل واضح على صانعه ، وشاهد صدق بمختلف الألسنة العديدة لوحداية خالقه ، بحيث أن تلك الشهادة تجعل المدقق والمتمعّن فيه في حيرة وذهول يقول : يا سبحان الله ، ما اجمل شهادة هذا للتوحيد ! •

نعم انه واضح جلي كوضوح النبات نفسه وجميل كذلك كجمال النبات نفسه ، تلك التسيبجات التي يرددها كل نبات ضمن تكلمه المعنوي في تبسمه المشرق عند تفتح الأزهار وحين نضوج الاثمار والسنابل • ذلك لأن الثغر الباسم لكل زهرة ، وباللسان الدقيق للسنبيل المنتظم ، وبكلمات البذور الموزونة والحبوب المنتظمة ، يظهر ويبين (النظام) الذي يدل على (الحكمة) • وهذا النظام - كما هو مشاهد - في ثنايا (الميزان) دقيق حساس يدل على (العلم) ويبينه ويبرزه • وذلك (الميزان) هو ضمن (الصنعة الدقيقة) التي تدل على (المهارة الفائقة) • وتلك الصنعة الدقيقة والنقوش البديعة هي الاخرى ضمن الزينة الرائعة التي تبين (اللطف والكرم) • وتلك الزينة البهيجة هي بلورها معبقة بالروائح الطيبة الفواحة والعطر الزكي اللطيف التي تظهر (الرحمة والاحسان) •

فتلك الاوضاع والحالات التي لها معاني عميقة متداخلة ومكتنفة بعضها ببعض هي لسان شهادة عظمى للتوحيد ، بحيث تعرف الصانع ذا الجلال باسمائه المقدسة الحسنی ، وتصفه بأوصافه الجليلة السامية • وتشرح وتفسر أنوار تجليات اسمائه الحسنی ، وتعبّر عن تودّده وتجبّه سبحانه وتعالى •

فلئن استمعت الى شهادة كهذه من زهرة واحدة فقط ، وتمكنت ان تصغي الى الشهادة العظمى الصادرة من جميع الأزهار في جميع البساتين

الربانية على سطح الارض ، واستمعت الى ذلك الاعلان المدوي الهائل الذي
تعلنه تلك الازهار في وجوب وجوده سبحانه ووحدايته ، فهل تبقى لديك
ثمة غفلة ! أو أية شبهة ؟ • وان بقيت لديك غفلة •• فهل يمكن ان يطلق
عليك بانك انسان ذو شعور ؟ •

فتعال لتتأمل شجرة •• نحن أمام نشوء الاوراق ونموها - في الربيع -
بانتظام ودقة متناهية ، وأمام تفتح الازهار وخروجها من اكمامها بشكل
موزون ، وأمام نمو الثمار بحكمة ورحمة ••
فهلاً امعنت في منظر تلاعب الاغصان الرقيقة بهبة من نسيم رقيق
وكانه طفل برى !!

فشاهد ذلك المنظر اللطيف في فم الشجرة كيف يعبر كلاً من :

لسان الاوراق - المخضرة بيد الكرم - ولسان الازهار - المتبسمة
بنشوة اللطف - وكلمات الاثمار - الفرحة من تجلي الرحمة •• كل منه يعبر
عن ذلك (الميزان) الدقيق العادل الذي هو ضمن (النظام) البديع
المحكم • وفي هذا الميزان الدقيق الذي يدل على (العدل) ، نقوش صنعة دقيقة

بديعة وزينة فائقة تضم مذاقات متنوعة وروائح مختلفة طيبة لطيفة تدل على
الرحمة والاحسان ، وفي تلك المذاقات اللطيفة بنور ونوى هي بحد ذاتها
معجزة من معجزات القدرة الالهية •• كل ذلك يدل بوضوح ، ويظهر بجلاء ،
وجوب وجود خالق كريم ، رحيم ، محسن ، منعم ، مجمل ، مفضل واحد
أحد ، ويشهد كذلك على جمال رحمته سبحانه وكمال ربوبيته ••

فان استطعت أن تسمع هذا من لسان حال جميع الاشجار على سطح
الارض معاً فستفهم بل سترى : كم من الجواهر الجميلة النفيسة الرائعة في
- خزينة الآية الكريمة « يسبح لله ما في السموات والارض » ؟ •

فيها أيها الفافل المسكين ، ويا من يظن نفسه هملا دون حساب ، ويا
من يفرق في نكران الجميل والكفران ..

ان الكريم ذا الجمال يعرف نفسه ويحبها اليك بهذا الحشد من
الالسنه التي لا تعد ولا تحصى ، وإن اردت ان تصرف نفسك عن ذلك
التعريف . فما عليك الا أن تكلم جميع تلك الافواه ، وتسكت تلك الالسنه
كافه .. وانتي لك هذا !!

فما دام لا يمكن اسكات تلك الالسنه الناطقه بالتوحيد . فما عليك
الا الاصغاء والانصات اليها . والا فلن تنجو بمجرد سد الاذن بأصابع
الغفلة . لان عملك هذا لا يسكت الكون . فالكون جميعا ، والموجودات
كافه ناطقه بالتوحيد . فدلائل التوحيد واصداؤه شواهد عدل لا تنقطع ولا
تنتهي أبدا . فلا بد أنها ستدينك ..

من بستان الآخرة

- ديس للعبزة
- النشأة الاخرى
- عبودية محمد صلى الله عليه وسلم دليل على الآخرة
- باب الى حقيقة الحشر
- امثلة مشهودة عن الحشر
- من ثمرات الايمان بالآخرة
- اعظم قضية للبشرية

[خاتمة الكلمة الرابعة عشرة]

درس للعبوة

بسم الله الرحمن الرحيم [وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور] •

يا نفسي • ايتها الساذرة في الغفلة •

يا من ترين هذه الحياة حلوة لذينة فتطلبين الدنيا وتنسين الآخرة •
هل تدوين بم تشبهين ؟

انك لتشبهين النعامة ••• تلك التي اذا رأت الصياد فلا تطير ، بل
تقحم رأسها في الرمال تاركة جسمها الضخم في الخارج ظناً منها ان الصياد
لا يراها • إلا أن الصياد يرى ، ولكنها هي وحدها التي اطبقت جفניה تحت
الرمال فلم تعد ترى (١) !

فيا نفسي ! انظري الى هذا المثال وتأملی وابصري ، كيف ان حصر
النظر كله في الدنيا يحول لذة حلوة الى ألم اليم مرير ! •

هب انه في هذه القرية (بارالا) رجلان اثنان :

أما أحدهما فقد رحل تسعة وتسعون بالمئة من أحبته الى استانبول وهم
يعيشون هناك عيشة طيبة جميلة ، ولم يبق منهم هنا سوى شخص واحد
فقط وهو أيضاً في طريقه الى الالتحاق بهم ، لذا فان هذا الرجل مشتاق الى
استانبول أشد الاشتياق بل يفكر بها ، ويرغب ان يلتقي بالأحباب دائماً •
فلو قيل له في أي وقت من الاوقات :

— هيا اذهب الى هناك ، فانه سيذهب فرحاً باسمًا •

(١) نعم ان صياد الأجل يرى فلم يعد ينفع غمر الرأس وطمسه في رمل
الغفلة (م) •

أما الرجل الثاني فقد رحل من أحبته تسعة وتسعون بالمنة فيظن ان
خنى بعضهم ، ومنهم ان انزوى في اماكن لا ترى . فهلكوا وتفرقوا حسب
ظنه .

فهذا الرجل المسكين ذو داء عضال يبحث عن أنيس وعن سلوان
حتى في سائح واحد ، بدلاً عن أولئك جميعاً ، ويريد ان يغطي به على ألم
الفراق الأليم . فيا نفسي :

ان أحبتك كلهم ، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم (حبيب الله) صلى الله
عليه وسلم ، هم الآن في الطرف الآخر من القبر . فلم يبق هنا الا واحد أو
اثنان وهم ايضاً متأهبون للرحيل .

فلا تديرن رأسك جفلة من الموت ، خائفة من القبر ، بل حدّقي في
القبر وانظري الى حفرة بشهامة واستمعي الى ما يطلب .

وابتسمي بوجه الموت برجولة ، وانظري ماذا يريد ؟

وإياك ان تغفلي فتكوني أشبه بالرجل الثاني !

يا نفسي : لا تقولي ابدأ بأن الزمان قد تغيّر ، وان العصر قد تبدّل ،
وان الناس قد انغمسوا في الدنيا وافتتنوا بحياتها ، فهم سكارى بهوم
العيش ، . . ذلك لأن الموت لا يتغير ، وان الفراق لا ينقلب الى البقاء فلا يتغير
ايضاً ، وان العجز الانساني والفقر البشري هما ايضاً لا يتغيران بل
يزدادان ، وان رحلة البشرية لا تنقطع ، بل تحت السير وتمضي .

ثم لا تقولي كذلك : « أنا مثل كل الناس » . ذلك لأن كل واحد من
الناس لن يصاحبك الا على عتبة باب القبر . . لا غير .

ولو ذهبت تنشدين السلوان فيما يقال من مشاركة الآخرين معك .
في المصيبة ومعيتهم لك ، فان هذا ايضاً لا حقيقة له ولا أساس مطلقاً في
الطرف الآخر من القبر !

ولا تظني نفسك سارحة مفلوطة الزمام ، ذلك لأنك اذا ما نظرت الى دار ضيافة الدنيا هذه نظر الحكمة والروية ٠٠ فلن تجدي شيئاً بلا نظام ولا غاية ، فكيف اذن تبقين أنت وحدك بلا نظام ولا غاية ؟!

فحتى الحوادث الكونية والوقائع الشبيهة بالزلازل ليست هي العوبة بيد الصدفة فمثلاً : في الوقت الذي تشاهدون فيه بأن الأرض قد ألبست حلاًلاً مزرکشة بعضها فوق بعض مكتنفة بعضها في البعض من انواع النباتات والحيوانات في منتهى النظام وفي غاية النقش والجمال ، وترينها مجهزة كلها من قمة الرأس الى أخمص القدم بالحكم ، ومزينة بالغايات ٠ وفي الوقت الذي تدور بما يشبه جذبة حب وشوق مولوية بكمال الدقة والنظام ضمن غايات سامية ٠

ففي الوقت الذي تشهدون هذا ، وتعلمون ذلك ، فكيف يسوغ اذن أن تكون الزلزلة الشبيهة بهز عطف كرة الأرض (١) مظهرأ عدم رضاها عن التضييقات المعنوية وثقلها الناشئ من اعمال البشر ، ولاسبها أهل الايمان منهم ، كيف يمكن أن تكون تلك الحادثة المليئة بالموت ، دون قصد ولا غاية - كما نشره ملحد - ظناً منه أنها مجرد صدفة ، مرتكباً بذلك خطأ فاحشاً ومقترفاً ظلماً قبيحاً ، اذ صير جميع ما فقده المصابون من أموال وارواح هباءً منثورأ قاذفاً بهم في يأس اليم ٠

والحال أن مثل هذه الحوادث تدخر - دائماً - أموال أهل الايمان محولة إياها - بأمر الحكيم الرحيم - الى صدقة لهم ٠ وهي كفارة للذنوب الناشئة من كفران النعم ٠

فلسوف يأتي ذلك اليوم الذي تجد الأرض المسخرة وجهها دمية قبيحة بما لطخ زينتها شرك اعمال البشير ولوثها كفرانه ، فتمسح عندئذ وجهها بزلزلة عظيمة بأمر الخالق ، وتطهره مفرغة أهل الشرك - بأمر الله - في جهنم ، وداعية أهل الشكر : « هيا تفضلوا الى الجنة » ٠

(١) كتبت هذه بمناسبة الزلزال الذي حدث في أزمير ٠

[الكلمة التاسعة والعشرون - المقصد الثاني - المدار العاشر]

النشأة الأخرى

ان إخبار القرآن الكريم نفسه للحشر الجسماني تنوير كافٍ ، وكشف بين له . اذ هو المفتاح للحكمة المودعة في الكائنات ، وللسر المغلق للعالم . فالقرآن الكريم قد دعا مراراً الى التفكير ، ولفت الانظار الى آلاف من البراهين العقلية القطعية فالآيات الكريمة مثلاً [قل يحييها الذي أنشأها اول مرة] و [وقد خلقكم اطواراً] ، انما هي نماذج (للقياس التمثيلي) . وأن الآية الكريمة [وما ربك بظلام للعبيد] نموذج آخر يشير الى (دليل العدالة) في الكون . وآيات كثيرة أخرى قد وضع فيها نظارات ذات عدسات مكبرة كثيرة كي تنظر من خلالها الى السعادة الابدية في الحشر الجسماني .

وقد اوضحنا (القياس التمثيلي) الموجود في الآيتين الاوليين مع سائر الآيات الاخرى في رسالة « النقطة » (١) وخلاصته : ان الانسان كلما انتقل من طور الى طور مرّ بانقلابات منتظمة عجيبة ، فمن النطفة الى العلقة ، ومن العلقة الى المضغة ، ومن المضغة الى العظم ثم اللحم ، ومن ثم الى خلق جديد . . أي أن انقلابه الى صورة انسان ، يتبع دساتير دقيقة ؛ فكل طور منها له قوانين خاصة ، وانظمة معينة ، وحركات مطردة ؛ بحيث يشف عما تحته أنوار : القصد والارادة والاختيار والحكمة . وعلى الطريقة نفسها فان الخالق الحكيم الذي خلق الجسد يبدله سنوياً بسهولة تامة كتبديل الثياب ، فيكون هذا الجسد بحاجة الى تركيب جديد كي يتبدل ويبقى حياً ، وبحاجة الى احلال ذرات فعالة جديدة محل

(١) (نقطة من نور معرفة الله جل جلاله) : رسالة في غاية الأهمية تثبت اركان الايمان الستة ببراهين قاطعة . وهي مطبوعة ضمن كتاب « المنارى العربى النورى » ، م / .

ما انحل من الاجزاء . لذا فكما ان الجسد تنهدم حجراته بقانون آلهى منتظم
كذلك يحتاج الى مادة لطيفة - - باسم الرزق - كي يعمّر من جديد بقانون
آلهى رباني دقيق .

فالرزاقى الحقيقى سبحانه يوزع ويقسم - بقانون خاص - لكل عضو
من اعضاء الجسد المتباينة ، ونسبة معينة - ما يحتاجه من المواد المتنوعة
فتأمل الآن في اطوار تلك المادة اللطيفة المرسله من قبل الرزاق
الحكيم :

ان ذرات تلك المادة كأنها قافلة منتشرة في الغلاف الجوى . . في
الارض . . في الماء . . . فبينما هي مبشرة هنا وهناك ، اذا بها تستنفر
فتتجمع بكيفية خاصة ، وكأن كل ذرة منها هي مسؤولة عن وظيفة
أُرسلت الى مكان معين بواجب رسمى ، فتجتمع مع بعضها في غاية الانتظام . .
مما يوحي بانها حركة مقصودة . فسلوكها هذا يبين :

ان فاعلاً ذا ارادة واختيار يسوق تلك الذرات - بقانونه الخاص -
من عالم الجمادات الى عالم الاحياء ، وهنا بعد ان دخلت جسماً معيناً - رزقاً
له - تسير وفق نظم معينة وحركات مطردة ، وحسب دساتير خاصة .
اذ بعد ان تنضج في أربع مطابخ ، وتمر بأربع انقلابات عجيبة ، وتصفر
بأربعة مصاف ، نهياً للتوزيع الى أقطار الجسم وأعضائه المختلفة ، حسب
حاجات كل عضو ، وتحت رعاية الرزاق الحقيقى وعنايته وقوانينه
المنتظمة . . فاذا تأملت بعين الحكمة أية ذرة كانت من تلك الذرات فانك
سترى :

ان الذي يسوق تلك الذرة ويسيرها ، انما يسوقها بكل بصيرة ،
وبكل نظام ، وبملء السمع والعلم المحيط . . فلا يمكن بحال من الاحوال
ان يتدخل فيه (الاتفاق الاعمى) و (الصدفة العشوائية) و (الطبيعة
الصماء) و (الاسباب غير الواعية) . لان كل ذرة من الذرات عندما دخلت
الى طور من الاطوار - ابتداءً من المحيط الخارجى وانتهاءً الى داخل الخلية

«لصغيرة من الجسم - انما تعمل بإرادة ، وباختيار ، وحسب القوانين المعينة في كل طور من تلك الاطوار ٠٠ اذ حينما تدخل فانها تدخل بنظام ، وعندما تسير في اية مرتبة من المراتب فانما تسير بخطوات منتظمة الى حد تظهر جلياً انها تساق بأمر سائق حكيم ٠٠

وهكذا ، وبكل انتظام ، كلما سارت الذرة من طور الى طور ، ومن مرتبة الى اخرى لا تحيد عن الهدف المقصود حتى تصل الى المقام المخصص لها بأمر رباني ، في الخلية المعينة في قرحة عين (توفيق) (١) مثلاً ٠ وهناك تقف لتنجز وظائفها الخاصة ، وتؤدي ما انيط بها من اعمال ٠

وهكذا تتجلى الربوبية في الارزاق ، بأن تلك الذرات - منذ البداية - كانت معينة ، ومأمورة ، وكانت مسؤولة عن وظيفة ، وكانت مستعدة للوصول الى تلك المراتب المخصصة لها ، وكان كل ذرة مكتوب على جبينها ما ستؤول اليه ، اي ستكون رزقاً للخلية الفلانية ، مما يشير لنا - هذا النظام الرائع - أن اسم كل انسان مكتوب على ذرات رزقه ، كما أن رزقه مكتوب على جبينه بقلم القدرة الالهية ٠٠

فهل من الممكن ان الرب الرحيم ذا القدرة المطلقة والحكمة المحيطة الا ينشئ « المنشأة الاخرى » ؟ أو يعجز عنها ؟ ٠ وهو الذي له ملك السموات والارض وهنّ مطويات بيمينه من الذرات الى المجرات ويديرها جميعاً ضمن نظام محكم دقيق بديع ! حاشاه ٠٠

لذلك فان كثيراً من آيات القرآن الكريم تلفت نظر الانسان الى « المنشأة الاولى » ، الحكمة ، كمثل قياسي « للمنشأة الاخرى » في الحشر والقيامة . وذلك كي تستبعد انكارها من ذهن الانسان فتقول : [قل يحييها الذي أنشأها أول مرة] أي ان الذي أنشأكم على هذه الصورة الحكمة هو الذي يحييكم في الآخرة ، وتقول [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه] « الروم / ٢٧ » . اي أن اعادتكم واحياءكم في الآخرة اسهل من خلقكم

(١) اسم أحد تلامذة الاستاذ النورسي وأحد كتّاب رسائل النور ٠

في الدنيا؛ إذ كما أن الجنود إذا ما انتشروا وتفرقوا للاستراحة، يمكن إرجاعهم إلى أماكنهم تحت راية الفرقة بنفخة من البوق العسكري . فجمعهم هكذا من الاستراحة في مكان معين أسهل بكثير من تكوين فرقة جديدة من الجنود . كذلك فإن الذرات الأساس التي استأنست وارتبط بعضها ببعض بامتزاجها في جسم معين ، عندها ينفج (اسرافيل) عليه السلام في (صوره) نفخة واحدة ، تهب قائلة « لبيك » لأمر الخالق العظيم . فإن اجتماعها بعضها مع بعض مرة أخرى - لا ريب - أسهل وأهون عقلاً ، من إيجاد تلك الذرات أول مرة . هذا وقد لا يكون ضرورياً اجتماع الذرات جميعاً ، وإنما تكفى الذرات الأساس التي هي بمثابة البذور والنوى للأجسام ، كما عبّر عنها الحديث الشريف [عَجِبِ الذَّنْبِ] التي هي الأجزاء الأساس والذرات الأصلية الكافية وحدها أن تكون أساساً لإنشاء النشأة الأخرى عليها .

فالخالق الحكيم يبني من جديد جسد الإنسان على ذلك الأساس .

وأما القياس العدلي الذي تشير إليه الآية الكريمة [وما ربك بظلام للعبيد] . « فصلت / ٤٦ » فخلاصته :

إنه انرى كثيراً في عالمنا : أن الظالمين والفجار يقضون حياتهم في رفاة وراحة تامة ، أما المظلومون والمتدينون فيقضونها في شظف من العيش ، وبكل مشقة ورهق . . ومن ثم يأتي الموت فيحصد الاثنين معاً دون تمييز . فإن لم تكن هناك نهاية مقصودة ومعينة لظهر الظلم اذن في المسألة . فلابد من الاجتماع الأخرى بينهما حتى ينال الأول عقابه والثاني ثوابه . إذ المنزه عن الظلم سبحانه وتعالى وهو العادل الحكيم - بشهادة الكائنات قاطبة - لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقبل عدالته وحكمته بهذا الظلم ، ولا يمكن أن ترضى به . فالنهاية المقصودة اذن حتمية . لأن رؤية هذا الإنسان الكادح المهوك جزاء وثوابه حسب استعدادة ، يجعله رمزاً للعدالة المنحضة ومداراً لها ، ومظهراً للحكمة الربانية ، ومنسجماً مع

الموجودات الحكيمة في الكون واحاً كبيراً لها •

نعم ان دار الدنيا القصيرة هذه لا تكفي ، ولا تلائم لظهار ما لا تحد
من الاستعدادات والمواهب المندمجة في روح الانسان ولا لاثمارها • فلا بد
اذن أن يرسل هذا الانسان الى عالم آخر •

نعم ان جوهر الانسان عظيم ، لذا فهو رمز للابدية ، وأن ماهيته عالية
راقية ، لذا أصبحت جنائته عظيمة ، فلا يشبه الكائنات الاخرى • وان
نظامه دقيق ورائع ، فلا يمكن ان تكون نهايته بدون نظام • ولن يحمل ،
ولن يترك عبثاً • ولن يحكم عليه بالفناء المطلق ، ولن يذهب الى العدم •

وانما تفتح جهنم أفوهاها فاعرة تنتظره •
والجنة باسطة ذراعيها لاحتضانه •

[الحقيقة الخامسة من رسالة الحشر]

عبودية محمد ﷺ دليل على الآخرة

هل من الممكن لرب ذي رحمة واسعة وشفقة غير متناهية يبصر أخفى حاجة لأدنى مخلوق ويسعفه من حيث لا يحتسب برأفة متناهية ورحمة سابعة ويسمع أخفت صوت لأخفى مخلوق فيغيثه ، ويجب كل داع بلسان الحال والمقال ، هل من الممكن يا ترى لهذا الرب المجيب الرحيم ألا يقضي أهم حاجة لأعظم عباده (١) وأحب خلقه إليه ، ولا يسعفه بما يرجوه منه ؟ نعم خذ مثلاً لذلك : السهولة واللفظ الظاهران في اعاشة وتربية صفار الحيوانات وضعافها • انهما تبيينان لنا : ان مالك هذه الكائنات يسيّر هذا الكون برؤية لاحد • فهل يعقل لهذه الربوبية

(١) نعم ان الذي حكم ودام سلطان حكمه ألفاً وثلاثمائة وخمسين سنة والذي عدد امته أكثر من ثلثمائة وخمسين مليوناً - في اغلب الاوقات - وهم يجلدون معه البيعة يومياً ، ويشهدون بعلو مكانته وينقادون لأوامره انقياداً تاماً عن رغبة وطوعية ••• هذا الذي تسربل نصف الأرض وخمس البشرية بسرباله المبارك ، وانطبع بطابعه المعنوي ، واصبحت ذاته الشريفة محبوبة قلوبهم ، ومربية ارواحهم ، ومزكية نفوسهم ••• لا ريب انه العبد الاعظم لرب الكون سبحانه ••• هذا العبد الكريم الذي اصاب اغلب انواع الكائنات ثمرة من ثمرات معجزاته ، ونتيجة من نتائجها مرحباً بما أتى به من مهمات ، لا ريب انه احب المخلوقات عند خالق هذا الكون ، وان البشرية بكل مالها من استعداد ترجو البقاء وتطلب هذه الحاجة الملحة التي تنقذها من التردى الى دركات اسفل سافلين وترفعها الى درجات أعلى عليين ، وهي حاجة عظمى ، فلا ريب أن من يتقدم بها ويرفعها الى قاضي الحاجات فهو اعظم العباد •

المتصفة بكمال الشفقة والرأفة لن لا تستجيب لاجل دعاء لافضل مخلوق ؟
وكما قد بينت هذه الحقيقة في « الكلمة التاسعة عشرة » أعيد بيانها هنا :
فيا صديقي الذي يسمعي مع نفسي ! لقد ذكرنا في الحكاية : ان
هناك اجتماعاً في جزيرة ، وان مبعوثاً كريماً يلقي خطبة هناك ، فحقيقة ما
اشارت اليه الحكاية هي ما يأتي :

تعال لتتجرد من قيود الزمان ، ولنذهب بأفكارنا الى عصر النبوة ،
وبخيالنا الى تلك الجزيرة العربية كي نحظى بزيارته صلى الله عليه وسلم
وهو يزاول وظيفته بكامل عبوديته . انظر ! كيف انه - بما أتى به من
رسالة وهداية - سبب السعادة الابدية ووسيلة الوصول اليها ، فانه
صلى الله عليه وسلم - بدعائه وبعبوديته - هو الداعي ليجاد تلك السعادة
وخلق الجنة .

انظر الى الذات النبوية المباركة لإلام تدعو . . . انها تدعو الى السعادة
الابدية في صلاة كبرى شاملة ، وفي عبادة رفيعة مستغرقة ، حتى أن
الجزيرة العربية ، بل الارض برمتها ، كأنها تصلي مع صلاة هذا الكريم ،
وتبتهل الى الله بابتهاله الجميل ، ذلك لأن عبوديته صلى الله عليه وسلم
كما انها تتضمن عبودية جميع أمته الذين اتبعوه ، فهي تتضمن كذلك
- بسر الموافقة في الاصول - سرّ العبودية لجميع الانبياء عليهم السلام .
فهو يؤم صلاة كبرى - ايّما صلاة - ويتضرع بدعاء - ويا له من تضرع
رقيق - في خلق عظيم كأن الذين تنوروا بنور الايمان من لدن آدم عليه
السلام الى الآن ، والى يوم القيامة اقتدوا به ، وأمتنوا بدعائه (١) .

(١) نعم ان جميع الصلوات التي تقيمها الامة كلها ، منذ المناجاة الاحمدية
- عليه الصلاة والسلام - والصلوات والتسليمات التي تبعثها الى
النبي صلى الله عليه وسلم ان هي الا تأمين دائم لدعائه ، ومشاركة
عامة معه ، حتى أن كل صلاة وسلام عليه هو تأمين على ذلك الدعاء .
وكذا فكل ما يأتيه فرد من أفراد الامة من الصلوات في الصلاة ومن

انظر ! كيف يدعو من الله حاجة عامة مثل حاجة البقاء والخلود !
هذه الدعوة التي لا يشترك فيها معه أهل الارض وحدهم ، بل أهل السموات
ايضاً ، لا بل الموجودات كافة . وتقول بلسان الحال : آمين اللهم آمين
استجب يا ربنا دعاءه ، فنحن نتوسل بك ونتضرع اليك مثله . . . انظر !
انه يطلب تلك السعادة والخلود بكل رقة وحزن ، وبكل حب وود ، وبكل
شوق والحاح ، وبكل تضرع ورجاء ، يحزن الكون بأجمعه ويبكيه فيشترك
في دعائه .

ثم انظر وتأمل ! انه يدعو طالباً السعادة لقصد عظيم ، ولغاية سامية
. . يطلبها لينقذ الانسان ، والمخلوقات جميعاً من التردى الى هاوية أسفل
سافلين ، وهو الفناء المطلق والضياع والعبث ، ويرفعه الى أعلى عليين ،
وهو الرفعة والبقاء ، وتقلد الواجبات وتسلم المسؤوليات ليكون أهلاً له
ويرقى الى مرتبة المكتوبات الصمدانية .

انظر ! كيف انه يطلب الاستعانة مستغيثاً ببكاء ، متضرعاً راجياً من
الاعماق ، متوسلاً بالحاح . . حتى كأنه يسمع الموجودات جميعاً ، بل
السموات ، بل العرش ، فيهزّهم وجنداً وشوقاً الى دعائه ويجعلهم يرددون :
آمين اللهم آمين (١) .

الدعاء عقب الإقامة - حسب المذهب الشافعي - انما هو تأمين عام
على ذلك الدعاء الذي يدعو به للسعادة الابدية . فالنبي صلى الله
عليه وسلم يطلب في دعائه البقاء والسعادة الابدية ، وهذا هو ما
يريد الانسان ويطلبه بكل ما أوتي من قوة بلسان حال فطرته ،
لذا يؤمن خلفه جميع الذين تنوّنوا بنور الايمان ، فبل يمكن الا
يقرن هذا الدعاء بالقبول والاستجابة ؟

(١) نعم انه لا يمكن بحال من الاحوال الا يطلع المتصرف بهذا العالم الى
افعال من هو بالمنزلة الرفيعة من خلقه . في الوقت الذي يتصرف في
الكون بكل علم وبصيرة وحكمة ، كما هو مشاهد . ولا يمكن ايضاً
بحال من الاحوال الا يبالي ذلك المتصرف العظيم بدعاء هذا العبد
المختار من عباده ، وهو المظلم على كل افعاله ودعواته . كذلك
لا يمكن بحال من الاحوال ان لا يستجيب ذلك المتصرف القدير الرحيم

وانظر ! انه يطلب السعادة والبقاء الابدي ، ويرجوها من قدير سمير
كريم ، ومن عليم بصير رحيم يرى ويسمع أخفى حاجة لأضعف مخلوق
فيدركه برحمته ، ويستجيب له حتى ان كان دعاء بلسان الحال .

نعم انه يستجيب له ويغنيه بحكمة وبصيرة ورحمة بحيث لا تبقى
شبهة أو وهم ، بأن تلك الرعاية الطائفة ليست الا من لدن سمير بصير ،
وان ذلك التدبير الدقيق ليس الا من عند كريم رحيم .

فيا ترى ان الذي يقود جميع بني آدم في مسيرة الحياة على الارض
متوجها الى العرش الاعظم ، رافعا يديه ، داعيا بدعاء شامل لحقيقة العبودية
الاحمدية التي هي خلاصة عبودية البشرية ماذا يريد ؟ ماذا يريد شرف
الانسانية ، وفخر الكائنات ، وفريد الازمان والاكوان ؟ ! . لننصت
اليه . . انظر ! ، انه يطلب السعادة الابدية لنفسه ولامته ، انه يطلب
الخلود في دار البقاء ، انه يطلب الجنة ونعيمها . . نعم يطلبها ويرجوها
مع تلك الاسماء الالهية المتجلية بجمالها في مرآة الموجودات . . . نعم انه
يستشفع تلك الاسماء الحسنى . .

لتلك الدعوات وهو يرى من صاحبها كل التجرد والافتقار اليه .

نعم لقد تبدل وضع العالم بنور النبي صلى الله عليه وسلم ، وتبينت
حقيقة الانسان والكون وماهيتهما بذلك النور وانكشفت بذلك
الضياء فظهر ان موجودات هذا الكون مكتوبات صمدانية تستقرى
الاسماء الحسنى ومأمورات موظفات ؛ فهي موجودات نفيسة ذات معنى
ومغزى تليق بالبقاء . فلولا ذلك النور لظل الكون مستورا تحت
ظلام الاوهام ، محكوماً عليه بالفناء المطلق والعدم ، تافهاً دون معنى
ودون نفع ، بل كان عبثاً وسدى ووليدة الصدفة . ولهذا السر فان
كل شئ في الارض والسماء - من الثرى الى الثريا - يستضيء بنوره
ويبدى علاقته به مثلما يؤمن الانسان لدعائه ، ولا غرو ان روح
العبودية المحمدية ومخها انما هو الدعاء ، فحركات الكون ووظائفه
جميعاً ما هي إلا نوع من الدعاء ، ونمو البذرة وتحولاتها مثلاً ما
هو إلا نوع من دعاء لها لبارئها لتصبح شجرة .

أرأيت ان لم يكن هناك شيء من الاسباب الموجبة التي لاتعد ولا تحصى
للآخرة ولا شيء من الدلائل لوجودها ، أليس دعاء واحد من هذه الذات
النبوية المباركة يكون سبباً كافياً لايجاد الجنة(١) التي لا تخرج عن نطاق
قدرة خالقنا الرحيم ، وسهلة عليه سهولة إعادة الحياة الى الارض في أيام
الربيع ؟ نعم ان الذى جعل سطح الارض مثلاً للحشر ، فاوجد فيه مثلة
الف نموذج من نماذجه بقدرته المطلقة ، كيف يصعب عليه ايجاد الجنة ؟
إذا فكما ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت سبباً لايجاد دار الامتحان
هذه ، وصارت بياناً وإيضاحاً لسر « لولاك لولاك لما خلقت الافلاك » ، كذلك
فان عبوديته اصبحت سبباً لخلق تلك الدار السعيدة الابدية . فهل من الممكن
يا ترى لانتظام العالم البديع الذي جبرّ العقول والصنعة المتقنة ، وجمال
الربوبية الشاملة في اطار رحمته الواسعة ، ان يقبل - بعدم استجابة ذلك
الدعاء - انقطاع اسباب النظام ، وانطفاء جذوة الجمال ، وانحسار الشفقة ،
واحلال عدم الرحمة محلها ؟ اي لا يراعي ولا يسمع ولا ينجز اكثر الرغبات
اهمية ، واشدها ضرورة في حين انه يراعي بكل اهتمام ابسط الرغبات

(١) نعم ان ابداء نماذج الصنعة الدقيقة البديعة التي لا تعد ولا تحصى
على وجه الارض الذي هو بمثابة صحيفة صغيرة بالنسبة الى عالم
الآخرة الفسيح، وكذا اراءة نماذج الحشر والقيامة في ثلثمائة الف نوع
من مخلوقات ذات الموازنة والانتظام وكتابتها في تلك الصحيفة الواحدة
بهذا النظام البديع، لاشك أنها أعقد من تهيئة الجنة الموسومة بالفخامة
والرفعة في عالم البقاء الرحب . نعم يمكن القول : ان خلق حدائق
الربيع بما فيها من الازهار والرياحين امر يبعث على الحيرة والدهشة
اكثر مما يبعثهما خلق الجنة وبنسبة علو درجة الجنة ورفعة مكانتها
على الربيع .

وأصغرها ويسمع أخفت الاصوات ويقضي لكل ذي حاجة حاجته ! كلا ثم
كلا ألف مرة ان مثل هذا الجمال يأبى التشوه ولن يكون قبيحاً (١) .
فالرسول صلى الله عليه وسلم اذن كما انه قد فتح برسالته باب
الحياة الدنيا ، فانه صلوات الله وسلامه عليه قد فتح ايضاً بعبوديته باب
الآخرة عليه صلوات الرحمن ملء الدنيا ودار الجنان .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك ، ذلك الحبيب الذي هو سيد
الكونين ، وفخر العالمين ، وحياة الدارين ، ووسيلة السعادتين ، وذو
الجناحين ورسول الثقلين وعلى آله وصحبه اجمعين وعلى اخوانه من النبيين
المرسلين . آمين .

(١) نعم ان انقلاب الحقائق محال بالاتفاق . واشد المحال محالاً هو
انقلاب للضد الى ضده . وضمن عدم امكان انقلاب الحقائق الى
اضدادها حقيقة لا تقبل الضد قطعاً وهي انقلاب الشيء مع احتفاظه
بماهيته الى عين ضده ، كأن ينقلب الجمال المطلق - مع احتفاظه بهذا
الجمال - الى القبح الحقيقي ! فتحول جمال الربوبية الواضح والظاهر
ظهوراً قطعياً الى ضده مع بقاءه على ماهيته هو أشد محالاً وأكثر
عجباً في احكام العقل .

باب إلى حقيقة الحشر

هل من الممكن لمن أحيا الأرض الضخمة بعد موتها وجفافها وظهر قدرته ضمن هذا الاحياء ، بحشره لآكثر من ثلاثمائة ألف نوع من أنواع المخلوقات ونشره لها مع ان بعث كل نوع وحشره عجيب كأعجوبة بعث البشر وحشره • والذي أظهر بمنتهى التمييز وغاية التمايز بين المخلوقات احاطة علمه ضمن ذلك الحشر والنشور وضمن ذلك الامتزاج والتشابك • والذي وجه أنظار جميع عباده الى السعادة الأبدية بما وعدهم الحشر في جميع أوامره السماوية • والذي أظهر عظمة ربوبيته بجعله جميع الموجودات متكافئة متفقة فادارها ضمن دائرة أمره وإرادته ، مسخراً أفرادها ، معاونا بعضها بعضاً • والذي منح الأهمية القصوى للبشر بجعله أجمع ثمرة في شجرة الكائنات ، والطفها وأشدّها رقةً ودلالاً وأكثرها مستجاباً للدعاء ، مسخراً له كل شيء ، متخذاً إياه مخاطباً • أفمن الممكن لمثل هذا القدير الرحيم وهل يمكن لمثل هذا العليم الحكيم الذي أعطى هذه الأهمية للإنسان ان لا يأتي بالقيامة ؟ ولا يحدث الحشر أو يعجز عنه ! حاشا لله !! وان لا يبعث البشر أو يعجز عنه ؟ وهل يمكن ان لا يفتح أبواب المحكمة الكبرى فلا يخلق الجنة والنار ؟؟؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً •

نعم ؛ ان المتصرف العظيم في هذا العالم جلّ جلاله يحدث في هذه الأرض المؤقتة الضيقة ، في كل عصر ، وفي كل سنة ، وفي كل يوم نماذج وأمثلة كثيرة وإشارات عديدة للحشر الأكبر •

فنرى مثلاً انه يحشر في بضعة ايام في حشر الربيع ويبعث أكثر من ثلاثمائة ألف نوع من أنواع النباتات والحيوانات من صغير وكبير فيحيي جذور الأشجار والأعشاب ، ويعيد بعض الحيوانات بعينها كما يعيد أمثال

بعضها الآخر . ومع أن الفروق المادية بين البذيرات المتناهية في الصغر جزئية جداً ، فإنها تبعث وتحيا بكل تميّز ، وتشخص في منتهى السرعة في ستة أيام أو ستة أسابيع وفي منتهى السهولة والوفرة وبانتظام كامل وميزان دقيق رغم اختلاطها وامتزاجها . فهل يمكن لمن يقوم بمثل هذه الاعمال ان يصعب عليه أمر ؛ أو يعجز عن خلق السموات والارض في ستة أيام ، أو لا يستطيع ان يحشر الارض بصيحة واحدة ؟ .. سبحان الله عما يصفون .

فيا ترى ان كان ثمة كاتب صاحب خوارق يكتب ثلاثمائة الف كتاب مسحت حروفها ومسخت ، يكتبها في صحيفة واحدة دون اختلاط ولا سهو ولا نقص وفي غاية الجمال ، يكتبها جميعاً معاً خلال ساعة واحدة!! فان قال لك احدهم : ان هذا الكاتب سيكتب من حفظه في دقيقة واحدة كتابك الذي هو من تأليفه والذي وقع في الماء ، فهل يمكنك أن ترد عليه وتقول : لا يستطيع . لا أصدق ؟!

أو أن سلطاناً ذا معجزات يرفع الجبال وينسفها ويغيّر المنن بكاملها ويحول البحر الى البر ، بإشارة منه ، ليظهر قدرته ويجعلها آية للناس .. فينما ترى منه هذه الاعمال اذا بصخرة عظيمة تندحرج الى واد وتسد الطريق على ضيوفه ، فان قال لك احدهم : ان هذا السلطان سيرفع حتماً تلك الصخرة من على الطريق ويحطمها مهما كانت كبيرة ، حيث لا يمكن ان يترك ضيوفه في الطريق .. كم يكون جوابك هدياناً أو جنوناً اذا ما أجبتة بقولك : لا ، لا يستطيع أن يرفع ، أو لن يرفع !!؟ ..

أو أن عظيمًا يمكنه ان يجمع من جديد افراد جيشه الذي شكله بنفسه في يوم واحد . وقيل لك ان هذا سيجمع افراد تلك الفرق وستنضوى تحت لوائه أولئك الذين سرّحوا وتفرّقوا ، بنفخة من بوق ، فأجبتة : لا ، لا أصدق ! عندها تفهم أن جوابك هذا كم يكون جواباً جنونياً ايّ جنون !! فاذا كنت قد فهمت هذه الامثلة الثلاثة فتأمل في : الباري المصور

الخلق سبحانه وتعالى الذي يكتب امام انظارنا بأحسن صورة وأنما بقلم القدرة والقدر أكثر من ثلاثمائة ألف نوع من الانواع على صحيفة الارض ، مبدلاً صحيفة الشتاء البيضاء الى اللوارق المتفتحة للربيع والصيف ، يكتبها متداخلة دون اختلاط ، يكتبها معاً دون مزاحمة ولا التباس ، رغم تباين بعضها مع البعض في التركيب والشكل . فلا يكتب خطأ مطلقاً . نعم ، يمكن أن يسأل الحفيظ الحكيم الذي أدرج خطة روح الشجرة الضخمة ومنهاجها في بذرة متناهية في الصغر - كأنها نقطة - محافظاً عليها : كيف سيحافظ على أرواح الاموات ؟

أم هل يمكن أن يسأل القدير ذو الجلال الذي يجري الأرض في دورتها بسرعة فائقة ، كيف سيرفعها من على طريقتي الآخرة ، وكيف سيدمرها ؟؟

أم هل يمكن أن يسأل ذو الجلال والاکرام الذي أوجد الذرات من العدم ونسفها بأمر « كن فيكون » في أجساد جنود الأحياء ، فأنشأ منها الجيوش الهائلة ، كيف سيجمع - بصيحة واحدة - تلك الذرات الأساس التي تعارفت فيما بينها ، وتلك الأجزاء الأساس التي انضوت تحت لواء فرقة الجسد ونظامه ؟؟

فها أنت ذا ترى بعينيك كم من نقوش ونماذج وأمثلة وامارات للحشر شبيهة بحشر الربيع ، قد أبدعها الباري سبحانه وتعالى في كل موسم ، وفي كل عصر ، حتى ان تبديل الليل والنهار ، وانشاء السحاب الثقال وافناءها من الجو نماذج للحشر وأمثلة وامارات عليه .

واذا تصورت نفسك قبل ألف سنة مثلاً ، وقابلت بين جناحي الزمان الماضي والمستقبل ، ترى أمثلة الحشر والقيامة ونماذجها بعدد العصور والايام .

فلو ذهبت الى استبعاد الحشر الجسماني - متوهماً أنه بعيد عن العقل - بعد ما شاهدت هذا العدد الهائل من الأمثلة والنماذج فستفهم مدى ما ترتكبه من حماقة .

تأمل ماذا يقول الدستور الاعظم حول هذه الحقيقة : [فانظر الى آثار
رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى] «الروم/ ٥٠»
الخلاصة : ليس هناك شيء يحول دون حدوث الحشر ، بل كل شيء يقتضيه
ويسند عليه .

نعم ! ان الذي يحيي هذه الارض الهائلة - وهي معرض
العجائب - ويميتها كأدنى حيوان ، والذي جعلها مهداً مريحاً وسفينة جميلة
للانسيان والحيوان ... وجعل الشمس ضياءً وموقداً لهذا المضيف ...
وجعل الكواكب السيارة والنجوم اللامعة مساكن طائرات للملائكة ...

ان ربوبية خالدة جليلة الى هذا الحد ، وحاكمة محيطة عظيمة الى
هذه الدرجة ، لا تستقران ولا تنحصران في أمور الدنيا الفانية الزائلة
الواهية السيالة التافهة المتغيرة . فهناك إذأ دار اخرى باقية دائمة ،
جليلة ، عظيمة مستقرة . فهو - سبحانه - يدعونا ويسوقنا الى السعي
الدائب لأجل تلك الممالك والديار . يشهد على ذلك اصحاب الارواح النيرة
وأقطاب القلوب المنورة وأرباب العقول النورانية جميعهم ، الذين نفذوا
من الظاهر الى الحقيقة ، والذين نالوا شرف التقرب اليه سبحانه .
ويخبرون - متفقين - انه سبحانه قد أعد ثواباً وجزاءً ، ويروون أنه يعد
وعداً قاطعاً ويوعد وعيداً جازماً ..

فاخلاف الوعد لا يمكن أن يدنو الى جلاله المقدس ؛ لانه ذلّة وتذلل .
وأما اخلاف الوعيد فهو ناشئ إما عن العفو أو العجز .. والحال أن الكفر
جناية مطلقة (١) لا يستحق المغفرة . أما القدير المطلق فهو قدوس منزّه عن

(١) نعم ان الكفر اهانة وتحقير للكائنات جميعاً حيث يتهمها بالعيبية
وانتفاء النفع . وهو تزييف تجاه اسماء الله الحسنى ، لأنه ينكر تجلي
تلك الاسماء على الموجودات . وهو تكذيب للمخلوقات جميعاً حيث
يردّ شهادة الموجودات على الوجدانية . لذا فانه يفسد قوى الانسان
واستعداداته الى درجة يسلب منه القدرة على تقبل الخير والصلاح .
فالكفر إذا ظلم عظيم جداً اذ هو تجاوز لحقوق جميع المخلوقات ولجميع

العجز ، أما المخبرون والشهود فهم متفقون اتفاقاً كاملاً على أساس هذه المسألة رغم اختلاف مسالكهم ومناهجهم ومشاربهم . فهم من حيث الكثرة بلغوا درجة التواتر ، ومن حيث النوعية بلغوا قوة الاجماع ، ومن حيث المنزلة فهم نجوم البشرية وهداتها وأعزة القوم وعيون الطوائف . ومن حيث الاهمية فهم في هذه المسألة أهل اختصاص وأهل اثبات . ومن المعلوم ان حكم اثنين من أهل الاختصاص - في علم أو صنعة - يرجح على آلاف من المنكرين ، كما في اثبات رؤية هلال رمضان ؛ حيث يرجح شاهدان مثبتان بينما يضرب بكلام آلاف من المنكرين عرض الحائط .

والخلاصة : ليس في العالم خبر أصدق من هذا ، ولا قضية أصوب منها ، ولا حقيقة أظهر منها ولا أوضح . فلا شك اذن ان الدنيا مزرعة ، والمحشر بيدر ، والجنة والنار مخزنان .

الاسماء الحسنى ؛ لذا فحفاظاً على هذه الحقوق ، ولعدم تمكن نفس الكافر من قبول الخير ، اقتضى حرمانه من العفو . والآية الكريمة : (ان الشريك لظلم عظيم) تفيد هذا المعنى .

[القطعة الثالثة من ذيل رسالة الحشر]

امثلة مشهورة عن الحشر

سؤال يرد بمناسبة مبحث الحشر :

ان ما ورد في القرآن الكريم مراراً (ان كانت إلا صيحة واحدة) ،
« يس/ ١٩ » (وما أمر' الساعة إلا كلمح البصر) « النحل/ ٧٧ » ، يبين لنا
ان الحشر الاعظم سيظهر فجأة الى الوجود ، في آن واحد بلا زمان . ولكن
العقول الضيقة تطلب أمثلة واقعية مشهودة كي تقبل وتدعن لهذا الحدث
الخارق جداً والمسألة التي لا مثيل لها .:

الجواب :

ان في الحشر ثلاث مسائل هي : عودة الارواح الى الاجساد ، واحياء
الاجساد ، وانشاء الاجساد وبنائها .

المسألة الأولى :

مثال مجيء الارواح وعودتها الى اجسادها هو : اجتماع الجنود
المنتشرين في فترة الاستراحة والمتفرقين في شتى الجهات على الصوت المدوي
للبنوق العسكري .

نعم ، ان الصور الذي هو بوق اسرافيل عليه السلام ، كما أنه ليس
قاصراً عن البوق العسكري ، فان الارواح التي هي في جهة الأبد وعالم
الذرات والتي أجابت بـ « قالوا : بلى » عندما سمعت نداء « ألسن بربكم »
المقبل من اعماق الازل لاشك ان نظامها وطاعتها هذه تفوق أضعاف ما عند
أفراد الجيش المنظم . وقد اثبتت « الكلمة الثلاثون » (١) ببراهين دامغة انه
ليست الارواح وحدها جيش سبحانه فحسب وانما جميع الذرات هي
جنوده المتأهبون للتنفيذ العام .

المسألة الثانية :

أما المثال لأحياء الأجساد فهو :

مثلاً يمكن إنارة مئات الآلاف من المصابيح الكهربائية ليلة مهرجان مدينة عظيمة من مركز واحد ، في لحظة واحدة ، كأنها بلا زمان . كذلك يمكن إنارة مئات الملايين من المصابيح وبعثها على سطح الأرض من مركز واحد . فما دامت الكهرباء وهي مخلوقة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى وخادمة إضاءة في دار ضيافته لها هذه الخصائص والقدرة على القيام بأعمالها حسب ما تتلقاه من تعليمات وتبليغات ونظام من خالقها ، فلا بد أن الحشر الأعظم سيحدث كلمح البصر ضمن القوانين المنظمة الآلهية التي يمثلها آلاف الخدم المنوّرين - كالكهرباء - .

المسألة الثالثة :

التي هي انشاء الأجساد فوراً فمثالها هو :

انشاء جميع الأشجار والأوراق - التي يزيد عددها ألف مرة على مجموع البشرية - دفعة واحدة في غضون بضعة أيام في الربيع ، وبشكل كامل ، وبالهيئة نفسها التي كانت عليه في الربيع السابق وكذلك ايجاد جميع الأزهار والثمار والأوراق للأشجار كافة - بسرعة كالبرق - كما كانت في الربيع الماضي وكذلك تنبث البذيرات والنوى والبذور التي لا تحصى ولا تعد - وهي منشأ ذلك الربيع - في آن واحد معاً وانكشافها وحياتها وكذلك نشور الجثث المنتصبة والهياكل العظمية للأشجار ، وامتثالها فوراً لأمر « البعث بعد الموت » وكذلك أحياء أفراد أنواع الحيوانات الدقيقة وطوائفها التي لا حصر لها بمنتهى الدقة والاتقان وكذلك حشر أمم الحشرات ولا سيما الذباب (المائل أمام عيني والذي يذكرنا بالوضوء والنظافة لقيامه بتنظيف أيديه وعيونه وجناحيه باستمرار وملاطفته وجوهاً) الذي يفوق عدد ما ينشر منه في سنة واحدة عدد بني آدم جميعهم من لئن آدم عليه السلام ، فحشر هذه الحشرة في كل ربيع مع سائر الحشرات الأخرى وأحيائها في بضعة أيام ، لا بد أنه لا يعطي مثلاً

واحداً بل آلاف الامثلة على انشاء الاجساد البشرية فوراً يوم القيامة .
نعم ؛ لما كانت الدنيا هي دار « الحكمة » والدار الآخرة هي دار
« القدرة » فان إيجاد الاشياء في الدنيا صار بشيء من التدريج ومع الزمن ،
وذلك بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب أغلب الاسماء الحسنی أمثال «الحكيم
المرتّب ، المدبر ، الربّي » . إما في الآخرة فان « القدرة » و « الرحمة »
تتظاهران اكثر من « الحكمة » فلا حاجة الى المادة والمدة والزمن ولا الى
الانتظار . فالاشياء تنشأ هناك نشأة آنية . وما يشير اليه القرآن الكريم
بـ « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب » ، هو : ان ما ينشأ هنا
من الاشياء في يوم واحد وفي سنة واحدة ينشأ في لمحة واحدة - كلمح البصر -
في الآخرة .

واذا كنت ترغب ان تفهم ان مجيء الحشر أمر قطعي كقطعية مجيء
الربيع المقبل وحتميته فانعم النظر في (الكلمة العاشرة) و (الكلمة التاسعة
والعشرين) (٢) وان لم تصدق به كمجيء هذا الربيع ، فلك أن تحاسبني
حساباً عسيراً .

المسألة الرابعة :

وهي موت البشر وقيام الساعة ، فمثاله : انه لو اصطدم كوكب سيار
أو مذنب - بأمر رباني - بكرتنا الأرضية التي هي دار ضيافتنا ، لدمّر
ماوانا ومسكننا (أي الأرض) ، كما يدمّر في دقيقة واحدة - قصر بني
في عشر سنوات .

(١) وهي « الكلمة » التي تبحث في المقصد الثاني منها اللغز المحيّر في
الذرات وتظهر بجلاء الحكمة الكامنة في حركاتها وتقييم الأدلة القاطعة
على ان تلك الذرات التي تملأ الوجود جيش عظيم منسق مسخر
لاوامر الله سبحانه /م

(٢) رسالة « الملائكة والروح والحشر » فيها من الأدلة الدامغة والامثلة
الواضحة بحيث يكون وجود الملائكة وبقاء الروح وحقيقة الحشر
مسلمات عقلية كما هي مسلمات عقلية بالآيات الكريمة والاحاديث
الشريفة . نرجو الله ان نوفق في نشرها /م

[من المسألة الثامنة من رسالة الثمرة وهي الشجاع الحادى عشر]

مقدمة الإيمان بالله الآخرة

سنبين هنا بشكل موجز بضع نتائج فقط - من بين المئات منها - التي يحققها (الإيمان بالآخرة) في اسعاد الحياة الدنيا .
أولها :- كما ان الانسان - خلافاً للحيوان - ذو علاقة مع بيئته ، فهو ايضاً ذو ارتباط وثيق مع الدنيا . ومثلما انه مرتبط باقاربه بروابط ووشائج ، فهو كذلك ذو نسب فطري بالجنس البشري ، وكما انه يحب البقاء في الدنيا الفانية فهو يتوق الى بقاءه في الدار الباقية . وكما انه يسعى دائماً لتأمين حاجات معدته الى الغذاء فهو مضطر بفطرته - بل يسعى - لتأمين الاغذية لعقله وقلبه وروحه وانسانيته ، من الموائد الممتدة على سعة الدنيا ، بل الممتدة الى الأبد ، لما له من آمال ومطالب لا يشبعها سوى السعادة الابدية .

نعم ، كنت قد حدثت خيالي في عهد صباي : أيّ الأمرين تفضل ؟ قضاء عمر سعيد مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك الى العدم ، أم وجوداً باقياً مع حياة اعتيادية ذات مشقة ؟ فرأيته يرغب في الثانية ويتأفف من الاولى ، قائلاً : انني لا أريد العدم بل البقاء .

فما دام جميع لذائد الدنيا لا تشبع الخيال ، الذي هو احد خدام الماهية الانسانية ، فلا بد ان حقيقة الماهية الانسانية الجامعة الشاملة جداً مرتبطة فطرة بالخلود والبقاء .

فكم يكون الايمان بالآخرة اذا كنزاً عظيماً لهذا الانسان الوثيق الصلة بهذه الرغبات والآمال التي لا تنتهي وهو لا يملك سوى جزءٍ من الاختيار الجزئي ويتقلب في الفقر المطلق ؟ وكم يكون هذا الايمان محوراً للسعادة المطلوبة واللذة المتبغاة ؟ وكم يكون مرجعاً ومدار استمداد وسلوة له تجاه

هموم الدنيا غير المحصورة ؟ فلو ضحى هذا الانسان بكل حياته الدنيا
في سبيل الفوز بهذه الثمرات والفوائد لكنت اذن زهيدة !

الشهرة الثانية للإيمان بالآخرة •

نعم ان ما يقلق الانسان دوماً وينغص حياته ، هو تفكيره الدائم في
مصيره ، وكيفية دخوله القبر ، مثلما انتهى اليه مصير أحبته وأقاربه ،
فتوهم الانسان المسكين - الذي يضحي بروحه لأجل صديق عزيز -
وتصوره من ان آلافاً بل ملايين الملايين من اخوانه البشر ينتهون الى العدم
بالموت - ذلك الفراق الابدي الذي لا لقاء وراه - سيذيقه ألماً شديداً أشد
من آلام جهنم • ففي هذا الوقت الذي يتلوى هذا الانسان من ألم ذلك
العذاب الأليم الناجع من ذلك التفكير يأتي الإيمان بالآخرة ، فاتجا بصيرته ،
ومزبلاً الفشاوة عن عينيه ، قائلاً له :- انظر فينظر حينها بنور
الإيمان ، فاذا به يكسب لذة روحية عميقة تنبئ بلذة الجنة ، بما يشاهد
من نجاة أحبته وخلصهم عن الموت النهائي والفناء والبلى والاندثار ومن
بقائهم خالدين في عالم النور الابدي ينتظرونه •

الفائدة الثالثة التي تعود للحياة الشخصية :-

ان مقام الانسان الراقى وتفوقه على سائر الحيوانات وامتيازه عليها
انما هي لسجاياه السامية ، ولاستعداداته الفطرية الجامعة ، ولعبوديته
الكلية ، ولسعة دوائر وجوده • لذا فالانسان المنحصر في الحاضر فقط
المنسلخ من الماضي والمبتوت الصلة بالمستقبل - فهما معدومان ميتان مظلومان
بالنسبة له - • هذا الانسان يكسب سجايا المروءة والمحبة والاخوة
والانسانية - وتحدد عنده - على أساس حاضره ووفق مقاييسه وموازينه ،
فيولي المحبة لأبيه أو أخيه أو زوجته أو أمته ، ويقوم بخلمتهم ، وفق تلك
المقاييس الضيقة للحاضر ، وكأنه لا يعرفهم سابقاً ولن يراهم مستقبلاً ،
فلا يرقى أبداً الى مرتبة الصديق في الوفاء ، ولا الى مكانة الاخلاص في

الصدقة ، ولا الى درجة الود المصفى من الشوائب في المحبة ، ولا الى الاحترام انبراً من الغرض في الخدمة ؛ لأن سعة تلك السجايا والكمالات قد تضاءلت وصغرت بالنسبة نفسها ، وحينها يتردى الانسان الى درك أدنى الحيوانات عقلاً • ولكن ما ان يأتي الايمان بالآخرة عند هذا الانسان لينقذه ويمده ويغيثه ، حتى يحول ذلك الزمن الضيق - الشبيه بالقبر - الى زمان فسيح واسع جداً بحيث يستوعب الماضي والمستقبل معاً ، فيره وجوداً واسعاً بسعة الدنيا ، بل بسعة تمتد من الازل الى الابد ، وعندئذ يقوم هذا الانسان باحترام والده وتوقيره بمقتضى الابوة الممتدة الى دار السعادة وعالم الأرواح ويساعد اخاه ويعاونه - بذلك التفكير - بالاخوة الممتدة الى الابد ، ويحب زوجته - لمعرفته - أنها أجمل رفيقة حياة له حتى في الجنة ، ولا يجعل هذه الدائرة الحياتية الواسعة الفسيحة - وما فيها من علاقات وخدمات مهمة - وسيلة لأمر تافهة دنيوية ولا لاغراضها الجزئية ومنافعها الزهيدة • لذا يظفر بالصدقة التامة ، والوفاء الخالص ، والاخلاص الأتم ، في علاقاته وخدماته ، فتبدأ كمالاته وخصاله بالسمو والرقى بالنسبة نفسها ، وتعالى انسانيته ، ولكل حسب درجته •• فذلك الانسان الذي ما كان له ان يرقى الى مستوى عصفور في تذوقه للحياة ، اصبح الآن - بفضل الايمان بالآخرة - ضيفاً مرموقاً في الدنيا وكائناً سعيداً ، ومخلوقاً ممتازاً فيها يرقى فوق جميع الحيوانات ، بل يصبح احب مخلوق ، واكرم عبد ، عند صاحب الكون ومالكه •

الفائدة الرابعة التي تنظر الى الحياة الاجتماعية :-

وخلصتها هي :- ان الاطفال الذين يمثلون ربع البشرية ، لا يمكنهم ان يعيشوا عيشة انسان سوي ينطوي على نوازع انسانية الا بالايمان بالآخرة • اذ لولا هذا الايمان لاضطروا ان يقضوا حياة ملوثة بالاضطراب والهموم الاليمة • فلا يهنتون بالعابهم ولا يتسلون بلعبهم ، لان الموت الذي يصيب من حولهم من الاطفال يؤثر بالغ التأثير في نفس الطفل ، وفي شعوره

المرهف الرقيق ، وفي قلبه الذي سينطوي في المستقبل على آمال ورغبات كثيرة ، وفي روحه التي لا تستطيع الصمود فتصاب بالقلق والحيرة ، حتى تصبح حياته ، وعقله ، وسيلتي عذاب له ، فلا يجدى اللهو واللعب نفعاً قبل ان يجد لتساؤله وحيرته جواباً ٠٠ الا أن الارشاد الايماني بالآخرة يجعله يحاور نفسه هكذا :-

« إن صديقي - أو أخي - الذي توفي قد اصبح الآن طيراً من طيور الجنة ، نهر اكثر منا اذاً أنساً وانطلاقاً وتجوّلاً ٠ وان والدتي - وان توفيت - الا أنها مضت الى الرحمة الآلهية الواسعة ، وستضمني ايضاً الى صدرها الحنون في الجنة ، وأرى تلك الوالدة الشفيقة ٠ وبهذا يمكنه ان يعيش هادئاً مطمئناً ٠

وهكذا الشيوخ الذين يمثلون ربع البشرية ، لا يرون السلوان حيال انطفاء حياتهم قريباً ، ودخولهم تحت التراب ، وقد أوصدت الدنيا الجميلة الحلوة ابوابها في وجوهم الا الايمان بالآخرة ٠ اذ لولا هذا الايمان لتجرع اولئك الآباء المحترمون الرحماء ، وتلك الامهات الغدائيات الشفيقات الويل تلو الويل ، ولباتوا في حالة نفسية تعسة جداً ، وفي قلق قلبي عنيف ، ولأصبحت الدنيا تضيق عليهم كالسجن ولغدت الحياة نفسها عذاباً مقيماً لا يطاق ٠ فالايان بالآخرة يهتف بهم قائلاً :

لا تغتموا أيها الشيوخ ولا تبالوا كثيراً ، فان لكم شباباً خالداً وهو امامكم وسيأتي حتماً ٠ وان حياة ساطعة بهيجة ، وعمراً مديداً أبدياً في انتظاركم ، وستلتقون بأولادكم واقاربكم الذين فقدتموهم ، وجميع حسناتكم محفوظة وستأخذون ثوابها ٠٠ ، ٠ وهكذا يمنح - الايمان بالآخرة - سلواناً وانشراحاً لهم بحيث لو حمل احدهم اثقال مئة شيخوخة لتحملها صابراً في انتظار ما سيعقبها من حياة اخروية سعيدة ٠

وكذا الشباب المذين يمثلون ثلث البشرية ، قد لا يصغون لصوت عقولهم الجريئة ٠ فرغباتهم وهواهم في ثورة وجيشان وهم مغلوبون على أمر

حواسهم ونوازعهم ، فاذا ما فقد هؤلاء الشباب الايمان بالآخرة ولم يتذكروا عذاب جهنم ، فان اموال الناس وأعراضهم وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ تصبح مهددة بالخطر اذ قد يدمر احدهم سعادة بيت آمن هنيئاً لأجل لذة طارئة في دقيقة واحدة ومن ثم يذوق وبال أمره عذاباً لسنين عديدة في مثل هذه السجون .

ولكن اذا أمدد الايمان بالآخرة واغاثه ، فسرعان ما يسترجع صوابه ويسترشد بعقله ، ويخاطب نفسه قائلاً :- « على الرغم ان جواسيس الحكومة وعيونها لا يمكنهم رؤيتي لكوني في خفاء عنهم ، فان ملائكة السلطان الاعظم ذي الجلال الذي يملك السجن الاكبر الدائمى - وهو جهنم - يسجلون علي سيناتي ٠٠ فأنا اذن لست طليقاً مغلوت الزمام ، بل أنا ضيف عابر ذو مهمة ٠٠ وسأكون - لا محالة - في يوم ما ضعيفاً وشيخاً ايضاً ٠٠٠ ، فتترشح قطرات الرحمة والرأفة والشفقة ، عندئذٍ من اعماق قلبه ، ويشعر بالاحترام لأولئك الذين كان يريد أن يتعدى على حقوقهم ظلماً .

وكذلك المرضى والمظلومون وامثالنا من ذوي المصائب والفقراء والمساجين الذين حوكموا بعقوبات مشددة ، كل هؤلاء يمثلون الجزء الأهم من البشرية ، فان لم يعنهم الايمان بالآخرة وان لم يتسلوا به ، فان الموت الذي يجدونه امامهم دائماً ، بما عندهم من مرض ، وأن الاهانة التي يرونها من الظلمة دون ان يتمكنوا من الاقتصاص منهم ولا من انقاذ شرفهم وكرامتهم من بين مخالفهم ، وان اليأس الليم النابع مما اصاب اموالهم وأولادهم من الضياع في الكوارث ، وان الضيق الشديد الناشئ من آلام السجن وعذابه لسنوات عديدة نتيجة لذة طارئة لا تستغرق دقائق أو ساعات ٠٠٠ كل ذلك يصير الدنيا - بلا ريب - سجنًا لهؤلاء المنكوبين ، ويجعل الحياة نفسها عذاباً أليماً لهم . ولكن ما ان يمدهم الايمان بالآخرة الا وينشروحون فوراً ، ويتنفسون الصعداء ، لما يزيل عنهم من الضيق

والياس والقلق والاضطراب وحدة الغضب والانتقام سواء كان كلياً أو جزئياً كل حسب درجات ايمانه .

وكذلك فان بيت أي انسان كان ، هو دنياه الصغيرة ، بل جنته الصغيرة ، لئن لم يكن الايمان بالآخرة حاكماً ومهيماً في سعادة هذا البيت ، فان كل فرد من أفراد تلك العائلة يجد اضطراباً أليماً ، وعذاباً شديداً ، في علاقة بعضهم ببعض ، وحسب درجات رافته ومحبته لهم ، تتحول تلك الجنة الى جحيم لا يطاق ، أو ان يخدر عقله باللهو والسفه المؤقت . مثله في هذا كمثل النعامة اذا رأت الصياد تخفي رأسها في الرمل كيلا يراها الصياد ، وهي عاجزة عن الطيران ، فهو كذلك يغمر رأسه في الغفلة ، لئلا يراه الموت والزوال والفراق ملفياً شعوره مؤقتاً ، ببلاهة ، كأنه وجد علاجاً لما يمانيه . فالوالدة مثلاً - التي تضحي بنفسها لاجل ولدها - كلما رأت ابنها يتعرض للخطر ارتعشت هلعاً وخوفاً عليه . والاولاد كذلك عندما لا يستطيعون انقاذ ابائهم أو اخوانهم من المصائب التي لا تنقطع ، يظنون في قلق دائم يحسون خوفاً مستمراً . فقياساً على هذا فان حياة تلك العائلة ، التي يظن انها حياة سعيدة ، تفقد سعادتها في هذه الدنيا ، المضطربة دوماً ؛ والتي لا قرار لها ولا سكون . حيث لا تعطي الرابطة بين الافراد ، ولا علاقة القربى فيما بينهم ، ضمن حياة قصيرة جداً ، حقها من الصداقة الحقيقية ، ولا من الوفاء الخالص ولا من الاخلاص الكامل ، والخدمة والمنحة الصافيين ، بل تتصاغر الاخلاق وتنكمش بنسبة قصر الحياة نفسها وربما تسقط وتنعدم كلياً .

ولكن ما ان يحل الايمان بالآخرة في ذلك البيت حتى ينور ارجاءه مباشرة ويستضيء ، لان علاقات القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لاتقاس ضمن زمن قصير جداً بل تقاس وفق علاقات تمتد الى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الابدية ، فيقوم - عندئذٍ - كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين ، ويوليهم محبة صافية ، ويظهر رافة صادقة ، ويبيدي صداقة

• بوفية ، صارفًا النظر عن التقصيرات • فتتعالى الاخلاق وتسمو ، وتبدأ
السعادة الانسانية الحقبة بالتألق في ذلك البيت •

وهكذا فان كل مدينة هي بحد ذاتها بيت واسع لسكنتها • فان لم
يكن الايمان بالآخرة مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة ، استولى عليهم
الحقد والمنافع الشخصية والاحتيايل والانانية والتكلف والرياء والرشوة
والخداع ، بدلاً من أسس الاخلاق الحميدة التي هي الأدب والمروءة
والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى الله والثواب الاخروي ، وكانت معاني
الارهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والامن
والانسانية التي يظهرونها ، حينئذٍ تتسم حياة تلك المدينة ، فيتصف
الأطفال بالوقاحة والاهمال ، والشباب بالسكر والعريضة ، والاقوياء بالظلم،
والشيوخ بالبكاء والأين •

وقياساً على هذا فان البلاد بأكملها ما هي الا بيت واسع جداً •
والوطن بيت عائلة الامة ، فاذا ما حكم الايمان بالآخرة هذه البيوت وسيطر ،
فان الفضائل تتكشف وتنبسط وتتوضح فيها كاحترام المتبادل والرحمة
الجادة ، والمحبة الخالصة بلا عوض ، والمعاونة مع الخدمة الحقبة بلا احتيايل،
والمعاشرة والاحسان بلا رياء ، والفضيلة والتوقير بلا استكبار ، وتشجيع
الفضائل الاخرى جميعاً ؛ حيث يهتف الايمان بأولئك الاطفال قائلاً لهم :
دعوا الوقاحة والاهمال فقد امكم جنة النعيم فلا تشغلوا انفسكم عنها
بالألاعيب ، فيمكن الاخلاق عندهم بارشاد القرآن الكريم • ويخاطب
الشباب : « ان امامكم نار جهنم فانتهاوا من السكر والعريضة » • ويجعلهم
يثوبون الى رشدهم • ويخاطب الظالم :

« احذر فان عذاباً شديداً سيحل بك » فيردعه عن الظلم ويرضخه الى
العدالة • ويخاطب الشيوخ :

« أبشروا فان امامكم شباباً خالداً ذا نضارة ، وفي انتظاركم سعادة
اخروية دائمة باقية ، هي اسمى مما فقدتموه من أنواع السعادة واعلى

منها ، فهلّموا واسعوا للفوز بها • فيحول بكاءهم الى بهجة وفرح •
وقياساً على هذا ، فان الايمان بالآخرة يبين تأثيره الطيب ويرسل شعاع
نوره الى كل طائفة جزئها وكليها عامها وخاصها قليلها وكثيرها •
فلترن أذان الاجتماعيين والاخلاقيين من المعنيين بشؤون الانسان !!
واذا ما قيس الذي ذكرناه آنفاً من فوائد الايمان بالآخرة على ما بقي
من الفوائد • فسيفهم بوضوح وبشكل قاطع :
ان محور السعادة في الدارين وفي كلتا الحياتين انما هو الايمان وحده •

[من الرسالة الثامنة، من رسالة الثمرة وهي الشعاع الحادى عشر]

أَعْظَمُ قَضِيَّةٍ لِلبَشَرِيَّةِ

ان بيان القرآن الكريم فيما يخصّ جهنم واضح جلي لا يدع مجالاً
لاي ايضاح آخر ، الا أننا سنبين باختصار شديد ما يزيل بضع شبهات
تافهة في نكتتين ، محيلين تفاصيلها الى رسائل النور :-

النكتة الاولى :

ان التفكير في « جهنم » والخوف منها لا يزيل لذائد ثمرات الايمان
ولا يفوتها ، لأن الرحمة الربانية الواسعة تهتف بذلك الخائف : « تعال
اليّ فدونك باب التوبة ادخل منه » . بل ان وجود جهنم ليس هو للتخويف
فحسب ، وانما ليعرفك لذائد الجنة معرفة كاملة ، وليذيقك إياها تنوqاً
كاملاً ، وليأخذ لك وللمخلوقات غير المحدودة الثأر والانتقام ممن انتهك
حقوق الجميع واعتدى عليها - وليفرح الجميع بهذا ويدخل السرور اليهم
جميعاً .

فيا غارقاً في الضلالة - وليس بمستطيع ان يخرج منها - ان وجود
جهنم فيه شيء من الرحمة حتى للكفار أنفسهم ، لأن الانسان - وحتى
جهنم فيه شيء من الرحمة حتى للكفار أنفسهم ، لأن الانسان - وحتى
الحيوانات الولودة - يتلذذ بلذائد اقاربه واولاده واحبابه ويسعد - من
جهة - بسعادتهم . فيا ايها الملحد إما أن ترضى - من هذه الزاوية - وبناءً
على ضلالتك - بالسقوط في هاوية العدم - بالاعدام الابدي - أو ان ترضى
بالدخول في نار جهنم . لانه : لما كان العدم شراً محضاً ، فان الاعدام
النهائي لاحبابك جميعاً ، ولمن تسعد بسعادتهم ، ولاقاربك ولاهلك
ولنسلك ، سيحرق روحك ويعذب قلبك ويؤلم ماهيتك الانسانية اكثر من

عذاب جهنم بألف مرة ؛ لانه لو لم تكن جهنم لما كانت هناك جنة ايضاً .
فيسقط كل شيء اذن بكفرك الى العدم . ولكن اذا دخلت جهنم وبقيت
ضمن دائرة الوجود فان احبابك واقاربك اما انهم سيسعدون في الجنة أو
انهم يكونون ضمن دوائر وجود تحت رحمة الله سبحانه . من جهة - .
فلا مناص لك اذن الا ان تقبل بوجود جهنم ، اذ العدا لوجودها ورفضه .
يعني الانحياز الى العدم المحض ، الذي هو إبادة سعادة جميع الأحبة
والأصدقاء غير المحدودين وافناؤهم ! .

نعم ان جهنم دار تؤدي مهمة السجن - بحكمة وعدالة - للحكيم ذي
الجلال ، ضمن دائرة الوجود الذي هو الخير المحض ، ولها وظائف اخرى
عدة . وخدمات جليلة ، وحكم شتى في عالم البقاء . فهي مسكن ذو جلال
وهيبة لكثير من ذوي الحياة أمثال الزبانية .

النكتة الثانية :

ان وجود جهنم وعذابها الشديد لا ينافي مطلقاً بالرحمة غير المحدودة .
ولا العدالة الحقيقية ، ولا الحكمة الموزونة التي لا إسراف فيها ، بل ان
الرحمة والعدالة والحكمة تتطلب وجود جهنم وتقتضيه ، لأن انزال العقاب
بظالم هتك حرمة الف من الابرياء ، أو قتل حيوان وحشي افترس مئة
من الحيوانات ، انما هو رحمة بآلاف الاضعاف للمظلومين من خلال العدالة .
وان إعفاء ذلك الظالم من العقاب ، أو التجاوز عنه ، وترك ذلك الحيوان
الوحشي طليقاً ، فيه عدم الرحمة لمئات المساكين بمئات الاضعاف .
ومثل هذا ايضاً : الكافر المطلق - الذي هو ممن يدخل سجن جهنم .
فانه بكفره ينكر حقوق الاسماء الآلهية الحسنی ، أي يتعدى على تلك
الحقوق ، ويتكذبه لشهادة الموجودات - الشاهدة على تلك الاسماء -
يتعدى على حقوقها ايضاً ، وبانكاره للوظيفة السامية للمخلوقات - وهي
تسبيحاتها تجاه تلك الاسماء - يتجاوز على حقوقها ، ويتكذبه لانواع
العبادات التي تؤديها المخلوقات تجاه تظاهر الربوبية والالوهية التي هي

غاية الخلق وسبب من اسباب وجودها ، وبتكذيبه قيام تلك المخلوقات بمهمة المرايا لتجليات الاسماء الحسنى ، يتعدى تعدياً صارخاً على حقوق المخلوقات ؛ لنا فان الكفر جناية عظيمة وظلم شنيع يتجاوز بشناعته كل حدود العفو والمغفرة فيحق عليه اذن تهديد الآية الكريمة [إن الله لا يغفر أن يُشرك به ٠٠] بل إن عدم إلقاء مثل هذا الشخص في جهنم انما هو أمر ينافي الرحمة في حق هذه الأعداد الهائلة من المخلوقات والكائنات التي انتهكت حقوقها .

وهكذا مثلما يطلب اصحاب الدعاوي - ممن لم ينصفوا في الدنيا - وجود جهنم ، فان عزة الجلال وعظمة الكمال تطلبانها قطعاً .
نعم ، اذا قال سفيه أو شقي عاصٍ لحاكم عزيز للبلاد :
« إنك لا تستطيع أن تقنطني في السجن ولن تقدر على ذلك ابداً » .
متجاوزاً حده ومتعدياً على عزة ذلك الحاكم وعظمته ، فلا بد أن ذلك الحاكم سينشئ سجنًا لذلك السفيه المتعدي حتى لو لم يكن هناك سجن في البلاد كذلك الأمر في الكافر المطلق ، فانه بكفره يتعدى بشدة على عزة جلاله سبحانه ، وبانكاره يتحدى عظمة قدرته ، ويتجاوزوه يتنكر لكلام ربوبيته ، فان لم يكن هناك حتى تلك الاسباب الموجبة وتلك المبررات الكثيرة والحكم العديدة والوظائف الكثيرة لجهنم ؛ فان خلق جهنم لمثل هؤلاء الكفار والقاهم فيها هو من شأن تلك العزة وذلك الجلال .
وكذلك فان ماهية الكفر نفسها توحى بجهنم :

نعم ! أن ماهية الايمان اذا تجسمت يمكن ان تبني بلذائنها ونعيم جمالها جنة خاصة في وجدان الانسان وقلبه ، هي جنة مصفرة من جنة الخلد التي تنتظره في الآخرة ، وكذلك فان الكفر - ولاسيما الكفر المطلق - والنفاق والردة لها من الآلام والأعذبة والظلمات المرعبة بحيث لو تجسمت وتأصلت في نفس صاحبها كونت له جهنمه الخاصة به التي تشير الى ما سيفضي اليه في آخرته من جهنم هي أشد هولاً وأشد عذاباً مما عاناه في

دينياه . ولما كانت الدنيا هذه مزرعة الآخرة ، فالحقائق الصغيرة التي فيها
تثمر وتسنبل في الآخرة ، فهذه البذرة السامة (الكفر) تشير من هذه
الزاوية الى شجرة الزقوم تلك ، ونقول: « أنا اصل تلك الشجرة وجوهرها »
فمن يحملني في قلبه من المنكوبين فساكون ثمرة خاصة له من تلك الشجرة
الملعونة .

وما دام الكفر تعدياً على حقوق غير محدودة ، وتجاوزاً عليها ، فهو
اذن جنائية غير محدودة ، لذا يجهل صاحبه مستحقاً لعذاب غير محدود .
فلئن كان القتل الذي يحدث في دقيقة واحدة يذيق القاتل خمس عشرة
سنة من العذاب (ما يقارب ثمانية ملايين دقيقة) ويعتبر ذلك موافقاً للعدالة
البشرية ، وعدته موافقاً للمصلحة العامة وحقوقها ، فلا جرم أن دقيقة
واحدة من الكفر المطلق - على اعتبار الكفر يقابل ألف قتل - تقابل اذن
بعذاب يقرب من ثمانية مليارات من الدقائق ، وفق تلك العدالة الانسانية ،
فالذي يقضي سنة كاملة من عمره في الكفر اذاً يستحق عذاب ترليونين
وثمانئة وثمانين ملياراً من الدقائق اي يكون اهلاً لـ « خالدين فيها أبداً » .
هذا وان الاسلوب المعجز للقرآن الكريم في بيانه الجنة ، والنار وما في
رسائل النور التي هي فيض منه وتفسيره الحقيقي من حجج حول وجودهما ،
لم يتركها مجالاً لأي ايضاح آخر . فأيات كثيرة جداً أمثال : [ويتفكرون في
خلق السموات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فنعنا عذاب
النار] . [ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . انها ساءت
مستقراً ومقاماً] . واغلب ما كان يردده الرسول الاكرم عليه الصلاة
والسلام في ادعيته في كل وقت ، والانبياء عليهم السلام واهل الحقيقة من
مثل : (أجرنا من النار) . (نجّنا من النار) . (خلصنا من النار) .
الذي حاز عندهم قطعية تامة بناء على الوحي المشهود . . . كل ذلك يبين
لنا ان اعظم قضية للبشرية على الأرض انما هي النجاة من النار ، وان اعظم
حقيقة وأدهشها من حقائق الكائنات ، بل اكثرها اهمية انما هي « جهنم »

التي يشهدها قسم من اولئك المحققين واهل الشهود والكشف ، ويرى آخرون السنه لهيبتها وظلمة سوادها ، ويسمع بعضهم أزيز تضرمها وفورانها فيصرخون من هولها « أجرتنا من النار » . .

نعم ! ان تقابل الخير والشر في هذا الكون ، واللذة والألم ، والنور والظلام ، والحرارة والبرودة ، والجمال والقبح ، والهداية والضلالة ، وتداخل بعضها ببعض ، انما هي لحكمة كبرى . ذلك ؛ ما لم يكن هناك الشر فلا يفهم الخير ، وما لم يكن هناك الألم فلا تعرف اللذة ، والضياء من دون ظلام ازاء لا يبين جماله . ودرجات الحرارة تتحقق بوجود البرودة . وتصبح حقيقة واحدة من الجمال ألفاً من الحقائق بوجود القبح ، بل يكتسب آلفاً من انواع الجمال ومراتب الحسن . ويختفي الكثير من لذائذ الجنة بعدم وجود جهنم . فقياساً على هذا يمكن ان يعرف كل شيء - من جهة - بضده ، وبوجود الضد يمكن ان تثمر حقيقة واحدة حقائق عدة .

فما دامت هذه الموجودات المختلطة تسيل سيلاً من دار الفناء الى دار البقاء . فلا بد ان الخير واللذة والنور والجمال والايمان وامثالها تسيل الى الجنة ، ويتساقط الشر والألم والظلام والقبح والكفر وأمثالها من الامور المضرة الى جهنم . فتسيل سيول هذه الكائنات المتلاطمة دائماً الى ذينك الحوضين وتهدأ ساكنة عندهما في نهاية المطاف .

من رياضين العبادة

- شـوقا الى الصلاة •
- حكمة اوقات الصلاة •
- اياك نعبد •
- حكمة الاعداد غير المتناهية في الاذكار •
- الدعاء مفتاح خزينة الرحمة •

[الكلمة العادية والعشرون - المقام الاول]

شوقاً الى الصلوة

[ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً] « النساء / ١٠٢ »

قال لي احدهم يوماً وهو يكبرني سناً وجسماً ورتبة :
ان اداء الصلاة حسن وجميل ، ولكن تكرارها كل يوم ، وفي خمسة
اوقات كثير جداً فكثرتها هذه تجعلها مملة ! ..
وبعد مرور فترة طويلة على هذا القول ، استمعت الى نفسي فاذا هي
ايضاً تردد الكلام نفسه !! .. فتأملت فيها ملياً ، واذا بها قد أخلت بطريق
الكسل الدرس نفسه من الشيطان ، فعلمت عندئذٍ ان ذلك الرجل كأنه قد
نطق بتلك الكلمات بلسان جميع النفوس الامارة بالسوء ، أو انطق
هكذا ... فقلت : ما دامت نفسي التي بين جنبي اماراة بالسوء فلا بد أن
ابدأ بها أولاً لان « من عجز عن اصلاح نفسه فهو عن غيره اعجز » ..
فخاطبتها :

يا نفسي ... اسمعها مني « خمسة تنبيهات » مقابل ما تفوهت
به ، وانت منغمسة في الجهل المركب ، سادرة في نوم القفلة ، على فراش
الكسل ..

« التنبيه الاول »

يا نفسي الممتية ..
ترى هل ان عمرك ابدى ؟؟ وهل عندك عهد قطعي بالبقاء الى السنة
القادمة بل الى الغد ؟؟ فالذي جعلك تملّين وتسامين من تكرار الصلاة هو
توهمك الابدية والخلود ، فتظهرين الدلال والتغنج وكأنك مخلدة في هذه
الدنيا للترف .

فان كنت تفهمين :

ان عمركَ قصير ، وانه يمضى هباءً دون فائدة ، فلا ريب أن صرف جزء من اربعة وعشرين منه في اداء خدمة جميلة ووظيفة مريحة لطيفة ، وهي رحمة ووسيلة لحياة سعيدة خالدة ، لا تكون مدعاة للملل والسأم ، بل وسيلة مثيرة لشوق جاد ، وذوق رائع رفيع .

« التنبيه الثاني »

يا نفسي الشرهة ..

انك يومياً تأكلين الخبز ، وتشربين الماء ، وتتنفسين الهواء ، أما يورث هذا التكرار مللاً وضجراً ؟؟ لا شك لا ... لان تكرار الحاجة لا يجلب الملل بل يجدد اللذة ، لهذا : فالصلاة التي تجلب الغذاء لقلبي ، وماء الحياة لروحي ، ونسيم الهواء للطّيفة الربانية الكامنة في جسمي ، لابد انها لا تجعلك تملّين ولا تسأمين ابداً .

نعم ! . ان القلب المتعرض لاحزان وآلام لا حد لها ، اغتتون بآمال ولذائد لا نهاية لها .. لا يمكنه ان يكسب قوةً ولاغذاءً الا بطرق باب الرحيم الكريم ، القادر على كل شيء بكل تضرع وتوسل .

وان الروح المتعلقة مع اغلب الموجودات الآتية والراحلة سريعاً في هذه الدنيا الفانية ، لا تشرب ماء الحياة الا بالتوجه بالصلاة الى ينبوع رحمة المعبود الباقي ، والمحبوب السرمدى .. وهو حسبها .

وان السر الانساني الشاعر الرقيق اللطيف ، وهو اللطيفة الربانية النورانية ، وهو المخلوق للخلود ، والمشتاق له فطرةً ، وهو المرأة العاكسة لتجليات الذات الجلية ... لابد انه محتاج أشد الحاجة الى التنفس ، في زحمة وقساوة وضغوط هذه الاحوال الدنيوية الساحقة الخائقة العابرة المظلمة ، وليس له ذلك الا بالاستنشاق من نافذة الصلاة .

« التنبيه الثالث »

يا نفسي الجزعة ..

انك تضطربين (اليوم) من تذكر عناء العبادات التي قمت بها في

(الأيام الماضية) ومن صعوبات الصلاة ، وزحمة المصائب السابقة ، ومن ثم تتفكرين في واجبات العبادات في (الأيام المقبلة) وخدمات اداء الصلوات ، وآلام المصائب ، فتظهرين الجزع . وقلة الصبر وفروغه ، هل هذا أمرٌ يصدر ممَّن له مسكة من عقل ؟؟ .

ان مثلكِ في عدم الصبر هذا مثل ذلك القائد الاحمق الذي وجَّه قوة عظيمة من جيشه الى الجناح الايمن للعدو ، في الوقت الذي التحق ذلك الجناح من صفوف العدو الى صفه ، فاصبح له ظهيراً . ووجَّه قوته الباقية الى الجناح الايسر للعدو في الوقت الذي لم يكن هناك أحدٌ من الجنود . ثم أعلن بدء المعركة . فأدرك العدو نقطة ضعفه فسدد هجومه الى القلب ، فدمَّره هو وجيشه تدميراً كاملاً .

نعم انك تشبهين هذا القائد الطائش ، لان :

صعوبات الايام الماضية وأتاعبها قد ذهبت آلامها وظلت لذتها ، وانقلبت مشقتها ثواباً ، لذا فلا تولد مللاً بل : شوقاً جديداً ، وذوقاً ندياً ، وسعيّاً جاداً دائماً للمضى والاقدام .

أما الايام المقبلة ، فلانها لم تأتِ بعد ، فان صرف التفكير فيها من الآن نوع من الحماقة والبله ؛ اذ يشبه ذلك : البكاء والصراخ من الآن ، لما قد يحتمل ان يكون من العطش والجوع في المستقبل .

فما دام الامر هكذا ، فان كان لك شيء من العقل ، ففكري من حيث العبادة بهذا اليوم ، وبهذا اليوم بالذات . وقولي ساسرف ساعة منه في واجب مهم لذيد جميل ، وفي خدمة سامية رفيعة ذات اجر عظيم وكلفة خسيلة وعندها تشعرين : أن فتورك المؤلم قد تحول الى همة حلوة ، ونشاط لذيد .

فيا نفسي الفارغة من الصبر . .

انك مكلفة بثلاثة انواع من الصبر

الأول : الصبر على الطاعة •

الثاني : الصبر عن المعصية •

الثالث : الصبر عند البلاء •

فان كنت فطنة خذي الحقيقة الجليلة في مثال القائد في هذا التنبيه
عبرةً ودليلاً ، وقولي بكل همة ورجولة : يا صبور ثم خذي علي عاتقك
الانواع الثلاثة من الصبر •

واستندي الى قوة الصبر المودعة فيك وتجملي بها ، فانها تكفي
للمشقات كلها ، وللمصائب جميعها ما لم تبعثرها خطأ الى امور جانبية ••

« التنبيه الرابع »

يا نفسي الطائشة •••

يا ترى هل أن اداء هذه العبودية دون نتيجة وجدوى ؟!

وهل ان أجرتها قليلة ضئيلة حتى تجعلك تسأمن منها ؟ • مع ان
احدنا يعمل الى المساء ويكدّ دون فتور ان اعطاه احد شيئاً من المال او
شيئاً من الخوف •

ان الصلاة التي : هي قوت لقلبك العاجز الفقير وسكينة له في هذا
المضيق الموقت وهو الدنيا •••

وهي غذاء وضياء لمنزلك الذي لا بد انك صائرة اليه وهو القبر •••
وهي سند وبراءة في محكمتك التي لاشك انك تحشرين اليها •
وهي التي ستكون نوراً وبراقاً على الصراط المستقيم الذي لا بد انك
سائرة عليه •••

فصلاة هذه نتائجها ••• هل تكون بدون نتيجة وجدوى ؟ أو انها
قليلة الاجرة ؟ •

واذا وعدك أحدٌ بهدية مقدارها مائة ليرة ، فسوف يستخدمك مائة
يوم وانت تسعين وتعملين معتمدة على وعده دون ملل وفتور ، رغم انه قد
يخلف الوعد •

فكيف بمن وعدك ، وهو لا يخلف الوعد مطلقاً ؟؟ فخلف الوعد عنده
محال ! وعدك اجرة وثمناً هي الجنة ، وهدية عظيمة هي السعادة الخالدة ،
لتؤدي له واجباً ووظيفة لطيفة مريحة وفي فترة قصيرة جداً •
الا تفكرين ان لم تقومي بتلك الوظيفة والخدمة الضئيلة ، او قمت
بها بدون رغبة أو بشكل متقطع ، فانك اذاً تستخفين بهديته ، وتهمينه
بوعده ! ، الا تستحقين تأديباً شديداً وتعذيباً اليماً ؟؟ •
الا يثير همتك ، لتؤدي تلك للوظيفة التي هي في غاية اليسر واللطف ،
خوف السجن الابدی وهو جهنم ، علماً انك تقومين باعمال مرهقة وصعبة
وبدون فتور خوفاً من سجن الدنيا ، واين هذا من سجن جهنم الابدی !؟

« التنبيه الخامس »

يا نفسي المفرمة بالدنيا ٠٠٠

هل ان فتورك في العبادة وتقصيرك في الصلاة ناشئان من كثرة
مشاغلك الدنيوية ؟ أم انك لا تجددين الفرصة لغلبة هموم العيش ؟؟
فيا عجباً هل انت مخلوقة للدنيا فحسب حتى تبذلي كل وقتك لها؟؟ •
تأملي !! انك لا تبغين اصغر عصفور من حيث القدرة على تدارك
لوازم الحياة الدنيوية رغم انك ارقى من جميع الحيوانات فطرةً •
لیم لا تفهمين من هذا ان وظيفتك الاصلية ليست هي الانهماك
بالحياة الدنيا والاهتمام بها كالحيوانات، وانما السعي والدأب لحياة حقيقية
خالدة كالانسان الحقيقي •

مع هذا فان اغلب ما تذكرينه من المشاغل الدنيوية ، هي مشاغل
ما لا يعنیک من الامور ، وهي التي تتدخلين فيها بفضول ، فتهدرين وقتك
الثمين جداً بما لا قيمة له ولا ضرورة ولا فائدة منه ٠٠٠ كأن تعلمي عدد
الدجاج في امريكا أو نوع الحلقات حول زحل ٠٠ وكأنك تكسبين شيئاً من
الفلك والاحصاء !! ، فتدعين الضروري والأهم الا لزم من الامور كأنك
ستمعرين آلاف السنين ؟ •

فان قلت : ان الذي يصرفني ويفترني عن الصلاة والعبادة ليس مثل هذه الامور التافهة ، وانما هي امور ضرورية لمطالب العيش .

اذن فاسمعي مني هذا المثل :

ان كانت الاجرة اليومية لشخص مائة فلس وقال له احد : تعال واحفر لعشر دقائق هذا المكان فانك ستجد حجراً كريماً كالزمرد قيمته (١٠٠) دينار ، كم يكون عنراً تافهاً - بل جنوناً - ان رفض ذلك بقوله : لا ٠٠ لا اعمل ٠٠ لأن اجرتي اليومية ستنقص ! ٠٠

وكذلك حالك ، فان تركت الصلاة المفروضة ، فان جميع ثمار سعيك وعملك في هذا البستان ستنحصر في نفقة دنيوية تافهة دون ان تجني فائدتها وبركتها .

ولكن ان صرفت وقت راحتك بين فترات العمل في اداء الصلاة ، التي هي وسيلة لراحة الروح ، ولتنفس القلب ، يضاف عندئذ الى نفقتك الآخروية وزاد آخرتك - مع نفقتك الدنيوية المباركة - ما تجدينه من منبع عظيم للكنزين معنويين دائمين وهما :

الكنز الاول :

ستأخذ (١) حظك ونصيبك من « تسبيحات » كل ما هيأته - بنية خالصة - من ازهار وثمار ونباتات في بستانك .

الكنز الثاني :

ان كل من يأكل من محاصيل بستانك - سواء أكان حيواناً أم انساناً أو شارباً أو سارقاً - يكون بحكم « صدقة جارية » لك ، فيما اذا نظرت الى نفسك كأنك وكيل وموظف لتوزيع ماله سبحانه وتعالى على مخلوقاته .

(١) المخاطب هنا هو السائل الذي كان يعمل في بستان في (بارلا) وهي قرية نائية على جبال طوروس . ظل فيها الاستاذ النورسي ثمانى سنوات ونصف السنة تحت الإقامة الجبرية .

أي تنصرف باسم الرزاق الحقيقي وضمن مرضاته .

والآن تأمل في الذي ترك الصلاة ، كم هو خاسر خسراناً عظيماً ؟ .
وكم هو فاقد من تلك الثروة الهائلة ؟ . وكيف انه سيبقى محروماً ومفلساً
من ذينك الكنزين الدائمين اللذين يمدان الانسان بالقوة المعنوية العظيمة
للعمل ويشوقانه للسعي والنشاط ؟ . حتى اذا بلغ اذل عمره ، فانه
لاشك سوف يملّ ويضجر مخاطباً نفسه : وماذا عليّ ؟ ! لِمَ أتعب نفسي ؟
لأجل مَنْ أعمل ؟ . فأنني راحل من هذه الدنيا غداً ! . فيلقي نفسه في
أحضان الكسل . .

بينما الرجل الأول يقول :

سأسعى سعياً حثيثاً في العمل الحلال بجانب عبادتي المتزايدة كيما
أرسل الى قبري ضيافاً أكثر وادّخر لآخرتي ذخيرة أزيد .

والخلاصة :

اعلمي ايها النفس . . . ان الامس قد فاتك . أما الغد فلم يأت
بعد ، وليس لديك عهد أنك ستملكينه ، لهذا فاحسبي عمرك الحقيقي
هو هذا اليوم .

وأقل التلّيل ان تلقي ساعة منه في صندوق الادّخار الآخروي ، وهو
المسجد أو السجادة ، لتضمني المستقبل الحقيقي الخالد .

واعلمي كذلك أن كل يوم جديد هو باب يفتح لعالم جديد - لك
ولغيرك - ، فان لم تؤد فيه الصلاة فان عالم ذلك اليوم يرحل الى عالم
الغيب مظلماً شاكياً محزوناً ، وسيشهد عليك . .

وان لكل منا عالمه الخاص من ذلك العالم ، وان نوعيته تتبع عملنا
وقلبنا ، مثله في ذلك مثل المرأة ، تظهر فيها الصورة تبعاً للونها ونوعيتها،
فان كانت مسودة فستظهر الصورة مسودة . . وان كانت صقيلة فستظهر
الصورة واضحة ، وإلا فستظهر مشوهة ، وتضخم أنفه شيء واصغره . .

كذلك أنت ، فبقلبك وبمعقلك وبعملك يمكنك ان تغيري صور عالمك ،
وباختيارك وطوع ارادتك يمكنك ان تجعلك ذلك العالم يشهد لك أو عليك •
وهكذا ان اديت الصلاة وتوجهت بصلاتك الى خالق ذلك العالم ذي
الجلال ، فسيتنور ذلك العالم المتوجه اليك حالا ، وكأنك قد فتحت بنية
الصلاة مفتاح النور فاضاءه مصباح صلاتك ، وبدء الظلمات فيه •••
وعندها تتحول وتبديل جميع الاضطرابات والأحزان التي حولك في الدنيا
فتراها نظاماً حكيماً ، وكتابة ذات معنى بقلم القدرة الربانية ، فينسب
نور من انوار [الله نور السموات والارض] الى قلبك ، فيتنور عالم يومك
ذاك ، وسيشهد بنورانيته لك عند الله •••

وحذار ان تقول : أين صلاتي من حقيقة تلك الصلاة ؟ • اذ كما تحمل
نواة التمر في طياتها صفات النخلة الباسقة - الفرق فقط في التفاصيل
والاجمال - كذلك صلاة العوام - ممن هم امثالي وامثالك - فيها حظ من
ذلك النور وسر من اسرار تلك الحقيقة ، كما هي في صلاة ولي من أولياء
الله الصالحين ولو لم يتعلق بذلك شعوره • أما تنورها فهي بدرجات
متفاوتة ، كثافات المراتب الكثيرة التي بين نواة التمر الى النخلة • ورغم أن
الصلاة فيها مراتب أكثر إلا أن جميع تلك المراتب فيها اساس من تلك
الحقيقة النورانية •

اللهم صل وسلم على من قال [الصلاة عماد الدين] وعلى آله
وصحبه أجمعين •

حكمة أوقات الصلاة

[بسم الله الرحمن الرحيم : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون •
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون] • (سورة الروم/١٨)
ايها الأخ : تسألني عن حكمة تخصيص الصلاة في هذه الاوقات
الخمسة المعينة ، فنحن سنشير الى حكمة واحدة فقط من بين حِكَمها الكثيرة
العديدة •

نعم ، ان وقت كل صلاة ، كما انه بداية انقلاب زمنى عظيم ومهم ،
فهو كذلك مرآة لتصرف الهى عظيم ، تعكس الآلاء الالهية الكلية – كالمرآة –
في ذات الوقت ، لهذا فقد امر – في تلك الاوقات – بالصلاة ، اي : الزيادة
من التسبيح والتعظيم للتقدير ذى الجلال ، والاكثار من الحمد والشكر لنعمه
التي لا تحصى والتي تجمعت بين الوقتين • ولأجل فهم بعض من هذا المعنى
العميق الدقيق ، ينبغي الاصغاء – مع نفسى – الى خمس نكات •

النكته الاولى :

ان معنى الصلاة هو : التسبيح والتعظيم والشكر لله تعالى • اي
تقديسه جل وعلا تجاه جلاله قولاً وفعلاً بقول : « سبحان الله » • وتعظيمه
تجاه كماله لفظاً وعملاً بقول : « الله اكبر » • وشكره تجاه جماله قلباً
ولساناً وجسماً بقول : « الحمد لله » • اي أن التسبيح والتكبير والحمد
انما هو بمثابة نوى الصلاة وبدورها ، لذا وجدت هذه الثلاثة في جميع
حركات الصلاة واذكارها • ولهذا – ايضاً – تكرر هذه الكلمات الطيبة
الثلاث ثلاثاً وثلاثين مرة عقب الصلاة ، وذلك للتأكيد على معنى الصلاة
وترسيخه ؛ اذ بهذه الكلمات الموجزة المجملة يؤكد معنى الصلاة ومغزاها •

النكتة الثانية :

ان معنى العبادة هو : سجود العبد بمحبة خالصة ، وبتقدير واعجاب في الحضرة الالهية وامام كمال الربوبية والقدرة الصمدانية والرحمة الالهية مشاهداً - في نفسه - تقصيره وعجزه وفقره .

نعم ، كما ان سلطنة الربوبية تتطلب العبودية والطاعة ، فان قدسيته ونزاهتها هي الاخرى تتطلب ان يعلن العبد - مع استغفاره برؤية تقصيره - بان ربه منزّه من اي نقص ، وانه متعال على جميع الافكار الباطلة لأهل الضلالة ، وانه مقدّس من جميع تقصيرات الكائنات ونفائصها . اي يعلن ذلك كله بتسبيحه بقوله « سبحان الله » .

ثم ان كمال القدرة للربوبية تطلب من العبد كذلك ان يلتجئ اليه ، ويتوكل عليه - لرؤيته ضعف نفسه الشديد وعجز المخلوقات - قائلاً : « الله اكبر » باعجاب وتقدير واستحسان تجاه عظمة آثار القدرة الصمدانية ، ماضياً الى الركوع بكل خضوع وخشوع .

ثم ان خزينة الرحمة غير النهائية للربوبية تطلب ايضاً ان يُظهر العبد حاجاته الخاصة وحاجات جميع المخلوقات وفقرها بلسان السؤال والدعاء ، وان يعلن احسان ربه وآلام العمية بالشكر والثناء والحمد بقوله : « الحمد لله » . أي أن افعال واقوال الصلاة تتضمن هذه المعاني ؛ ولأجل هذه المعاني فرضت الصلاة من لدن سبحانه وتعالى .

النكتة الثالثة :

كما أن الانسان هو مثال مصغر لهذا العالم الكبير ، وان سورة الفاتحة مثال منور للقرآن العظيم ، فالصلاة كذلك فهرس نوراني شامل لجميع العبادات ، وخريطة سامية تشير الى أنماط العبادات للمخلوقات جميعاً .

النكتة الرابعة :

ان عقارب الساعة التي تعد الثواني والدقائق والساعات والايام ،

كل منها يناظر الآخر ، ويمثل الآخر ، ويأخذ كل منها حكم الآخر .
كذلك في عالم الدنيا الذي هو ساعة إلهية كبرى ، فان دوران الليل والنهار الذي هو بحكم الثواني للساعة ، والسنوات التي تعدّ الدقائق ، وطبقات عمر الانسان التي تعدّ الساعات ، وأدوار عمر العالم التي تعدّ الأيام ، كل منها يناظر الآخر ، ويتشابه معه ، ويمثله ، ويذكر كل منها الآخر ، ويأخذ حكمه . فمثلاً :

وقت الفجر الى طلوع الشمس : فانه يشبه ويذكر ببداية الربيع وأوله ، وبأوان سقوط الانسان في رحم الأم ، وباليوم الأول من الايام الستة في خلق السموات والارض ، فينبه الانسان الى ما في تلك الاوقات من الشؤون الالهية العظيمة .

اما وقت الظهر : فهو يشبه وبشير الى منتصف الصيف ، والى عنفوان الشباب ، والى فترة خلق الانسان في عمر الدنيا ، ويذكر ما في ذلك من تجليات الرحمة ، وفيوضات النعمة .

اما وقت العصر : فهو يشبه موسم الخريف ، وزمن الشيخوخة ، وعصر السعادة الذي هو عصر خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام ، ويذكر ما في ذلك من الشؤون الالهية والآلاء الرحمانية .

اما وقت المغرب : فانه يذكر بغروب أغلب المخلوقات وأفولها نهاية الخريف ، ويذكر ايضاً بوفاة الانسان ، وبدمار الدنيا عند قيام الساعة ، ومع ذلك فهو يعلمّ التجليات الجلالية ، ويوقظ الانسان من نوم الغفلة وينبهه .

اما وقت العشاء : فيذكر بغشيان عالم الظلام وستره لآثار عالم النهار بكفنه الاسود ، ويذكر ايضاً بتغطية الكفن الابيض للشتاء وجه الارض الميتة ، وبوفاة حتى آثار الانسان المتوفى ودخولها تحت ستار النسيان ، وبانسداد ابواب دار الامتحان الدنيوية نهائياً ، يعلن التصرفات الجلالية للقهار ذي الجلال .

اما وقت الليل : فانه يذكر بالشتاء ، وبالقبر ، وبالم البرزخ ،
 فضلاً عن انه يذكر روح الانسان بمدى حاجتها الى رحمة الرحمن .
 اما التهجّد في الليل : فانه يعلم مدى ضرورته ضياءً لليل القبر ،
 ولظلمات عالم البرزخ ، وينبّه ويذكر بالنعم غير النهائية للمنعم الحقيقي عبر
 هذه الانقلابات ، ويعلن ايضاً مدى أهلية المنعم الحقيقي للحمد والثناء .
 اما الصباح الثاني : فانه يذكر بصباح الحشر . نعم ، كما ان مجيء
 الصبح لهذا الليل ، ومجيء الربيع لهذا الشتاء معقول وضروري وحتى ،
 فان مجيء صباح الحشر وربيع البرزخ هما بالقطعية والثبوت نفسها .
 فكل وقت - اذن - من هذه الاوقات الخمسة هو بداية لانقلاب عظيم ،
 وهو يذكر بانقلابات عظيمة ، ويذكر بمعجزات القدرة كذلك وبهدايا
 الرحمة ، سواء منها السنوية أو العصرية أو الدهرية ، وذلك بما تشير اليه
 التصرفات اليومية العظيمة للقدرة الصمدانية .

اي أن الصلاة المفروضة - التي هي وظيفة الفطرة وأساس العبودية
 والدين المفروض - لائقة جداً ومناسبة جداً في ان تكون في هذه الاوقات
 حقاً .

النكته الخامسة :

ان الانسان - بفطرته - ضعيف جداً ، ومع ذلك فما اكثر المنقصات
 التي تورثه الحزن والالم ، وهو في الوقت نفسه عاجز جداً ، مع ان اعداءه
 ومصائبه كثيرة جداً ، وهو فقير جداً مع ان حاجاته كثيرة وشديدة ،
 وهو كسول وبلا اقتدار مع ان تكاليف الحياة ثقيلة عليه ، فانسانيته جعلته
 يرتبط بالكون جميعاً مع ان فراق ما يحبه وزوال ما يستأنس به يؤلمانه ،
 وان عقله يريه مقاصد سامية ، وثماراً باقية مع ان يده قصيرة ، وعمره
 قصير ، وقدرته محدودة ، وصبره محدود .

لذا فان روح الانسان في هذه الحالة (في وقت الفجر) ، ما اشد
 ما تكون الضرورة لها أن تطرق - بالدعاء والصلاة - باب التقدير ذي الجلال.

وباب الرحيم ذي الجمال ، عارضةً حالها امامه ، طالبة التوفيق والعون منه
- سبحانه - وما اشد افتقار تلك الروح الى نقطة استناد كي تتحمل ما
سيأتي امامها من اعمال ، وما ستحمل على كاهلها من وظائف في عالم
النهار الذي يعقبه ٠٠٠ ألا يفهم ذلك بداهة ؟

(وعند وقت الظهر) : ذلك الوقت الذي هو ذروة كمال النهار وميلانه
الى الزوال ، وهو اوان تكامل الاعمال اليومية ، وفترة استراحة موقته من
عناء المشاغل ، وهو وقت حاجة الروح الى التنفس والاسترواح مما تعطيه
هذه الدنيا الفانية والاشغال المرهقة الموقته من غفلة وحيرة واضطراب فضلاً
عن انه اوان تظاهر الآلاء الالهية .

فخلاص روح الانسان من تلك المضايقات ، وانسلالها من تلك الغفلة
والحيرة وخروجها من تلك الامور التافهة الزائلة ، لا يكون الا بالالتجاء الى
باب القيوم الباقي وهو المنعم الحقيقي ، بالتضرع والتوسل امامه مكتوف
اليدين شاكراً حامداً لمحصلة نعمه للتجمعة ، مستعيناً به وحده ، مع اظهار
العجز امام جلاله وعظمته بالركوع ، وعلان الذل والخضوع - باعجاب
وتعظيم وهيام - بالسجود امام كماله الذي لا يزول ، وامام جماله الذي
لا يحول ، وهذا هو اداء صلاة الظهر ، فما اجملها ، وما اذها ، وما اجدرها ،
وما اعظم ضرورتها ٠٠ ومن ثم فلا يحسبن الانسان نفسه انساناً إن كان
لا يفهم هذا .

(وعند وقت العصر) : الذي يذكر بالموسم الحزين للخريف ،
وبالحالة المحزنة للشيخوخة ، وبالايام الالية لآخر الزمان ، وبوقت ظهور
نتائج الاعمال اليومية . فهو فترة حصول المجموع الكلي الهائل للنعم
الالهية ، امثال التمتع بالصحة والتنعم بالعافية ، والقيام بخدمات طيبة ؛
وهو كذلك وقت الاعلان بان الانسان ضيف مأمور ، وبان كل شيء يزول
وهو بلا ثبات ولا قرار ، وذلك بما يشير اليه انحناء الشمس الضخمة الى
الافول . -

نعم ان روح الانسان التي تنشد الابدية والخلود ، وهي التي خلقت للبقاء والابد ، وتعشق الاحسان وتتألم من الفراق ، ان هذا الانسان يقوم في وقت العصر يتوضأ - لاداء صلاة العصر ليناجي متضرعاً امام باب الحضرة الصمدانية للقديم الباقي وللقيوم السرمدي ، وليلتجئ الى فضل رحمته الواسعة ، وليقدم الشكر والحمد على نعمه التي لا تحصى ، فيركع بكل ذل وخضوع امام عزة ربوبيته سبحانه ويهوي الى السجود بكل تواضع وفناء امام سرمدية الوهيته ، ويجد السلوان الحقيقي والراحة التامة لروحه بوقوفه - بعبودية تامة وباستعداد كامل - امام عظمة كبريائه جل وعلا . فما اسمها من وظيفة تأدية صلاة العصر بهذا المعنى ! وما اليقها من خدمة ! بل ما احقه من وقت لقضاء دين الفطرة ، وما اعظمه من فوز للسعادة في منتهى اللذة . فمن كان انساناً حقاً فسيفهم هذا .

(وعند وقت المغرب) الذي يذكر بوقت غروب المخلوقات اللطيفة الجميلة لعالم الصيف والخريف في خزينة الودائع منذ ابتداء الشتاء ، ويذكر بوقت دخول الانسان القبر عند وفاته وفراقه الاليم لجميع محبوباته ، وبوفاة الدنيا كلها بزلزلة سكراتها وانتقال ساكنيها جميعاً الى عوالم اخرى ، ويذكر كذلك باطفاء مصباح دار الامتحان هذه ، فهو وقت ايقاظ وانذار لاولئك الذين يعشقون - لحد العباداة - المحبوبات التي تغرب وراء افق الزوال . لذا فان الانسان الذي يملك روحاً صافية كالمرآة المجلوة تشعق - فطرة - الى تجليات الجمال الباقي . ولأجل اداء صلاة المغرب في مثل هذا الوقت يولّى وجهه الى عرش عظمة مَنْ هو قديم لم يزل ، وَمَنْ هو باقٍ لا يزال ، وَمَنْ هو يقوم باعمال عظيمة ويدير هذه العوالم الجسيمة ويبدلها ، فيدوى بصوته قائلاً : « الله اكبر » فوق رؤوس هذه المخلوقات الفانية ، مطلقاً يده منها ، منتصباً مكتوفاً في خدمة مولاه الحق ، قائماً عند مَنْ هو دائم باقٍ جل وعلا ليقول : « الحمد لله » امام كماله الذي لا نقص فيه ، وامام جماله الذي لا مثيل له ، مثنيّاً امام رحمته الواسعة ليقول

« اياك نعبد واياك نستعين » . ليعرض عبوديته واستعانتة تجاه ربوبيته التي لا معين لها وتجاه الوهيته التي لا شريك لها ، وتجاه سلطنته التي لا وزير لها . فيركع اظهاراً لعجزه وضعفه وفقره مع الكائنات جميعاً امام كبريائه التي لا منتهى لها ، وامام قدرته التي لا حد لها وامام عزته التي لا عجز فيها مسبحاً ربه العظيم قائلاً « سبحان ربي العظيم » ثم يهوي الى السجود امام جمال ذاته الذي لا زوال له ، وامام صفاته المقدسة التي لا تنغير ، وامام كمال سرمديته الذي لا يتبدل ، معلناً بذلك حبه وعبوديته في اعجاب وإفناء وذل ، تاركاً ما سواه سبحانه قائلاً « سبحان ربي الاعلى » واجداً جميلاً باقياً ورحيماً سرمدياً بدلاً عن كل فان . فيقدس ربه الاعلى المنزه عن الزوال والمبرأ عن التقصير ويجلس للتشهد ، فيقدم التحيات والصلوات الطيبات لجميع المخلوقات هدية باسمه الى ذلك الجميل الذي لم يزل والى ذلك الجليل الذي لا يزال ، مجدداً بيعته مع رسوله الاكرم بالسلام عليه مظهراً بها طاعته لأوامره ، فيرى الانتظام الحكيم لقصر الكائنات هذا ، ويشهده على وحدانية الصانع ذي الجلال ، فيجدد ايمانه وينوره ، ثم يشهد على دلال الربوبية ومبلغ مرضياتها وترجمان آيات كتاب الكون الكبير ألا وهو محمد العربي صلى الله عليه وسلم . فما لطف وما أنزه أداء صلاة المغرب - بهذا المضمون - من وظيفة ، وما اعزها واحلاها من وظيفة ، وما اجملها والذها من عبودية ، وما اعظمها من حقيقة اصيلة . وهكذا نرى كيف انها صحبة كريمة وجلسة مباركة وسعادة خالدة في مثل هذه الضيافة الفانية . . أفيحسب من لم يفهم هنا نفسه انساناً .

(وعند وقت العشاء) ذلك الوقت الذي تغيب - في الافق - حتى تلك البقية الباقية من آثار النهار ، ويخيم الليل فيه على العالم ، فيذكر بالتصرفات الربانية لـ (مقلب الليل والنهار) وهو القدير ذو الجلال في تقليبه تلك الصحيفة البيضاء الى هذه الصحيفة السوداء ، ويذكر كذلك بالاجراءات الالهية لـ (مسخر الشمس والقمر) وهو الحكيم ذو الكمال في

تقليبه الصحيفة الخضراء المزينة للصيف الى الصحيفة البيضاء الباردة للشتاء ، ويذكر كذلك بالشؤون الالهية لـ (خالق الموت والحياة) وبانقطاع الآثار الباقية - بمرور الزمن - لأهل القبور من هذه الدنيا وانتقالها كلياً الى عالم آخر . فهو وقت يذكر بالتصرفات الجلالية ، وبالتجليات الجمالية لخالق الارض والسموات ، وبانكشاف عالم الآخرة الواسع الفسيح الخالد العظيم ، وبموت الدنيا الضيقة الفانية الحقيرة ، ودمارها دماراً تاماً بسكراتها الهائلة . وهو فترة - أو حالة - تثبت ان المالك الحقيقي لهذا الكون بل المعبود الحقيقي والمحجوب الحقيقي فيه لا يمكن ان يكون الا من يستطيع ان يقلّب الليل والنهار والشتاء والصيف والدنيا والآخرة بسهولة كسهولة تقليب صفحات الكتاب ، فيكتب ويثبت ويمحو ويبدّل ، وليس هذا الا التقدير المطلق النافذ حكمه على الجميع جلّ جلاله .

وهكذا فروح البشر التي هي في منتهى العجز وفي غاية الفقر والحاجة، والتي هي في حيرة من ظلمات المستقبل وفي وجل مما تخفيه ايامه ولياليه . . هذا الانسان عند ادائه لصلاة للعشاء - بهذا المضمون - لن يتردد في أن يردد على غرار سيدنا ابراهيم عليه السلام [لا احب الآفلين] . فيلتجئ - بالصلاة - بباب مَنْ هو المعبود الذى لم يزل ومَنْ هو المحجوب الذى لا يزال ، مناجياً ذلك الباقي السرمدي في هذه الدنيا الفانية ، وفي هذا العالم الفاني ، وفي هذه الدنيا المظلمة والمستقبل المظلم ، لينشر على ارجاء دنياء النور من خلال صحبة خاطفة ومناجاة موقته ، ولينور مستقبله ويضمّد جراح الزوال والفراق عما يحبه من أشياء وموجودات ومن اشخاص واصدقاء وأحباب ، بمشاهدة توجه رحمة الرحمن الرحيم ، وطلب نور هدايته . فينسى - بدوره - تلك الدنيا التي أنسته ، والتي اختفت وراء العشاء ، فيسكب عبرات قلبه ، ولوعة صدره ، على عتبة باب تلك الرحمة ، ليقوم بوظيفة العبودية النهائية قبل الدخول فيما هو مجهول العاقبة ، ولا يعرف ما يفعل به بعده ، من النوم الشبيه بالموت ، وليختم دفتر اعماله اليومية بحسن الخاتمة . ولأجل ذلك كله يقوم باداء الصلاة ، فيتشرف بالمتول امام

من هو المعبود والمحبوب الباقي بدلاً من المحبوبات الفانية ، وينتصب قائماً أمام مَنْ هو القدير الكريم بدلاً من جميع العجزة المتسولين ، وليسمو بالمشول في حضرة من هو الحفيظ الرحيم لينجو من شر من يرتد منهم من المخلوقات الضارة . فيستهل الصلاة بالفاتحة ، اي بالمدح والثناء لرب العالمين الكريم الرحيم الذي هو الكامل المطلق والغنى المطلق بدلاً من مدح مخلوقات لا طائل وراءها وغير جديرة بالمدح وهي ناقصة وفقيرة وبدلاً من البقاء تحت ذل المنة والأذى فيرقى الى مقام الضيف الكريم في هذا الكون ، والى مقام الموظف المرموق فيه رغم انه ضئيل وصغير ولا شيء بل معدوم ، وذلك بسموه الى مرتبة خطاب « اياك نعبد ، اي انتسابه لملك يوم الدين ولسلطان الازل والابد . فيقدم بقوله « اياك نعبد واياك نستعين » عبادات واستعانات الجماعة الكبرى والمجتمع الاعظم لجميع المخلوقات طالباً الهداية الى الصراط المستقيم الذي هو طريقه المنور الموصل الى السعادة الابدية عبر ظلمات المستقبل بقوله : « أهدنا الصراط المستقيم ، ويتفكر في كبريائه سبحانه وتعالى ويتأمل في أن هذه الشمس المستترة التي هي كالنباتات والحيوانات النائمة الآن هذه النجوم المنتبهة ليست الا جنود مطيعة مسخرة لأمره جل وعلا ، وان كل واحد منها ما هي الا مصباح في دار ضيافته هذه ، وكل واحد منها ليس الا خادماً عاملاً ، فليكبّر قائلاً » الله اكبر « ليلغ الركوع .

ثم يتأمل بالسجدة الكبرى لجميع المخلوقات ، حيث أن انواع الموجودات في كل سنة ، وفي كل عصر ، كالمخلوقات النائمة في هذا الليل ، بل حتى الارض نفسها وحتى العالم كله ، انما هي كالجيش المنظم ، بل كالجندي المطيع ، عندما تسرح من وظيفته الدنيوية بأمر كن فيكون ، اي عندما ترسل الى عالم الغيب ، تسجد في منتهى النظام مع الزوال على سجادة الغروب مكبرة « الله اكبر » وهذه المخلوقات تبعث وتحشر كذلك في الربيع ، بنفسها او بمثلها ، بصيحة احياء وإيقاظ صادر من أمر « كن فيكون »

فيتأهب الجميع في خضوع وخشوع لأمر مولاهم الحق .

نعم فهذا الانسان المضعيف - اقتداء بتلك المخلوقات - يهوي الى السجود امام ديوان الرحمن ذي الكمال والرحيم ذي الجمال قائلاً : « الله اكبر » في حجب غامر الأعجاب وفي فنائية مفعمة بالبقاء وفي ذلّ مكلل بالعز .
فلاشك يا أخي قد فهمت ان اداء صلاة العشاء سمو وصعود فيما يشبه المعراج ، فما اجملها من وظيفة وما احلاه من واجب وما اسمها من خدمة وما اعزها والذمها من عبودية وما اليقها من حقيقة اصيلة !
أي أن كل وقت من هذه الاوقات إشارات لانقلاب زمني عظيم ، وإمارات لاجراءات ربانية جسيمة ، وعلامات لانعامات الهية كلية ، لذا فان تخصيص صلاة الفرض - التي هي دين الفطرة - في تلك الاوقات هو منتهى الحكمة .

(سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) ، اللهم صل وسلم على من ارسلته معلماً لعبادك، ليعلمهم كيفية معرفتك، والعبودية لك ، ومعرفاً لكنوز اسمائك ، وترجماناً لآيات كتاب كائناتك ، ومראה - بعبوديته - لجمال ربوبيتك ، وعلى آله وصحبه اجمعين وارحمنا وارحم المؤمنين والمؤمنات . آمين برحمتك يا ارحم الراحمين .

[من كتاب ختم التصديق الغيبي وسكته]

إِنَّا لَنَعْبُدُ

سأذكر لكم ما جرى علي من حالة نورانية خاصة ومن خيال ذي حقيقة ، توضيحاً لمعنى كلمة « ٠٠٠ نعبد » وتبياناً لجانب خفي من سرها . تأملت ذات يوم في « ن » المتكلم مع الغير في : [إِنَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] ، وتحرتى قلبي وبحث عن سبب انتقال صيغة المتكلم الواحد الى صيغة الجمع (نعبد) ٠٠٠ فبرزت فجأة فضيلة صلاة الجماعة وحكمتها من ذلك « النون » ، اذ رأيت :

أن مشاركتي للجماعة في الصلاة التي أدّيتها في جامع « بايزيد » هي شافعة لي .
ورأيت :

أن كل فرد من أفراد تلك الجماعة ٠٠ شاهد ومؤيد لما أظهرته من أحكام وقضايا في قراءتي . فولد ذلك عندي الشجاعة الكافية لكي أقدم عبادتي الناقصة ، وأرفعها مضمومة مع العبادة الهائلة لتلك الجماعة الى الحضرة الالهية المقدسة .

وبينما كنت أتأمل في هذا ؛ اذا بستار آخر يرفع ، ورأيت أن جميع « مساجد استانبول » قد اتصلت وترابط بعضها ببعض ؛ فأصبحت تلك المدينة - في مرآة خيالي - كهذا الجامع ، واستشعرت بشرف أدعيتهم جميعاً بل تصديقهم كذلك .

وهناك رأيت نفسي محشوراً في تلك الصفوف الدائرية على مسجد سطح الارض المتحلقة حلقات حول الكعبة المشرفة فحمدت الله كثيراً وقلت : « الحمد لله رب العالمين » ٠٠ هل لي كل هذه الكثرة الكاثرة من الشفعاء ، ومن الذين يرددون معي ، ويصدقونني في كل ما أقوله في الصلاة ؟ ! » .

وقلت : ما دام الستار قد رفع هكذا خيالاً .. وأصبحت الكعبة المشرفة بحكم محراب لأهل الأرض ، فلا غنى عن هذه الفرصة ، ولأدع فيها خلاصة الأيمان التي أذكرها في التشهد وهي ، [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله] وأسلمها أمانة عند الحجر الأسود .

وهنا انكشفت حالة أخرى ، إذ رأيت :

أن الجماعة التي انضمت إليها قد أصبحت ثلاث جماعات ودوائر :
(الأولى) : هي الجماعة الكبرى المؤلفة من المؤمنين الموحدين على وجه الأرض قاطبة .

(الثانية) : هي جماعة الموجودات كافة حيث [كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه] فرأيت نفسي مع صلاتها الكبرى وفي تسبيحاتها العظمى ..
وإن ما يسمى من الوظائف والأعمال للأشياء ، إن هي إلا عناوين عباداتها وعبوديتها ..

فطالعات رأسي حائراً أمام هذه العظمة قائلاً : « الله أكبر » ، وتأملت في نفسي وفي الدائرة :

(الثالثة) ورأيت عالماً يبدأ من ذرات وجودي ، وينتهي إلى حواسي الظاهرة ؛ فهو عالم صغير وصغير .. إلا أنه عظيم جداً يدعو إلى الحيرة والاعجاب . وهو عالم ظاهره متناهٍ في الصغر إلا أن حقيقته عظيمة ، ووظائفه جليلة .

نعم ، رأيت أن كل جماعة من جماعات هذا العالم منهكة بوظائف عبوديتها وواجبات شكرها . ورأيت أن اللطيفة الربانية التي هي في قلبي .. تردد : [إياك نعبد وإياك نستعين] باسم هذه الجماعة ، مثلما رددتها لساني باسم الجماعتين العظيمتين الأوليين .

والخلاصة :

أن (نون) « نعبد » يشير إلى تلك الجماعات الثلاث ويدل عليها .
وبينما أنا في هذه الحالة ؛ إذا بالشخصية المعنوية المباركة لمبلغ القرآن الكريم قد تمثلت أمامي بعظمته ووقاره .. وهو صلى الله عليه وسلم

على منبره المعنوي (المدينة المنورة) • وأسمع منه - كما سمع غيري -
خطاباً إلهياً موجهاً ••

[يا أيُّها الناس اعبُدوا ربكم ••] ، فرأيت خيلاً أن كل مَنْ في تلك
الجماعات الثلاث يتجاوب مثلي مع ذلك الخطاب الرباني العظيم قائلاً :
[إيتاك نعبد] •

وهناك تمثلت حقيقة أخرى أمام الفكر ، حسب قاعدة : « إذا ثبت
الشيء ثبت بلوازمه » وهي :

ما دام رب العالمين قد اتخذ الانسان مخاطباً له ، فيتكلم مع جميع
الموجودات ، وإن هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد قام بتبليغ
ذلك الخطاب الرباني الى جميع البشر بل الى جميع ذوي الشعور ، وإلى
جميع ذوي الارواح ، فلا بد أن الماضي والمستقبل معاً قد أصبحا بحكم الزمن
الحاضر ، وغدت البشرية كافة مجلساً واحداً وجماعة واحدة في صفوف
مختلفة متنوعة ، حيث الخطاب موجه اليهم جميعاً •

هناك بدا لي أن كل آية من آيات القرآن الكريم في قمة البلاغة
ومنتهى الجزالة ، وفي غاية الإعجاز الذي يشع نوره الساطع ، حيث أن
الآية تكسب علوها وسموها وقوتها من :

صدورها من ذلك المقام السامي الرفيع الذي لا نهاية لعظمته ، ولا غاية
لسعته ولا منتهى لسموه ، من ذي الجلال والعظمة المطلقة ، من المتكلم الأزلي
جل جلاله •

ومن توجهها الى مَنْ هو في مقام المحبوبة العظمى - رغم كثرة
المخاطبين ، وتنوعهم ، ومكانتهم - فهو المبلِّغ المكرَّم صلى الله عليه وسلم ،
وهو صاحب المنزلة الرفيعة والدرجة العالية •

لذا ، تحقق عندي ! أنه ليس القرآن كله معجزة فحسب ، بل كل
سورة من سوره معجزة ، وكل آية من آياته معجزة بل حتى كل كلمة فيه
بحكم معجزة !

لذا قلت « الحمد لله على نعمة الايمان والقرآن » ،
وبهذا خرجت من ذلك الخيال الذي هو عين الحقيقة ، كما دخلت فيه
من (ن) نعبد ، وفهمت أن :
ليست آيات القرآن وحدها ، ولا كلماتها معجزة فحسب وانما حتى
حروف القرآن - كما في (ن) نعبد - هي مفاتيح نوزانية لحقائق عظمى .
وبعدما خرج القلب والخيال من (ن) نعبد قابلهما العقل قائلاً :
- انني أطلب بحظي ونصيبي مما انتم فيه ، فلا اتمكن من التحليق
مثلكم ، ولا استطيع السير الا باقدام الادلة والحجج .. اروني ما في
(نعبد) و (نستعين) من الطريق الموصل الى (المعبود الحقيقي)
و (المستعان الحقيقي) حتى أتمكن من مرافقتكم .
وعندها خطر للقلب أن :
- قل لذلك العقل الحائر أن : يتأمل في جميع موجودات العالم سواء
منها الحي وغير الحي . فلكل منها عبودية على شكل وظيفة من الوظائف
وفق نظام دقيق ، وضمن اطاعة تامة .
ومع أن قسماً من تلك الموجودات دون شعور واحساس ؛ فانه ينجز
أعماله ووظائفه في غاية العبودية والنظام والشعور .
إذا لابد أن هناك معبوداً حقيقياً وأمرأ مطلقاً ، يسخر هذه الموجودات
ويسوقها الى العبودية .
وقل له ليتأمل - كذلك - في جميع الموجودات ولاسيما الاحياء منها ،
فلكل منها حاجات كثيرة متنوعة ، ولكل منها مطالب عدة ومختلفة لأدامة
حياتها وبقاء نوعها وبينما لا تصل أيديها الى أبسط تلك الحاجات
والمطالب ، وليست هي في طوقها .. إذا بنا نشاهد أن تلك المطالب التي
لا تحد ، تأتيها رغداً من كل مكان ، بل تأتيها في أفضل وقت مناسب .
فهذا الافتقار والحاجة غير المتناهيتين للموجودات ، وهذه الاعانات الغيبية
والامدادات الرحمانية تدل بوضوح على أن : هناك رزاقاً لها يحميها .

وهو غني مطلق ٠٠ كريم مطلق ٠٠ قدير مطلق ٠٠ بحيث يستعين به كل شيء ، وكل حي ، طالباً منه العون والممدد ٠ أي أن كل شيء في الوجود يقول ضمناً ومعنى :

٠ [وإيّاك نستعين] ٠

وهنا استسلم العقل وقال :

— آمنا وصدقنا ٠

[الكلمة الرابعة والعشرون - الثمرة الثانية والثالثة]

حكمة الامير الوهابي في الاذكار

يا نفس ؛

ان وظائف العبودية وتكاليفها ليست مقدمة لثواب لاحق ، بل انها
نتيجة لنعمة سابقة .

نعم ؛ نحن قد أخذنا أجرتنا من قبل ، وأصبحنا - بحسب تلك
الاجرة المقدمة لنا - مكلفين للخدمة والعبودية ؛ ذلك :

لان الخالق ذا الجلال والاکرام الذي البسك - ايتها النفس -
(الوجود) - وهو الخير المحض - قد أعطاك باسمه « الرزاق » معدة ذات
تنوق وتلذذ بجميع ما فرشهُ أمامك على مائدة النعمة من مأكولات .
ثم انه وهب لك (حياة) حساسة ، فهي كالمعدة تطلب رزقاً لها ، فوضع
امام حواسك من عين وأذن - التي هي كالأيدي - مائدة نعمة واسعة سعة
سطح الارض . ثم وهب لك (انسانية) فهي تطلب بدورها أرزاقاً معنوية
كثيرة ، ففتح أمام معدة الانسانية آفاق الملك والملكوت بمقدار ما يصل اليه
العقل .

وبما وهب لك من (الاسلام والايمان) الذي هو « الانسانية الكبرى »
والذي يطلب نعماً لا نهاية لها ، ويتغذى على ثمار الرحمة التي لا تنفد ،
فتح لك مائدة النعمة والسعادة واللذة الشاملة للاسماء الحسنى ، والصفات
الربانية المقدسة ، ضمن دائرة الممكنات . ثم أعطاك (المحبة) التي هي نور
من أنوار الايمان ، فأحسن اليك بمائدة نعمة وسعادة ولذة لا تنتهي أبداً .
بمعنى انك قد أصبحت - باحسانه سبحانه وتعالى - بحسب جسمك
الصغير المحدودة المقيد الدليل العاجز الضعيف من جزء الى كلي ، والى
كل نوراني ، اذ قد رفعك من الجزئية الى نوع من الكلية ، بما أعطاك

« الحياة » ، ومن ثم الى الكلية الحقيقية ، بما وهب لك « الانسانية » ، ومن ثم الى الكلية النورانية السامية بما أحسن اليك « الايمان » ومنها رفعك الى النور المحيط الشامل بما أنعم عليك من « المعرفة والمحبة » .
فيما نفس :

لقد قبضت - مقدماً - كل هذه الاجور والاثمان ؛ ثم كتلت بالعبودية ، وهي خدمة لذينة وطاعة طيبة بل مريحة خفيفة ؛ فبعد هذا تتكاسلين عن أداء هذه الخدمة العظيمة المشرفة ؟ وتقولين بدلال : لِمَ لا يقبل دعائي .
حتى اذا ما قمت بالخدمة - بشكل مهلهل - تطالبين باجرة عظيمة اخرى ، وكأنك لم تكتفي بالاجرة السابقة ؟

نعم ؛ انه ليس من حقك الدلال أبداً ، وانما من وإجبك التضرع والدعاء ، فإله سبحانه وتعالى يمنحك (الجنة والسعادة الابدية) بمحض فضله وكرمه ، لذا فالتجنى الى رحمته ، واعتمدى عليها ، ورددى هذا النداء العلوي الرباني :

[قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون] .
« يونس/ ٥٨ » .

واذا قلت : كيف يمكنني أن أقابل تلك النعم الكلية التي لا تحصى بشكري المحدود الجزئي ؟

فالجواب : بالنية الكلية ، وبالاعتقاد الجازم الذي لاحد له .
فمثلا : ان رجلا يدخل الى ديوان السلطان بهدية قليلة متواضعة بقيمة خمسة فلوس ، ويشاهد هناك هدايا مرصوفة تقدر أثمانها بالملايين أرسلت الى السلطان من قبل ذوات مرموقين . فعندها يناجي نفسه : ماذا أعمل ؟ . ان هديتي زهيدة ولا شيء ! . الا انه يستدرك ويقول فجأة : - يا سيدي ؛ انني اقدم لك جميع هذه الهدايا باسمي ، فانك اهل لها ، يا سيدي العظيم ، لو كان باستطاعتي ان اقدم لك أمثال أمثال هذه الهدايا الثمينة لما ترددت .

وهكذا فالسلطان الذي لا حاجة له بأحد والذي يقبل هدايا رعاياه رمزاً يشير الى مدى اخلاصهم وتعظيمهم له ، يقبل تلك الهدية المتواضعة جداً

من ذلك الرجل المسكين كأنها أعظم هدية ، وذلك بسبب تلك النية الخالصة منه ، والرغبة الصادقة ، واليقين الجازم الجميل السامي .
وهكذا ، فالعبد العاجز عندما يقول في الصلاة : (التحيات لله) ينوى بها :

انني ارفع اليك يا إلهي هدايا العبودية لجميع المخلوقات - التي هي حياتها - فلو كنت أستطيع ان اقدم التحيات اليك - يا ربي - بعددهم لما احجمت ولا ترددت ، فانك اهل " لذلك ، بل اكثر .
فهذه النية الصادقة والاعتقاد الجازم ، هي الشكر الكلي الواسع ، ولنأخذ مثلاً من النباتات حيث النوى والبذور فيها بمثابة نيّاتها .
فالبطيخ مثلاً يقول - بما ينوى من آلاف النوى التي في جوفه - : يا خالقي انني على شوق ورغبة أن اعلن نقوش اسمائك الحسنى في ارجاء الارض كلها .

وحيث أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما يحدث وكيف يحدث ، فانه يقبل النية الصادقة كأنها عبادة فعلية ، اي كأنها حدثت . ومن هنا تعلم كيف ان نية المؤمن خير من عمله ، وتفهم كذلك (حكمة التسبيح) باعداد غير نهائية حيث ورد :

سبحانك وبحمدك عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ونسبحك بجميع تسبيحات أنبيائك وأوليائك وملائكتك .

فكما ان الضابط المسؤول عن الجنود يقدم اعمالهم وانجازاتهم الى السلطان باسمه ، كذلك هذا الانسان الذي هو ضابط على المخلوقات ، وقائه للنباتات والحيوانات ، ومؤهل ليكون خليفة على موجودات الارض ، ويعد نفسه مسؤولاً ووكيلاً عما يحدث في عالمه الخاص . . يقول بلسان الجميع (وبصيغة الجمع) :

(اياك نعبد واياك نستعين) فيقدم الى المعبود ذي الجلال جميع عبادات الخلق واستعاناتهم ، . . ويجعل الموجودات قاطبة كذلك تتكلم باسمه وذلك عند قوله :

سبحانك بجميع تسبيحات جميع مخلوقاتك ، وبالسنة جميع
مصنوعاتك •

ثم انه يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم باسم جميع الاشياء على
الارض :

(اللهم صل على محمد بعدد ذرات الكائنات ومركباتها) •• اذ ان
كل شيء في الوجود له علاقة مع النور المحمدي عليه الصلاة والسلام •
وهكذا انهم : حكمة الاعداد غير النهائية في التسبيحات والصلوات •
فيما نفس !

ان كنت حقاً تريد ان تنالي عملاً أخوياً خالداً في عمر قصير ؟
وان كنت حقاً تريد ان تري : فائدة في كل دقيقة من دقائق عمرك
كالامر الطويل ؟

وان كنت حقاً تريد ان تحولي العادة الى العبادة وتبدلي غفلتك الى
طمأنينة وسكينة • فاتبعي - اذن - السنة النبوية الشريفة ••• ذلك :
لان تطبيق السنة والشرع في معاملة ما ، يورث الطمأنينة والسكينة ،
ديصبح نوعاً من العبادة ، بما يشمر من ثمرات اخوية كثيرة •
فمثلاً : اذا ابتعت شيئاً ، ففي اللحظة التي تطبق الامر الشرعي
- الايجاب والقبول - فان جميع هذا البيع والشراء يأخذ حكم العبادة •
حيث تذكرك بالحكم الشرعي ، مما يعطي تصوراً روحياً ، وهذا التصور
يذكرك بالشارع الجليل سبحانه ، اي يعطي توجهاً آلياً • وهذا هو الذي
يسكب السكينة والطمأنينة في القلب •

اي ان انجاز الاعمال وفق السنة الشريفة يجعل هذا العمر الفاني
القصير مداراً للحياة الابدية ، ذات ثمار خالدة •
لذا فانصتي جيداً الى قوله تعالى :

[فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون] د الاعراف/ ١٥٨ ، واسعي ان تكوني مظهراً جامعاً شاملاً
لفيض تجلر لكل اسم من تجليات الاسماء الحسنی المنتشرة في احكام السنة
الشريفة والشرع •

ولقد (١) قلت لأحد اخواننا الذي اظهر تكاسلاً وفتوراً في قراءة الاذكار

بعد الصلاة :

أن تلك الاذكار الواردة عقب الصلاة هي سنة نبوية مطهرة وطريقة محمدية شريفة ، وهي أوراد الولاية الاحمدية ، فأصبحت أهميتها - اذن - من هذه الزاوية عظيمة .

ثم وضحت حقيقة هذا القول بهذا الشكل :

نعم ، مثلما أن الولاية الاحمدية التي انقلبت الى (الرسالة) هي فوق جميع الولايات قاطبة ، كذلك فان طريقة تلك الولاية الكبرى واذكارها عقب الصلاة هي فوق سائر الطرق والاوراد بالمرجة نفسها ثم انكشف هذا السر كما يأتي :

كما ان كل ذاك في حلقة الذكر ، او في ختمه الذكر في المسجد ، يشعر برابطة روحية ، تربطه بمن حوله ، فيحسون جميعا بحالة روحية نورانية ، كذلك فان ذا القلب اليقظ يحس روحيا كلما سبّح بـ « سبحان الله ... سبحان الله ... سبحان الله ... » بعد الصلاة ، أنه في حلقة ذكر مع مائة مليون من المسبحين الذاكرين ، كأنهم بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي يترأس تلك الحلقة الذاكرة المتزامية الاطراف .
فهذه الاحاسيس الشاعرة بالعظمة والهيبة والرفعة والعلو يكرر المؤمن : « سبحان الله ... سبحان الله ... » .

ثم انه عندما يردد « الحمد لله ... الحمد لله ... » بأمر معنوي صادر من ذلك السيد الكريم صلى الله عليه وسلم ، فانه يتأمل ويفكر في عظمة تلك الكلمة « الحمد لله » المنطلقة من صدور مائة مليون من المرددين في تلك الحلقة الواسعة الشاسعة ، فيشترك معهم بقوله : الحمد لله ... الحمد لله ... الحمد لله ...

وعكذا ، مع كلمة « الله أكبر ... الله أكبر ... » ومع « لا إله إلا الله ... لا إله إلا الله ... » بثلاث وثلاثين مرة . حيث يختم الذكر ...

(١) من ملحق قسطنطين ص ٦٨ .

وبعد اتمام هذه الاذكار اللطيفة بتلك المعاني والتأمل الاخوي يتوجه الى « سيد ، الحلقة الذاكرة وهو : الذات الاحمدية عليه الصلاة والسلام حاملاً معه تلك المعاني المذكورة مع اخوانه في حلقة الذكر قائلاً :

— ألف ألف صلاة وألف ألف سلام عليك يا رسول الله •

أجل ، هكذا أحسست ، وهكذا فهمت ، بل هكذا رأيت خيالا ، لذلك

أقول :

— ان الاذكار عقب الصلاة ، اذن ، لها أهمية كبرى •

★ ★ ★

واليك يا أخي هذه الخاطرة الجميلة (١) :

حينما كنت أقرأ جملة « ألف ألف صلاة وألف ألف سلام عليك يا رسول الله » عقب الصلاة ، تراءت لي من بعيد خاطرة لطيفة انكشفت من تلك الصلوات ، الا انني لم أتمكن من اقتناصها كاملة ، ولكن سأشير الى بعض جملتها :

رأيت ان عالم الليل شبيه بمنزل جديد يفتح لدار الدنيا •• دخلت ذلك العالم في صلاة العشاء ، ومن انفتاح فوق العادة للخيال وبحكم ارتباط ماهية الانسان مع الدنيا قاطبة رأيت :

ان هذه الدنيا العظيمة جدا أصبحت في ذلك الليل منزلا صغيرا جدا حتى لا يكاد يرى ما فيه من بشر ومخلوقات •

ورأيت — خيالا — أن ليس هناك من ينور ذلك المنزل الا الشخصية المعنوية للرسول صلى الله عليه وسلم بحيث امتلأت أرجاؤه بهجة وانسا وسرورا •

وكما يبدأ الشخص بالسلام عند دخوله المنزل ، كذلك وجدت في نفسي شوقاً هائلا ورغبة جياشة الى القول : ألف ألف سلام عليك يا رسول الله (٢) ••

(١) اللمعات ص ٢٥٧ •

(٢) ذلك لان الرحمة النازلة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هي متوجية لحاجة الامة قاطبة في زمن أبدي ، لذا فالصلاة غير المتناهية

ومن هنا وجدت نفسي كأنني أسلم عليه بعدد الانس والجن واعتبر
بسلامي هذا عن : تجديد البيعة له والرضى برسالته وقبولها منه واطاعة
القوانين التي أتى بها ، والتسليم لاوامره وسلامته من بلايانا • أي كأنني
أقدم هذا السلام – بتلك المعاني – باسم كل فرد من أفراد العالم أجمع من
جن وأنس ، وجميع المخلوقات ، حتى انني أحسست كأنهم يرددون معي
هذا السلام عليه •

وكذا فان ما جاء به من النور العظيم والهدية الغالية قد نور عالمي
الخاص هذا كما نور العالم الخاص لكل أحد في هذه الدنيا ، فحول عالمنا
عالمًا زاهرًا بالنعيم فقلت أمام هذه النعمة الهائلة : « اللهم أنزل الف صلاة
عليه ، علّها تكون شكرًا وعرفانا للجميل على ذلك النور الحبيب والهدية
الغالية ، اذ أننا لا نستطيع أن نردّ جميله واحسانه إلينا أبدًا ، فأظهرنا
تضرعنا الى الله جل وعلا بالدعاء والتوسل كي ينزل من خزائن رحمته رحمة
عليه بعدد أهل السموات جميعا •

فهو صلى الله عليه وسلم يطلب صلاة بمعنى (الرحمة) من حيث هو
(عبد) متوجه من الخلق الى الحق • ويستحق (السلام) من حيث أنه (رسول)
من الحق الى الخلق •

التي تهدي اليه منسجمة جدًا •

فتصور لو ان شخصا دخل بيتا خاليا مظلمًا موحشًا – كالدنيا
المظلمة الموحشة الغفلة – كم سيأخذه الرعب والدهشة والاضطراب •
ولكن لكم يسره ويؤنسه ويفرحه وينوره لو رأى أن شخصا قد تصدر
ذلك البيت يعرفه بجميع ما فيه •

فما بالك لو كان هذا الشخص هو الحبيب المحبوب والانيس
المانوس وهو الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، متصدر بيت
العالم ، يعرف لنا حكمة ما فيه من امور بأمر من ذلك الرحيم
قس هكذا لكي تقدر بنفسك قيمة الصلوات عليه •

وكما اننا نرفع اليه سلاما بعدد الانس والجن ، ونجدد له البيعة العامة بعددها أيضا ، كذلك فانه صلى الله عليه وسلم يستحق صلاة من خزائن الرحمة الالهية بعدد أهل السموات ، وبأسم كل واحد منهم ؛ ذلك لان النور الذي جاء به هو الذي يظهر كل شيء في الوجود ، ويبرز قيمة كل موجود ، وتشاهد به الوظيفة الربانية لكل مخلوق ، وتتجلى به المقاصد الالهية من كل مصنوع لذا :

لما كان من المسلم به أن كل شيء لو وهب له لسان لكان يردد قولاً — كما يردد حالا — الصلاة والسلام على الرسول الحبيب .. فنحن بدورنا نقول بدلا عن المخلوقات كآلة :

— ألف ألف صلاة عليك يا رسول الله بعدد الانس والجن بعدد الملائكة والنجوم .

وكاننا بذلك نعبر عن قول من قال :

فيكفيك أن الله صلى بنفسه وأمالكه صلت عليه وسلمت

[الكلمة الثالثة والعشرون - النقطة الرابعة والخامسة]

لله عا و منافع خربة الرحمة

ان الايمان يجعل من الانسان انساناً حقاً ، بل يجعل منه سلطاناً ،
لذا كان أساس واجبه هو الايمان بالله تعالى والدعاء والابتغال اليه . بينما
الكفر يجعل الانسان حيواناً مفترساً في غاية العجز .

وسنورد هنا دليلاً واضحاً وبرهاناً قاطعاً من بين آلاف الدلائل على
هذه المسألة وهو التفاوت والفروق بين مجيء الحيوان والانسان الى دار
هذه الدنيا .

نعم ، ان التفاوت بين مجيء الحيوان والانسان الى هذه الدنيا يدل على
اكتمال الانسانية وارتقامها الى الانسانية الحقة انما هو بالايمان وحده ، وذلك
لان الحيوان حينما يأتي الى الدنيا يأتي اليها كأنه قد اكتمل في عالم آخر ،
فيرسل اليها وهو متكامل وكامل تقريباً - حسب استعداده - فيتعلم في
ظرف ساعتين أو يومين أو شهرين شرائط حياته وسبل عيشه ، وعلاقاته
بالكائنات الاخرى وقوانين حياته فتحصل لديه ملكة . فيتعلم العصفور أو
النحلة - مثلاً - من القمرة الحياتية والسلوك العملي عن طريق الوحي
والالهام والهداية الربانية في عشرين يوماً ما لا يتعلمه الانسان الا في
عشرين سنة . فالوظيفة الأساس للحيوان اذن ليست هي التكميل
والنبوغ والترقي بكسب العلم والمعرفة ، ولا الاستعانة والدعاء باظهار العجز
والفقر ، وانما وظيفته الاصلية هو : العمل والجد حسب استعداده أي .
» العبودية الفعلية « .

أما الانسان فعلى العكس من ذلك تماماً ، فهو عندما
يقدم الى الدنيا يكون بحاجة الى تعلم وادراك كل شيء اذ هو جاهل بقوانين
الحياة كافة جهلاً مطبقاً ، حتى أنه قد لا يستوعب شرائط حياته خلال
عشرين سنة ، فيبقى محتاجاً الى التعلم والتفهم مدى عمره . فضلاً عن أنه يبعث
الى الحياة وهو في غاية الضعف والعجز ، حتى انه لا يمكنه القيام منتصباً
الا بعد سنتين من عمره ، ولا يكاد يميز النفع من الضر الا بعد خمس عشرة

سنة ، ولا يمكنه ان يحقق لنفسه لوازم حياته ومنافعها ولا دفع الضر عنها
الا بالتعاون والانخراط في الحياة الاجتماعية البشرية .

يتضح من هذا ان وظيفة الانسان الفطرية انما هي التكمل والنبوغ
والترقي عن طريق «التعلم» والمعرفة ، والعبودية بـ «الدعاء» والثناء بالتأمل
في نفسه قائلاً : « برحمة مَنْ وشيقتُهُ اُدارى بهذه الرعاية الحكيمة ؟!
وبمكرمة مَنْ وسخائه اُرَبى هذه التربية المفعمة بالشفقة والرحمة ؟!
وبالطاف مَنْ وجوده اُغذى بهذه الصورة الرزاقية الرقيقة ؟ ! » .

اي الدعاء والتضرع والتوسل والرجاء بلسان الفقر والعجز الى قاضي
الحاجات ليقضي له طلباته وحاجاته التي لاتصل يده الى واحدة من آلاف
منهـا .

وهذا يعني ان وظيفته الاساسي هي التحليق والارتفاع بجناحي العجز
والفقر الى مقام العبودية السامي .

اذن فلقد جيء بهذا الانسان الى هذا العالم لأجل ان « يتكامل »
بالمعرفة والدعاء . لأن كل شيء فيه موجه الى « العلم » ومتعلق « بالمعرفة »
حسب الماهية والاستعداد . وأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها
وروحها هو « معرفة الله تعالى » كما ان أس هذا الاساس هو « الايمان بالله »
جل وعلا .

وحيث أن الانسان متعرض لما لا يحصى من أنواع البلايا والمصائب
ومهاجمة الاعداء لما يحمل من عجز مطلق . وله كذلك مطالب كثيرة وحاجات
وفيرة مع أنه في فقر مدقع لا نهاية له . لذلك تكون وظيفته الفطرية الاساس
الدعاء بعد الايمان وهو رأس العبادة ومخها .

فكما ان طفلا لا يستطيع تحقيق مرامه أو تنفيذ رغبته بما لا تصل
اليه يده يلجأ الى البكاء والعويل ، أو يطلب مأموله ذاك ، أي يدعو بلسان
عجزه أما قولاً أو فعلاً ، فيوفق الى مقصوده ذاك ، كذلك الانسان الذي يعتبر
الطف أنواع الاحياء وأعجزها وأفقرها وهو بمنزلة صبي ضعيف لطيف ،
لا بد له من ان يأوى الى كنف الرحمن الرحيم أما باكياً معبراً عن ضعفه
وعجزه أو داعياً بفقره واحتياجه ، حتى تلبّي حاجته وتنفذ رغبته ، ومن

ثم يكون قد ادى شكر تلك التلبيات والتسخيرات ، والا فاذا قال بغير
 - كالطفل الاحمق الشرير الذي يصرخ من تلاحق الذباب عليه - : انا اسخر
 جميع هذه الاشياء بافكاري وتصوري وأديرها بنفسي ، وهي التي تفوق
 آلاف المرات قوته وطاقته . فما هذا الا كفر بنعم الله تعالى ، ومعصية كبيرة
 تنافي الفطرة الانسانية وتناقضها ، وسبب لجعل نفسه مستحقاً لعذاب اليم .
 كما أن الايمان يقتضي الدعاء ويتخذة سيداً ثابتة ووساطة بين
 المؤمن وربّه ، وكما أن الفطرة الانسانية تتلطف اليه بشدة وشوق ، فان الله
 سبحانه وتعالى يدعو الانسان الى الامر نفسه بقوله : [قل ما يعبؤا بكم
 ربي لولا دعاؤكم] والفرقان/٧٧، ويقول تعالى : [ادعوني أستجب لكم] .
 » غافر/٦٠ « .

ولعلك تقول : اننا كثيراً ما ندعو الله فلا يستجاب لنا رغم ان الآية
 عامة تصرح بأن كل دعاء مستجاب .

الجواب : ان استجابة الدعاء شيء وقبوله شيء آخر ، فكل دعاء
 مستجاب . الا أن قبوله وتنفيذ المطلوب نفسه انما هو منوط بحكمة الله
 سبحانه .

فمثلاً : يستصرخ طفل عليل الطبيب قائلاً : أيها الطبيب انظر الي
 واكشف عني .

فيقول الطبيب : امرك يا صغيري .

فيقول الطفل : اعطني هذا الدواء . فالطبيب حينذاك أما أن يعطيه
 الدواء نفسه أو يعطيه دواء أكثر نفعاً وأفضل له ، أو يمنع عنه العلاج ،
 كل ذلك حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة .

فكذلك الحق تبارك وتعالى لأنه حكيم مطلق وهو رقيب حاضر وناظر
 في كل آن فهو سبحانه يستجيب دعاء العبد ، وباستجابته وحضوره يزيل
 وحشته القائمة وغيبته المدهشة مبداً ايها املاً وانساً واطمئناناً ،
 فيقبل مطلبه ويستجيب : إما الدعاء نفسه مباشرة ، أو يمنحه أفضل منه ،
 أو يردّه ، وذلك حسب اقتضاء الحكمة الربانية لا حسب أهواء العبد
 المتحكمة وأمانيه الفاسدة .

وكذا فالدعاء هو ضرب من العبودية، وثمار العبادة وفوائدها أخروية .
أما المقاصد الدنيوية فهي اوقات ذلك النوع من الدعاء والعبادة ، وليست
غاياتها .

فمثلاً : صلاة الاستسقاء هي نوع من العبادة ، وانقطاع المطر هو
وقت تلك العبادة فليست تلك العبادة وذلك الدعاء لأجل نزول المطر .
فلو أدت تلك العبادة لأجل هذه النية وحدها لكانت غير حرة بالقبول
حيث لم تكن خالصة لوجه الله تعالى . وكذا وقت غروب الشمس هو اعلان
عن صلاة المغرب ، ووقت كسوف الشمس وخسوف القمر هو وقت صلاة
الكسوف والخسوف . أي ان الله سبحانه يدعو عباده الى نوع من العبادة
بمناسبة انكساف آية النهار وانخساف آية الليل اللتين تومنان وتعلنان
عظمته سبحانه . والا فليست هذه العبادة لانجلاء الشمس والقمر الذي
هو معلوم عند الفلكي ، فكما ان الأمر في هذا هكذا فكذلك وقت انحباس
المطر هو وقت صلاة الاستسقاء ، وتهافت البلايا وتسلب الشرور والاشياء
المضرة ، هو وقت بعض الادعية الخاصة ، حيث يدرك الانسان حينئذ عجزه
وفقره ، فيلوذ بالدعاء والتضرع الى باب القدير المطلق ، واذا لم يدفع الله
سبحانه تلك البلايا والمصائب والشرور مع الدعاء الملح ، فلا يقال ان الدعاء
لم يستجب ، بل يقال : ان وقت الدعاء لم ينقض بعد ، واذا رفع الحق
سبحانه بفضل وكرمه تلك البلايا وكشف المضلة فقد انتهى وقت
الدعاء اذن وانقضى .

فالدعاء - بهذا - سر من أسرار العبودية ، والعبودية لا بد
ان تكون خالصة لوجه الله ، بأن يأوى الانسان الى ربه بالدعاء مظهراً
عجزه ، مع عدم التدخل والاعتراض على اجراءات ربوبيته ، وتسليم الأمر
اليه وحده ، والتدبير اليه سبحانه ، مع الاعتماد على حكمته من دون اتهام
لرحمته ، ولا القنوط منها .

نعم ، لقد ثبت بالآيات البينات أن كلا من الموجودات في وضع تسبيح
لله تعالى بتسبيح خاص ، في عبادة خاصة ، وفي سجود خاص ، فتتمحض عن
هذه الاوضاع العبادية سبل الدعاء المؤدية الى كنف رب عظيم ، سواء عن
طريق (لسان الاستعداد والقابلية) كدعاء جميع النباتات والحيوانات

قاطبة - حيث يبتغي كل واحد منهما من الفياض المطلق صورة معينة له ،
فيها قسم من معاني اسمائه الحسنى - أو عن طريق (لسان
الحاجة الفطرية) كادعية جميع أنواع ذوي الحياة التي تتجسد في الحاجات
الضرورية لما لا تصل اليها يدها • فيطلب كل حي منها ، إما
بلسان حاجته الفطرية من الجواد المطلق صنف رزقه الخاص لادامة حياته
وتأمين عناصر استمرار وجوده • أو عن طريق (لسان الاضطراب) كدعاء
المضطرب من ذوي الحياة ، حيث هناك الحامي المغييب والمعين المسؤول الذي
يلبي حتماً وبسرعة دعائه ويقبل التجاءه فلا يجد ذلك المضطر مناصاً من
الالتجاء والتوجه الى « ربه الرحيم » •

فهذه الانواع الثلاثة من الدعاء مقبولة ان لم يطرأ عليها مانع يجعلها
غير مقبولة •

والنوع الرابع من الدعاء ، وهو دعاؤنا المعروف ، فهو أيضاً نوعان :
أحدهما : دعاء فعلي وحالي •
وثانيهما : دعاء قلبي وقولي •

فمثلاً : الأخذ بالاسباب هو دعاء فعلي ، واجتماع الاسباب ليس المراد
منه ايجاد المسبب ، وانما هو لاتخاذ وضع ملائم ومرضئ لله سبحانه لطلب
المسبب منه بلسان الحال • حتى ان الحرائة بمنزلة طرق باب خزانة الرحمة
الآلهية • ونظراً لكون هذا النوع من الدعاء الفعلي متوجه نحو اسم الجواد
المطلق والى عنوانه فهو مقبول لا يرد في أكثر الاحيان •

أما القسم الثاني : فهو الدعاء باللسان والقلب أي طلب الحصول على
بعض المطالب غير القابلة للتحقيق ، والحاجات التي لا تصل اليها اليد •
فأهم جهة والطف غاية والذ ثمرة لهذا الدعاء هو : ان الداعي يدرك ان هناك
مَنْ يسمع خواطر قلبه ، وتصل يده الى كل شيء ، ومَنْ هو القادر على
تلبية جميع رغباته وآماله ، ومَنْ يرحم عجزه ويواسي فقره •

فيا أيها الانسان العاجز الفقير • اياك ان تتخلى عن مفتاح خزانة الرحمة
ومحور القوة العظمى الا وهو الدعاء • فتشبث به لترتقي الى أعلى علي
الانسانية • واجعل دعاء الكائنات جزءاً من دعائك ، واجعل من نفسك عبداً
كلياً ووكيلاً عاماً بقولك : (اياك نستعين) ، وكن أحسن تقويم لهذا الكون •

باق من الموازين

- كيف السبيل الى حب الله
- من دسائس الشيطان
- الوسوسة وعلاجها
- التجارة الرابعة
- سر الوجود
- حقيقة الدنيا
- الدنيا بين نظرة المؤمن والكافر
- نظرة ايمانية الى سر الموت
- رحيل الشباب
- لولا الشيوخ الركع
- لغة العلوم
- سؤال وجواب

كيفية السبيل الى حب الله

رب قائل يقول : ان الحب ليس اختياريا ، ولا هو مما يقع تحت ارادتنا ؛ لذا فاني - بمقتضى حاجاتي الفطرية - أحب الاطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة ، وأحب والديّ وزوجتي وأولادي ، وأحب أصدقائي ورفاقي ، وأحب الانبياء والاولياء الصالحين ، وأحب شبابي وحياتي وأحب الربيع وكل شيء جميل . وبعبارة أوجز : اني أحب الدنيا .. وكيف لا أحب ؟ ولكن كيف أستطيع أن أهب جميع هذا الحب الى الله واجعل حبي لاسمائه الحسنى وصفاته الجليلة وذاته المقدسة سبحانه ؟

الجواب :

للإجابة على هذا السؤال عليك أن تستمع الى النكات الاربعة الآتية (١) :
أولا - ان الحب رغم أنه ليس اراديا ولا تحت اختيارنا ؛ الا أنه يمكن أن يتحول وجهه من محبوب الى آخر ، كأن يظهر لك قبح المحبوب وحقيقته مثلا . أو أن تعرف ان الذي تحبه هو ستار لمحبوب حقيقي ومراة له ؛ فعندها يمكن أن يدار وجه الحب من المحبوب المجازي الى المحبوب الحقيقي الذي يستحق الحب كله .

ثانيا - نحن لا نقول لك : لا تحمل ودأ ولا حبا لكل ما عدته ، وانما نقول لك : اجعل حبك - لما ذكرته - في سبيل الله ولوجهه الكريم .
فالتلذذ بالطعمة الشهية وتنوق الفواكه الطيبة مع التذكير بأنها احسان من الله سبحانه وانعام من الرحمن الرحيم ، يعني المحبة لاسم (الرحمن) واسم (المنعم) من الاسماء الحسنى وهذا هو الشكر المعنوي .
والذي يميز هذه المحبة بأنها (للرحمن) وليست لاجل النفس والهوى هو :

(١) ذكرت هنا نكتتان فقط .

كسب الرزق الحلال مع القناعة التامة ضمن الدائرة المشروعة ، وتناوله بالتفكر مع الشكر .

وكذلك فان احترامك ومحبتك للوالدين انما يعودان الى محبتك لله سبحانه اذ هو الذي غرس فيهما تلك الرحمة والشفقة حتى قاما برعايتك وتربيتك بكل رحمة وحكمة .

وعلاوة كونها محبة لوجه الله تعالى : انك تزيد من محبتكما عندما يبلغا الكبر ، ولا يبقى لك عليهما من مطمع ، فتكثر من الشفقة والرحمة عليهما رغم ما يشغلانك بالمشاكل ويشغلان على كاهلك . وان الآية الكريمة : [إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ٠٠٠] الآية . تدعو الاولاد الى رعاية حقوقهما في خمس مراتب ، وتبين : ما أعظم برهما ! وما أقبح عقوقهما !

وحيث ان الوالد لا يقبل أن يتقدمه أحد سوى ابنه - مما يسد عليه طريق المطالبة بالحق تجاهه - لذا فلا مبرر - فطرةً - للخصام بينهما الذي ينشأ اما من الحسد والغبطة بين الاثنين ، فالوالد سليم معافى منه فطرة . أو ينشأ من غمط الحق . ولا يحق للولد اقامة الدعوى ضد والده ، ومن ثم فلا يحق له العصيان حتى ان رأى منه ما ليس بحق وصواب . وما دام الوالد وهذه صفاته وخصاله ؛ فمن ذا الذي يؤذي والديه أو يعقهما الا أن يكون انسانا ممسوخا الى حيوان شرس مفترس ؟!

وكذلك حب الوالدين للاولاد فهو ايضاً يعود لله سبحانه اذ ان رعايتهما للولد من كمال الشفقة والرحمة النابتين من هبة الرحيم الكريم . وعلاوة كونه حباً لله وفي سبيله : الصبر مع الشكر عند البلاء ، وبالاخص عند الموت ، والترفع عن اليأس والقنوط وهدر الدعاء بالويل والثبور . بل التسليم بالحمد عند القضاء كأن يقول : ان هذا المخلوق محبوب للخلاق الكريم ، ومملوك له وقد أمنني عليه لفترة من الزمن ، فالآن اقتضت حكمته سبحانه أن يردده مني الى مكان آمن وافضل . وان تك لي فيه حصة واحدة.

• ظاهرية ؛ فله سبحانه ألف حصة حقيقية فيه ، ولا مناص من التسليم
بـ « الحكم لله » •

أما ودّ الإصدقاء ومحبتهم ؛ فان كانوا من أصحاب الايمان والتقوى
فان حبهم هو في سبيل الله ويعود اليه سبحانه حسب مضمون « الحب في
الله » •

وكذلك محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك • اذ عليك بمحبتها والتودد
اليها من انها هدية الرحمة الالهية ، فهي هدية لطيفة أنيسة وإياك أن تربط
محبتك لها برباط الجمال الظاهري السريع الزوال بل أوثقها مع الجمال
الذي لا يزول بل يزداد تألقاً يوماً بعد يوم ، ألا وهو جمال الأخلاق والسيرة
الطيبة المنغزة في أنوثتها ورقتها • وان أحلى وأثمن جمال لها هو في شفقتها
الخالصة السامية النورانية ، فجمال الشفقة هذا ، وحسن السيرة ، يدومان
الى نهاية العمر بل يزدادان وبهما تصان حقوق هذه المخلوقة ، وإلا فانها تفقد
حقوقها - عندما تكون في أمس الحاجة اليها - بمجرد زوال الجمال الظاهري
المنحصر في جمال الصورة فقط •

وتوقير الانبياء عليهم السلام واحترام الصالحين ومحبتهم يصبح أيضاً
لوجه الله من حيث أنهم عباد الله المخلصون المقبولون عنده جل جلاله •
فمن هذه الزاوية يصبح ذلك الحب - هو الآخر - لله •

وكذلك الحياة ؛ التي وهبها الله سبحانه وتعالى لك وللانسان ؛ تلك
الخزينة الثمينة والراسمال العظيم والكنز الكبير يحوي أجهزة الكمالات
الخالدة لتكسبك الحياة الآخروية الأبدية - فان المحافظة عليها ومحبتها من
هذه الزاوية بل تسخيرها لخدمة المولى عز وجل تعود الى الله سبحانه أيضاً •
ولكم تكون كذلك محبة مشروعة بل مشكورة تلك التي تتوجه الى
لطافة الشباب وجماله من حيث أنها نعمة ربانية جميلة لذينة وتقديرها
من هذه الزاوية •• ومن ثم العمل على حسن استخدامها ؟

وكذلك حب الربيع والشوق اليه يكون في سبيل الله ومتوجهاً الى

أسمائه الحسنى من حيث أنه أجمل صحيفة للنقوش الجميلة البديعة -
لأسمائه الكريمة . وأنه معرض عظيم هائل لدقائق الصنعة الربانية ،
فالتفكر والتأمل في الربيع هكذا هو في الحقيقة محبة متوجهة الى أسمائه
الحسنى .

وحتى حب الدنيا والشغف بها ينقلب الى حب لوجه الله تعالى فيما اذا
كان النظر اليها من زاوية : أنها مزرعة الآخرة ، ومرايا الأسماء الحسنى ،
ورسائل آلهية الى الوجود مع كونها دار ضيافة مؤقتة .. وعلى شرط ألا
تندخل النفس الأمارة فيه .
ومجمل القول :-

أجعل حبك للدنيا وما فيها (بالمعنى الحرفي) أي لعنى ما فيها ومغزاه .
وليس (بالمعنى الاسمي) أي لذاتها . فلا تقل : « ما أجمل هذا » ! وإنما
قل : « ما أجمل خلق هذا » . أو : « ما أجمل خلقه » ! وإياك أن تترك
ثغرة يدخل منها حب لغير الله في باطن قلبك ، فان باطنه مرآة صمدانية .
لا تستقر إلا بذكر الله وحبه وقل :

اللهم ارزقنا حبك وحب ما يقربنا اليك .

وهكذا فان جميع ما ذكرناه من أنواع المحبة ؛ ان وجهت الوجهة
الصائبة اي عندما تكون لله وفي سبيل الله . عندئذٍ فقط تصبح لذّة
حقيقية بلا ألم ، ووصالاً حقاً بلا زوال بل تزيد من محبة الله سبحانه
وتعالى .

وكل ذلك بالتأكيد محبة مشروعة وشكر لذيذ زكي وممتعة فكرية
خالصة . فكما اذا أهدى اليك سلطان عظيم « تفاحة » مثلاً فانك ستكن
لها نوعين من المحبة وستلتذ بها بشكلين من اللذة :

الاولى : المحبة التي تعود الى التفاح من حيث انه فاكهة طيبة فيه لذّة
بقدر ما فيه من خصائص . فهذه المحبة لا تعود الى السلطان .
وانما الذي يأكله أمامه يبدي محبته الى التفاح والى شهيته وليس الى

السلطان ، وقد لا يعجب السلطان ذلك الحب الشديد للنفس بل قد
ينفر منه .

ولما كانت لذة التفاح جزئية وفي زوال ، فلا شك أنها تورث أسفاً
بمجرد الانتهاء من أكله وفقدان لذته .

أما المحبة الثانية : فهي للكرمة السلطانية والتفانته اللطيفة التي
ظهرت بالتفاحة . فكأن تلك التفاحة نموذج للتوجه السلطاني أو هي ثناء
مجسم منه ؛ فالذي يتسلم هدية السلطان حباً وكرامة فإنه يبدي حبه
للسلطان وليس الى التفاح . هذا اضافة الى ان ما في غلاف تلك المكرمة
ومظروفها من اللذة يفوق ويسمو على ألف تفاحة أخرى . فهذه اللذة هي
الشكران بعينه . وهذه المحبة هي التوقير اللائق للسلطان .

وهكذا : فإذا ما وجه الانسان الحبيب الى « ذات » النعم والفواكه
وتلذذ - عن غفلة - بلذاتها المادية وحدها فتلك إذن محبة نفسانية وتعود
الى هوى النفس وان تلك اللذات زائلة مؤلمة .

أما اذا كانت المحبة الى جهة التفات رحمته سبحانه ونعماته احسانه
بعدمها أخذ حظه بشهية كاملة وتلذذ حسب درجات تقديره للاحسان واللفظ
الرباني . فانها تكون شكراً معنوياً ولذة غير مؤلمة أيضاً .

[الأمانة الثالثة عشرة من رسالة حكمة الاستعاذة]

مدى سلطان الشيطان

النقطة الاولى :

ان أعظم كيد للشيطان هو خداعه لضيقى الصدر وقصيري النظر وقاصري الفكر من الناس - من جهة عظمة الحقائق الايمانية - بقوله لهم : كيف يمكن تصديق مايقال: ان واحداً واحداً هو الذي يدير ويدبّر -ضمن ربوبيته - شؤون جميع الذرات والنجوم والسيارات ، وسائر الموجودات . باحوالها كافة ؟ فكيف تصدق وتقرّ في القلب هذه المسألة العجيبة العظيمة؟ وكيف يقنع بها الفكر ؟ . فيثير بذلك حساً انكارياً من نقطة العجز الانساني وضعفه .

الجواب : « الله اكبر » هو الجواب الحقيقي والملجم لهذه الدسيسة الشيطانية ، وهو المسكت لها .

نعم ، ان كثرة تكرار (الله اكبر) واعادتها في جميع الشعائر ، ان هي الا لازالة هذا الكيد الشيطاني ؛ لان الانسان بقوته العاجزة ، وقدرته الضعيفة ، وفكره المحدود يرى تلك الحقائق الايمانية غير المحدودة ويصدقها بنور (الله اكبر) ، ويحمل تلك الحقائق بقوة (الله اكبر) ، وتستقر عنده ضمن دائرة (الله اكبر) .

فيخاطب المبتلى بالوسوسة قلبه قائلاً : ان تدبير هذه الكائنات وادارتها بهذا النظام الرائع الذي يراه كل ذي بصر ، لا تفسر إلا بطريقتين:

الاولى :

وهي الممكنة ، ولكنها معجزة خارقة جداً . اذ ان أثراً كهذا الاثر المعجز لا بد انه ناتج من عمل خارق وبطريقة خارقة معجزة ايضاً ، وهذه الطريقة هي :

ان الموجودات قاطبة لم تخلق الاّ بارادة وقدره ربوبية الواحد الاحد
الصد ، وهي بعدد ذراتها شاهدة على وجوده سبحانه وتعالى •

الثانية :

وهي طريق الكفر والشرك ، المتنعة والصعبة وغير المعقولة الى درجة
المحال لأنه : يلزم ان يكون لكل موجود في الكون ، بل في كل ذرة فيه ،
الوهية مطلقة ، وعلم محيط واسع وقدره شاملة مطلقة كي تظهر الى الوجود
نقوش الصنعة البديعة المتكاملة ، بهذا النظام والانتظام الرائعين المشاهدين •
وبهذا التقدير والتمييز الدقيقين •

وتلك هي ما اوضحنا امتناعها واستحالتها واثبتناها بدلائل قاطعة في
المكتوب العشرين والكلمة الثانية والعشرين ورسائل اخرى كثيرة •

الخلاصة :

لو لم تكن هناك ربوبية ذات عظمة وكبرياء - أهلاً لها وتستحقها -
لوجب حينئذٍ سلوك طريق ممتنع وغير معقول من جميع الجهات • حتى
الشيطان نفسه لن يكلف أحداً ان يترك ويفرّ من تلك العظمة والكبرياء
اللائقة المستحقة الضرورية للدخول في هذا المحال الممتنع •

النقطة الثانية :

هناك دسيسة اخرى للشيطان هي :

« دفع الانسان الى عدم الاعتراف بتقصيره » • كي يسد عليه طريق
الاستغفار والاستعاذة ، مثيراً فيه أنانية النفس لتدافع كالمحامي عن ذاتها
وتنزهها عن كل نقص •

نعم ؛ ان نفساً تصفى الى الشيطان ، لا ترغب ان تنظر الى تقصيرها
وعيوبها • وحتى اذا رأتها فانها تؤولها بتأويلات عديدة ، كما قال الشاعر :
(وعين الرضا عن كل عيب كليلة ٠٠٠) فانها تنظر الى ذاتها
واعمالها بعين الرضا فلا ترى عيباً ، لذا لا تعترف بتقصيرها ، ومن ثم
لا تستغفر ولا تستعيز ، فتكون اضحوكة للشيطان • ولكن كيف يوثق

بهذه النفس الأمارة بالسوء ويعتمد عليها ، وقد ذكرها القرآن الكريم على لسان نبي عظيم (يوسف عليه السلام) : (وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) • فمن يتهم نفسه فسيرى عيوبها وتقصيرها • ومن اعترف بتقصير نفسه يستغفر ربه • ومن يستغفر ربه يستعذ به من الشيطان الرجيم • وعندها ينجو من شروره • وانه لتقصير اكبر الا يرى الانسان تقصيره نفسه ، وانه لنقص اعظم كذلك الا يرى نقصه • ومن يرى عيبه وتقصيره فقد انتفى عنه العيب ، حتى اذا ما اعترف يصبح مستحقاً للعفو •

النقطة الثالثة :

ان ما تفسد الحياة الاجتماعية للانسان الدسيسة الشيطانية الآتية :
• انه يحجب ويخفي بسيئة واحدة للمؤمن جميع حسناته •
والذين يلقون السمع الى هذا الكيد الشيطاني من غير المنصفين يعادون المؤمن • بينما الله سبحانه وتعالى ، عندما يزن اعمال المكلفين بميزانه الاكبر ، وبعدالته المطلقة يوم الحشر فانه يحكم من حيث رجحان الحسنات او السيئات • وحيث ان السيئات تتكون بسهولة ويسر ووسائلها كثيرة ، فان حسنة واحدة تذهب ذنوباً كثيرة •
فيجب اذن التعامل والقياس بمثل ميزان العدل الالهي في هذه الدنيا ، فان كانت حسنات شخص اكثر من سيئاته كميةً ونوعيةً فانه يستحق المحبة والاحترام وربما ينظر الى كثير من سيئاته بعين العفو والمغفرة والتجاوز لحسنة واحدة ذات نوعية خاصة •

ولكن الانسان ينسى ، بتلقين من الشيطان ، وبما يكمن من الظلم في جبلته ، مئات من حسنات أخيه المؤمن لأجل سيئة واحدة • فيبدأ بمعاداته ، فيدخل في الآثام • فكما ان وضع جناح ذبابة امام العين مباشرة يحجب رؤية جبل شامق ، فالحقد كذلك يجعل السيئة التي هي بحجم جناح الذبابة عظيمة تمنع رؤية حسنات كالجبل الشامخ ، فينسى الانسان

حينذاك ذكر الحسنات ، وبدأ بالعداء لأخيه المؤمن ، ويصبح عضواً
فاسداً ، وآلة للتدمير ، في حياة المؤمنين الاجتماعية •

فيا أيها الانسان المسكين ، المبتلى بدسائس للشيطان وكيد •
ان كنت ترغب في سلامة حياتك الدينية وحياتك الشخصية وحياتك
الاجتماعية وتطلب صحة الفكر ، واستقامة الرؤية ، وسلامة القلب ، فزن
أعمالك ، وخواطرك بموازين المحكمات القرآنية ، والسنة المحمدية
الشريفة ، واجعل رائدك ومرشدك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة •
وتضرع الى الله العلي القدير بقولك :
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ••

[الكلمة الحادية والعشرون - انقام الثاني]

الوسوسة وعلاجها

« وقل ربّ اعوذ بك من همزات الشياطين » . واعوذ بك ربّ ان
يجفرون » . (المؤمنون/ ٩٧ ، ٩٨)

ايها الاخ المبتلى بداء الوسوسة ؛ ليت شعري هل تعلم بماذا تشبه
وسوستك ؟ انها اشبه بالمصيبة ؛ تبدأ صغيرة ثم تكبر شيئاً فشيئاً على
مدى اهتمامك بها ، وبالعكس فانها تفنى وتزول باعمالك اياها . فهي تعظم
اذا استعظمتها ، وهي تصغر اذا استصغرتها انت ، واذا خفت منها داستك
بكابوسها الاسود ، ودوختك بالعلل ، واذا لم تخف هانت وخسست وتوارت .
فأنت ان لم تعرف حقيقتها استمرت واستقرت ، لكنك اذا عرفت
حقيقتها وسبرت غورها تلاشت كالسراب ، فهي تلويحات صور منعكسة !
فما دام الامر هكذا ، وما دامت مصيبة « الوسوسة » هذه كثيرة
الاقسام ، فما أنذا سأشرح لك منها خمس صور ووجوه من وجوهها
وصورها التي لا يحصرها العد . عسى ان يكون بيانها - بعون الله الذي
لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء - شفاءً لصدورنا نحن كلىنا ،
وما ذلك على الله بعزيز .

ذلك لان الجهل مجلبة للوساوس ، ولكن العلم على نقيضه طارد لها
ودافع لشرها . فاذا ما عرفت ما ولّت وأدبرت ، واذا ما جهلتها أقبلت ودنت .
الصورة الاولى :

ان الشيطان - لعنه الله - يلقي بشبهته - على حين غفلة - في القلب
ثم يراقب صداها في الاعماق ، فاذا انكرها القلب يقظ الوعي انقلبت من
« الشبهة » الى « الشتم والسب » فيتراءى له ما يشبه الشتم من قبيح
الخواطر السيئة والهواجس المنافية للاداب المضروبة بين الله والعبد .

مما يجعل ذلك القلب المسكين يئن تحت وطأة اليأس ويصرخ :- واحسرتاه
... وا مصيبتاه . فيظن الموسوس عندئذ ان قلبه آثم ، وانه قد اقترف
السيئات والآثام حيال ربه الكريم ، فينقذف في اتون نار ودوامة اضطراب
عظيمين مما يتركه ينفلت من عقال السكينة والطمأنينة ، ولذلك يحاول
بقلق زائد كاسح ان ينغمس في اغوار الغفلة .
اما دواء هذا الداء فهو :

- ايها المبتلي المقهور ! لا تخف ، ولا تضطرب ... واعلم ان ما مر
امام مرآة ذهنك ليس بشتم ولا بسبٍ ابدأ ، انما هو مجرد صور وخيالات
(فهل تنجس صورة الميتة في المرأة ؟ وهل تحرق صورة النار ؟ وهل تلدغ
صورة الحية ؟) .

واعلم كذلك ان تخيل الكفر ليس بكفر ، وان تخيل الشتم كذلك
ليس بشتم ، ومن المعلوم في البديهة المنطقية ، ان التخيل ليس بحكم .
ولكن الشتم حكم بلا شك .

فضلاً عن ذلك ان تلك الكلمات غير اللائقة لم تكن صادرة من ذات
ذات قلبك ابدأ ، ونستدل على ذلك بأن قلبك المكلوم نفسه يتحسر منها
ويتألم . ولعلها آتية من مثة شيطانية قريبة من شفاف القلب . ولذلك
يقتصر ضرر الوسوسة على ما يتوهمه المرء من ضرر ، اي ان ضرره القلبي
قاصر على ما نتوهمه نحن من اضرارها . ذلك لانه يتوهم خيالا - لا أساس
له - كانه حقيقة ، ومن ثم يتهم قلبه ، وينسب اليه من أعمال الشيطان
ما هو برىء منه ، فيظن ان همزات الشيطان هي من خواطر قلبه هو .
وقد يتصور اضراراً ومفاسد ما يقع فيها . وهذا هو ما يريده الشيطان
منه بالذات .

العمدة الثانية :-

عندما تنطلق المعاني من القلوب تنفذ في الاخيلة مجردة من الصور ،
وتكتسي الاشكال والصور هناك . ان الاخيلة تنسج دائماً - ولاسباب
معينة - نوعاً من الصور ، وتعرض ما تهتم به من الصور على الطريق ،

وعندما ترد المعاني يحاول الخيال ان يلبس او يعلق أو يلطخ أو يلقي عليها تلك الانسجة والغلات . ولكن اذا كانت المعاني نقية صافية ، والصور والانسجة قبيحة ملوثة ، فلن تكون ثمة ما يلبس من لبوس آنذاك ، وانما سيكون مجرد مس فقط ، فهنا يلتبس على الموسوس امر التماس فيظنه تلبساً وتلبساً ، فيقول في نفسه هاتفاً :

- يا ويلتاه !! لقد ترددي قابي في المهاي . وان هذه الدناءة والخساسة النفسية سوف تجعلني حتماً من المطرودين من رحمة الله !!
وهنا يستغل الشيطان الكفور هذا الوتر الحساس منه استغلالاً فظيماً فيمرر عليه بأصابعه القدرة ليقع بها أمانيه الخبيثة .

اما مرهم هذا الوتر الحساس المستغل ، وهذا الجرح العميق ؛ فهو:-
- ايها الاخ المسكين ، اصغ اليّ جيداً لأهمس في اذنيك ، ان الصلاة، كما انها لابد لها من طهارة حسية وبدنية ، فلا تضرها ولا تفسدها من بعد ذلك النجاسات المتجمعة في جوف الانسان ، كذلك لا تضر مجاورة الوسوس النجسة للمعاني المقدسة . وسأضرب لك مثلاً :

قد تكون احياناً متدبراً في آية من آيات الله ، واذا بأمرٍ مهيج من مرض يفاجئك أو تدافع الاخبثين يلجّ على خيالك بشدة . هنا لابد أن خيالك سينساق الى حيث الدواء في الحالة الاولى ، أو قضاء الحاجة في الحالة الثانية ناسجاً ما تقتضيه الخيالات الدنيئة . فتمر هذه الصور الخيالية السافلة من خلال تأملاتك العالية . . . دعها تمر . . وماذا في ذلك ؟! انه ليس ثمة ضرر ما ولا لؤة ولا خطورة . . الخطورة كل الخطورة هي في تركيز الفكر فيها ، وتوهم الضرر منها .

الصورة الثالثة :

هناك بعض علاقات خفية تسود بين الاشياء ، وربما توجد خيوط من الصلة حتى بين ما لا نتوقعه من الاشياء . وهذه الخيوط اما انها قائمة بذاتها ، أي انها حقيقية أو انها من نتائج الخيال والافكار التي ربطت هذه الخيوط ببعضها .

وهذا هو السر في توارد تخیلات سیئة احياناً عند النظر ملياً في
ما يخص الامور المقدسة . اذ أنه كما هو واضح في علم البيان « ان التناقض
الذي يكون سبباً للابتعاد في الخارج يكون مدعاة للقرب والتجاور في التصور
والخیال » . أي أن ما يجمع بين صورتی الشیئین المتناقضین لیس الا
الخیال ، ویطلق علی الخواطر الناتجة بهذه الوسيلة « تداعي الافكار » .

فمثلاً : بینما أنت تناجي ربك في الصلاة بخشوع وحرارة ، وحضور
قلب وسعادة واذ أنت مستغرق كلياً في تدبر آیات الله مستقبلاً الكعبة
المشرقة ، اذا بتداعي الافكار هذا يسوقك الى أمور تكاد السموات يتفطرن
منها ، وتهده الجبال هدأً وذلك من جراء تلك الخیالات المشیئة المخجلة !!
فاذا ما كنت يا اخا الايمان مبتلى بشرور تداعي الافكار هذه فاياك ان
تقلق أو تجزع ، وبالعكس يجب عليك أن تعود الى حالتك الطبيعية كلما
انتبهت لها ، بل لا تشغلن بالك فتقول :- أو آه انني مقصر جداً .

بل يجب أن تمر عليها مرّ الكرام ، كي لا تقوى تلك الوسواس
العابرة بتركيزك عليها ، وتكثيف اهتمامك بها . اذ كلما زاد اهتمامك بها
انقلبت عندك الى عادات وأمراض موهومة . ومن يدري ؟ فقد تلازمك كظلك
بلا انفكاك - والعياذ بالله - ولكن لا ٠٠ لا تخش شيئاً أبداً ٠٠٠ انه ليس
بمرض قلبي . لأن هذه الهواجس النفسية والنفثات الكريهة المقززة هي
في اغلب الحالات تتكون في نفوسنا رغماً عن ارادتنا، وهي لذلك غير محسوبة
علينا رحمة منه سبحانه الذي لا يكلف نفساً الاّ وسعها . وهي تكون شائعة
بالأخص لدى ذوي الامزجة الحادة ٠٠ أجل ان الشيطان ليتغلغل عميقاً مع
هذه الوسواس .

أما علاج هذا الداء فهو : انه لا مسؤولية في تداعي الافكار لانها
لا ارادية غالباً . ومن ثم فلا تسري طبيعة الافكار فيها بعضها مع بعض ،
ومن ثم فلا يضر بعضها بعضاً . اذ لا اختلاط ولا تماس فيه ، وانما هو
مجرد جوار ولا شيء بعد ذلك .

ولذلك تقول : كما ان مجاورة الملاك للشيطان في أمور قلبية، ومجاورة
الابرار للفجار ووجودهم مقربين في صعيد واحد ، لا بأس فيه ، ولا يضر
شيئاً ، كذلك تداخل الخواطر السيئة غير المقصودة مع الافكار الطاهرة
لا يضر في شيء .

ولكن الضرر كل الضرر هو عندما تكون تلك الخواطر مقصودة ، أو
أن تشغل بها نفسك كثيراً ، متوهماً ضررها بك ، فيرهق القلب ، ويشغل
الفكر دون جدوى عندئذ ينتهز الشيطان اللعين تلك الفرصة الثمينة
فيقدم الاخيلة الخبيثة بسخاء وينثرها هنا وهناك ، مصائد لحبات القلوب
الوديعة الطاهرة الطيبة .

الصورة الرابعة :

هي نوع من الوسوسة الناشئة من التشدد المفرط عند التحري للقيم
بالاعمال على وجهها الاكمل الا تم . فكلما زاد في التشدد هذا بأسم الورع
والتقوى ازداد الامر سوءاً وتعقيداً ، حتى ليوشك أن يقع في الحرام في الوقت
الذي يبتغي الوجه الاول والاكمل في الاعمال المصالحة .

هذا وما اكثر ما يترك « الواجب » بسبب من تحريره المعوج عن
« السنة » !! ويسأل نفسه بنفسه دائماً عن مدى صحة عمله وقبوله فترام
لذلك يعيده تكراراً حتى يطول به الامر فييأس أخيراً ويترك الشيطان
يستفيد منه ، فيرميه بسهامه المسمومة في الصميم ، ويجرحه في الاعماق . .

ولهذا الجرح عندنا دواءان :-

الدواء الاول : أعلم ان أمثال هذه الوسوس لا تليق بتاتاً إلا بأهل
الاعتزال لانهم كانوا يقولون : أن افعال المكلفين من حيث الجزاء الاخروي
حسنة أو قبيحة في ذات نفسها ، ثم يأتي الشرع فيقرر ان هذا حسن وهذا
قبيح . اي أن الحسن والقبح أمران ذاتيان موجودان في طبيعة الاشياء ،
حسب الجزاء الاخروي ، أما الاوامر والنواهي فهي تابعة لذلك ، ولاقرارها .
ولذلك فان طبيعة هذا المذهب تؤدي بالانسان الى ان يستفسر دائماً ، وفي

كل أعماله •

نرى هل تم عملي على أكمل وجه مرضي ؛ من حيث هو أم لا ؟
أما نحن اصحاب الحق من أهل السنة والجماعة فنقول : بل ان الله سبحانه وتعالى يأمر بشيء فيكون « الشيء » حسناً وينهى عن شيء فيكون الشيء قبيحاً • فبالامر والنهي يتحقق الحسن والقبح معاً • أي أن الحسن والقبح يتقرران من وجهة نظر المكلف، ويتعلقان بحسب خواتيمها في الآخرة دون النظر اليها في الدنيا • فمثلاً :

لو توضأت أو صليت • وكان هناك شيء ما خفي عليك ما يفسد صلاتك أو وضوءك دون اطلاعك عليه ، فستعتبر صلاتك ووضوءك في هذه الحالة كلاهما صحيحان ، وحسنان ، في آن واحد •

وعند المعتزلة : انهما قبيحان وفاسدان ولكنهما مقبولان منك لجهلك ، ولما كان الجهل عذراً فانت في ذلك معذور •

وهكذا ايها الاخ المبتلى ، فأخذاً بمذهب أهل السنة والجماعة يكون عملك صحيحاً لا غبار عليه نظراً لموافقه ظاهر الشرع ، وإياك أن توسوس ، اذن ، في صحة عملك قط •• ولكن إياك أن تغتر بها ايضاً ، لانك لا تعلم علم اليقين ، هل هي مقبولة عند الله أم لا ؟ •• ولكنك ترجو ، وتخاف ، وهذا هو مقامك في التقوى ، ما دمت صاحباً واعياً ••

المساء الثاني: اعلم أن الاسلام دين الله الحق، وانه «لا حرج في الدين» كذلك، وما دام ادراك التقصير يتلافى بالاستغفار والذي هو أثقل ميزاناً من الغرور الناتج من الاعجاب بالأعمال الصالحة • ذلك لئن يرى الانسان نفسه مقصراً في عمله فيستغفر ، خير" له الف مرة من أن يغتر اعجاباً بعمله •

نعم ، فما دام الامر هكذا ، كما قلنا ، فأطرح الوسواس اذن ، واعرخ في وجه الشيطان :

– يا ملعون ، ان هذا الحال حرج ، وان الاطلاع على حقيقة الاحوال امر صعب جداً • لا بل ينافي اليسر في الدين ، ويخالف كلياً قاعدة

« لا حرج الدين » و « الدين يسر » • وبناء على ما سبق ، عد الى نفسك
وخاطبها بيقين قائلًا :

– يا نفسي الساذجة المخلوعة بالأعيب الشيطان ، ان عملي هذا لا بد
انه سيوافق مذهباً من المذاهب الاسلامية الحقّة ان شاء الله ، وانه لكفاني
هذا وسيلة طيبة بأن جعلتني القي بنفسي بين يدي خالقي ومولاي ساجداً
متضرعاً اطلب المغفرة ، واعترف بتقصيري في العمل والعبادات ••• انه هو
السميع البصير •

الصورة الخامسة :

الوساوس التي تتقمص اشكال الشبهات في قضايا الايمان •
أيها الموسوس المحترار :

كثيراً ما تلتبس عليك خلجات الخيال فتظنها منك ، ومن بنات
عقلك ••• ان الشبهات التي تنتاب خيالك انما هي هواجس فحسب ،
وليست بحالٍ من لاحوال من بنات فكرك ، ولا من شبهات عقلك البتة ،
فتعتقد انها مما تزلزل قلبك وتزعزع ايمانك وتفقد ثقتك !!

وقد يظن الموسوس احياناً أخرى ، ان الشبهة التي يتوهمها ، انما هي
شك يضرّ بايمانه ، وقد يظن تارة أخرى ان ما يتصوره من رؤى الشبهات
كأن قد صدقه عقله ، وربما يحسب ثالثة ان كل تفكير في قضايا الكفر
كفرًا ؛ اي انه يحسب أن كل تنقيب وتمحيص ، وأن كل متابعة فكرية
ومحاكمة عقلية محايدة من قبيل اسباب الضلالات • وهكذا
يرتعش ، ويرتجف ، ويسقط ، وينهار أمام تبار هذه الظنون ، وهذه
التلقينات الشيطانية الماكرة ، فيروح يصرخ •

– وا ويلاه !! لقد ضاع قلبي وفسد ، وحر اعتقادي واختل • فماذا
أعمل يا رب !! وكيف السبيل الى عودة العافية والسكينة مرة أخرى ؟
وبما أنه لا يستطيع أن يصلح تلك الاحوال غير الارادية – في الغالب –
بارادته الجزئية فحينئذ يتردى في هاوية اليأس القاتل – معاذ الله •

أما العلاج لهذا ، فهو :- اعلم ان توهم الكفر ليس بكفر ، تماماً كما ان تخيل الكفر ليس بكفر ، وهكذا فقس :

فان تصور الضلالة ليس بضلالة ، مثلما ان التفكير في الضلالة ليس بضلالة ، ذلك لان التخيل والتوهم ، والتصور ، والتفكر ، كل اولئك متباين ومتغاير كلياً وجذرياً عن التصديق بالعقل والاذعان بالقلب .

والحقيقة : ان التخيل والتوهم والتصور والتفكر ، أمور حرة طليقة نوعاً ما . لذلك فهي لا تحفل بالجزء الاختياري المنبثق عن ارادة الانسان ، ولا ترضخ كثيراً تحت التبعات الدينية .

ولكن التصديق والاذعان ليسا كذلك ، انهما خاضعان لميزان دقيق ، ولان كلاً من التخيل والتوهم والتصور والتفكر ليس بتصديق واذعان فهو اذن لا يعدّ حتى شبهة بل ولا تردداً .

ولكن احذر ، فانه اذا تكررت هذه الحالة - من دون اسباب - فمن الممكن أن تستقر في قرارة النفس ، وهي اذا استقرت - لا سمح الله - ففقد يتمخض عنها لون من الشبهات ، وهنا قد ينزلق رويداً رويداً الى التزام « الطرف المخالف » باسم المحاكمات العقلية الحيادية ، والانصاف ، وما شابه ! . وعندها يتصل نهائياً من الالتزامات الواجبة عليه بالضرورة والعقل والفطرة ، تجاه الحق . فيصبح هذا المظلوم الظالم على شفا جرف هاز من الكفر والضلال . اذ تتقرر في ذهنه حالة هي أشبه ما تكون وكأنه مفوض ومخول لا من سلطان عقله وحريته وأرادته ، بل من الطرف المخالف؛ أي الخصم أو الشيطان المتربص الذي يتلصص بخائنة الاعين .

ولعل أهم نوع من هذه الوسوسة الخطيرة هو :

ان الموسوس الحيران يلتبس عليه « الممكن الذاتي » و « الممكن الذهني » أي أنه يتوهم بنهه ويشك بعقله ما يراه ممكناً في ذاته . علماً بأن هنالك « قاعدة كلامية » في علم المنطق تنص على : أن « الممكن الذاتي » لا ينافي « اليقين العلمي » . ومن ثم فلا تعارض ولا تضاد بينهما وبين

الضرورات الذهنية وبديياتها . ولتوضيح ذلك نسوق اليك هذا المثال البسيط -
من الممكن جداً ان يغور البحر الاسود ، وهذا شيء محتمل وهو من
« الممكنات » ولكننا الآن نحكم قطعاً بوجود البحر المذكور وفي موقعه الحالي
من جغرافية العالم ، ولا نشك في ذلك مقدار شعرة . اليس كذلك ؟
اذن فالاحتمال « الممكن » ذاك « والممكن الذاتي » كلاهما لا يولدان
لدينا شبهة ولا شكاً ، بل لا يخلان بيقيننا أبداً .

ومثال آخر : أن الشمس من الممكن الا تغيب اليوم ، ومن الممكن
كذلك الا تشرق غدا !! الا أن هذا « الممكن » لا يخل بيقيننا في أي حال من
الاحوال ، ولا يطرأ أصغر شبهة عليه . . وهكذا بالنسبة للعالم والآخرة ،
فان مثلهما كمثل الشمس في غروبها والشمس في شروقها . اذ لابد أن يكون
للعالم هذه من غروب . . ولابد كذلك للحياة الاخرى من شروق ، سواء
بسواء . وكل الاحتمالات الممكنة - مهما كانت ، وكيفما صارت - فهي لا تولد
فينا شكوكاً أو شبهات في ايماننا اليقيني الثابت في حقيقة (فناء الدنيا)
وحقيقة [قيام الآخرة] يوماً ما . وهنا نورد لك كذلك القاعدة الاصولية
المشهورة في الدين والفقه التي تقول بعبارة واضحة هادئة حاسمة ، قاطعة
على الظنون والشكوك والاهام جميعها ، لتكون الحكم الفصل في هذه القضية
قبل الختام وهي : « لا اعتبار لاحتمال غير الناشئ عن الدليل » .

ولرب سائل يسأل : ترى ما الحكمة من ابتلاء المؤمنين بهذه الوسوس
المرعبة للنفس والمؤلة للقلب ؟!

الجواب : اننا في الحقيقة اذا ما نحينا الافراط والغلبة جانباً فان
الوسوسة ، عندئذٍ ، نراها تكون لنا باذن الله :

حافزة قوية لليقين ، ودعاية مشوقة الى البحث والتحري ، ووسيلة
مفيدة الى الجدية ، ومطرده بارعة لعدم المبالاة ، ودافعة مخلصه للتهاون . .
ولاجل ذلك كله ، اعطى العليم الحكيم سياط الوسوسة - في دار الامتحان
هذه وميدان السباق هذا - بيد الشيطان كي يسوق الى تلك الحكم ، واذا
ما افترط في الاذى ، فررنا اليه وحده سبحانه مستصرخين اياه كما علمنا
هو ب : فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

[ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة]

التجارة الربوية

اذا اردت ايها المؤمن ان تعلم كم هي تجارة رابحة ، ومرتبة مشرفة ودرجة عالية ، ذاك الذي يبيع ماله ونفسه الى الله تعالى ، ويتشرف فيكون عبداً وجندياً له ، فانصتْ اذن الى هذه الحكاية القصيرة .

وضع أحد السلاطين عند اثنين من رعاياه مزرعة كبيرة وديعة وأمانة وكان في هذه المزرعة كل شيء من مكائن وآلات ومصانع واسلحة وحيوانات وغيرها ، ووافق ان كان الوقت آنذاك وقت حرب طاحنة تدمر كل شيء وتجعله أثراً بعد عين . مما كان بسبب اضطراباً شديداً وضيقاً لكل شيء تبديلاً أو تدميراً .

من أجل ذلك أرسل السلطان العظيم - رحمة منه - أحد رجاله المقربين المعتمدين مصحوباً بأمره الكريم ليقول لهما :

بيعوا لي ما لديكم من أمانتي لكي احفظها لكم ، فلا تذهب هباءً في هذا الوقت العصيب وسأردّها اليكم ، حينما تضع الحرب أوزارها ، بأجمل صورة وأحسن شكل .

وكان الامانة هي ملككم فسأوفي ثمنها لكم غالياً .
وسأشغل المكائن والآلات التي في حوزتكم في معاملي بأسمي وعهدي ، ولا بد ان سترتفع ائمانها واحداً بآلف ، فضلاً عن أن جميع الارباح ستكون لكم أيضاً .

وسأتعهد عنكم بجميع تكاليفها ومصاريفها ، ذلك لانكم عاجزون فقراء معدمين لا تتحملون مصاريف تلك المكائن .

وسأردّ لكم جميع وارداتها ومنافعها علماً أنّي سأبقيها عندكم لكي تستفيدوا منها وتتمتعوا بها الى أن يحين وقت أخذها .

فتلك خمس مراتب من الارباح في صفقة واحدة .
وان رفضتم بيعها فانها بلاشك ستزول وتذهب من ايديكم ، فكما
ترون لا يتمكن احد أن يحتفظ بها عنده ، ومن ثم فستذهب هباءً .
وستحرمون من تلك الاثمان الغالية .
وستهمل تلك الآلات الدقيقة النفيسة والموازين الحساسة والمعادن
الثمينة لعدم استعمالها في اعمال راقية وتفقد كل قيمتها لعدم وجود موادها
الاولية الخاصة بها .

وستتحملون ادارتها وتكاليفها انتم وحدكم .
وسترون جزاء خيانتكم للامانة .
فتلك خمس خسائر في صفقة واحدة .
وفوق هذا كله ، ان الذي يبيع ، يصبح جندياً حراً أبيضاً خاصاً بي .
فيتصرف باسمي ، وليس أسيراً عادياً وشخصاً سائباً .
فانصت الرجلان ملياً الى هذا الكلام الطيب والامر السلطاني البليغ .
فقال احدهما - وهو العاقل الرزين - سمعا وطاعة لأمر السلطان ، فقد
رضيت بالبيع فخوراً مع ألف شكر . اما الآخر - وهو المعجب بنفسه -
المتفرعن ظن أن مزرعته لا تبديد أبداً ، غافلاً عن تقلبات الدهر واضطراب
الدنيا فقال :-

لا .. ومن هذا السلطان ؟ فانا لا أبيع ملكي ولا اعكر صفو نشوتي ..
ودارت دورة الزمان .. فأصبح الرجل الأول في مقام يقبضه الناس
جميعاً ، اذ اضحى يعيش في بحبوحة قصر السلطان . يتنعم بالطافه ويتقلب
على أرائك افضاله ..

أما الآخر فقد ابتلى بشرّ بلاء وحالت عليه أحوال يرثي لها ، رغم
انه يستحقها ، اذ هو الذي ورط نفسه في هذا الدرك الاسفل من التعاسة
والشقاء . فلا دامت له نشوته ولا دام له ملكه بل جوزي بمرارة العذاب
جزاءً وفاقاً .

فيا نفسي المغرورة !!

• انظري من خلال هذه الحكاية الى وجه الحقيقة الناصعة •

فالسُلطان هو سلطان الازل والابد وهو ربك وخالقك !!

والمزرعة والمكائن والآلات هي كل ما في الحياة الدنيا من جسم وروح وقلب وما فيها من سمع وبصر وعقل وخيال ، أي جميع الحواس الظاهرة والباطنة • وأما الرسول الكريم فهو « سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » • وأما الامر السلطاني المحكم فهو القرآن الكريم الذي يعلن ما نحن بصدده من البيع والتجارة في هذه الآية :

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ » •
(التوبة / ١١١) .

وأما الميدان المضطرب والحرب المدمرة فهي أحوال هذه الدنيا ، اذ لا قرار فيها ولا ثبات وكلها تقلبات تلجّ على فكر الانسان بهذا السُرّال: انّ جميع ما نملك لا يستقر ولا يبقى في أيدينا ، بل يذهب ويفنى ويغيب عنا • أليس هناك من علاج ووقاية لهذا ؟ ألا يمكن أن يحل البقاء بهذا الفناء !!؟

وبينما الانسان غارق في هذا التفكير ، اذا به يسمع صدى القرآن السماوي يدوّي في الآفاق جيلاً بعد جيل : [انّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة] •

فهنا العلاج •• هنا العلاج المريح اللطيف ••• بل هنا الربح العظيم • فان الذي يبيع تلك الامانة الى مالِكها الحقيقي يربح ربحاً عظيماً في خمس درجات :

أولاً : ان المال الذي يفنى يصبح باقياً • فاذا أعطى العمر الزائل وصرف في سبيل الحي القيوم فانه ينقلب الى عمر أبدي خالد باق • وسيثمر ثماراً طيبة يانعة خالدة • حتى دقائق وساعات العمر التي تفنى كالبنور تفتتح بزوالها في عالم البقاء والخلود ، أزاهير السعادة وتثمر وتتحول الى مناظر وضاعة جذابة مؤنسة في عالم البرزخ •

الربيع الثاني : الثمن : الجنة •

الربيع الثالث : ان كل عضو وحاسة يرتفع ويقلو ثمنه من الواحدة

الى الألف •

فمثلا : العقل عضو وآلة ان لم تبعه الله وتجعله في سبيله واستعملته بدل ذلك في سبيل الهوى والنفس ، فانه يتحول الى عضو مشؤوم مزعج وعاجز ، اذ يحمل الانسان كل الآلام الحزينة للماضي وجميع الأحوال المخيفة للمستقبل ، فينحدر عندئذ الى درك آلة مضرّة مشؤومة ، وهذا هو السبب في انهزام الرجل الفاسق وهروبه غالباً من واقع حياته الى السكر والانغماس في اللهو انقاداً لنفسه من ازعاجات عقله •

ولكن ، اذا بيع العقل الى الله واستعمل في سبيله ولأجله ، فانه يكون عندئذ مفتاحاً رائعاً لفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الالهية ، وكنوز الحكمة الربانية • فايضا ينظر ويفكر يرى الحكمة الالهية في كل خلق ، وكل موجود ، وكل حادثة • ويرى الرحمة الالهية متجلية على الوجود فيرقى العقل بذلك الى مرتبة مرشد رباني يهيء صاحبه للسعادة الأبدية •

ومثلا : العين وهي احدى الحواس ، وهي نافذة تطل الروح من خلالها على هذا العالم • ان لم تستعمل في سبيل الله ، واستعملت لأجل النفس والهوى فانها بمشاهدتها لبعض المناظر الجميلة المؤقتة الزائلة تصبح في درك الخادمة السمسارة الدنيئة لاثارة شهوات النفس والهوى • وان بعثها الى خالقها وبارئها واستعملتها فيما يرضيه ولأجله وفي سبيله ؛ عندئذ تكون هذه العين : قارئة ومطالعة لكتاب الكون الكبير هذا ، ومشاهدة لمعجزات الصنعة الربانية في الوجود ، فترقى الى درجات مباركة فتكون كالنحلة بين ازاهير الرحمة الالهية في بستان الأرض فتقطر من شهد العبرة والمعرفة والمحبة نور الشهادة الى القلب المؤمن •

ومثلا : ان لم تبع حاسة الذوق الى فاطرها الحكيم واستعملتها لأجل

المعدة ، والنفس فحينئذ تهوي وتهبط الى درك بواب معمل المعدة واصطبيلها •
ولكن ان بعثها الى الرزاق الكريم ، عندها ترقى هذه الحاسة الى درجة ناظر
ماهر لخزائن الرحمة الالهية ومفتش شاكرا لانعم القدرة الصمدانية •••
وهكذا •

فيا أيها العاقل : أفق ، أين الآلة المشؤومة من مفتاح كنوز الكون ؟
ويا ايها العين : أبصري جيداً اين السمسة الدنيئة من الامعان في
المكتبة الالهية •••

ويا أيها اللسان !! ذق بحلاوة • اين بواب المعمل والاصطبل من ناظر
خزينة الرحمة الالهية ؟! وان شئت فقس بقية الأعضاء والحواس على هذا ،
عندها تفهم : ان المؤمن حقاً يكسب خاصية تليق بالجنة • كما ان الكافر
يكتسب ماهية توافق جهنم • وما جزاء كل منهما الا لان المؤمن بايمانه قد
استعمل امانة خالقه باسمه سبحانه وضمن دائرة مرضاته • وان الكافر قد
خان الامانة فاستعملها لهواه ولنفسه الامارة بالسوء •

الربح الرابع : ان الانسان ضعيف ومصابه كثيرة ، وفقير وحاجاته
في ازدياد ، وعاجز وتكاليف عيشه مرهقة •
فان لم يتوكل على العلي القدير ، ويعتمد عليه مسلماً اليه اموره
فسيبقى وجدانه في عذاب دائم ، وتخنقه آلامه وحسراته وكدحه العقيم ، او
يحوله الى مجرم أو سكير مزمن •

الربح الخامس : انه من المتفق عليه اجماعاً بين اهل الاختصاص
والشهود والذوق والكشف أن تلك العبادات والاذكار والتسبيحات التي
قامت بها الأعضاء عندما تعمل ضمن مرضاته سبحانه ، تتحول الى صور
ثمار طيبة لذينة في الجنة وتقدم اليك في وقت أنت في أمس الحاجة اليها •
وهكذا ان لم تقم بهذه التجارة المربحة فستحرم من هذه الارباح
جميعها وستخسر خمس خسارات اخرى هي :

الخسارة الاولى :- ان كل ما تعشقه وتحبه من مال وأولاد ونفس

وحياة وشباب سينفد ويزول مخلفاً ائمه وآلامه مثقلاً به ظهره .

الخسارة الثانية :- ان العقاب لابد منه لكل من يخون الأمانة ، فانك قد ظلمت نفسك باستعمالك ائمن الآلات والأعضاء في أخس الأعمال .

الخسارة الثالثة : لقد افتريت وجنيت على الحكمة الالهية . اذ اسقطت جميع تلك الأجهزة الانسانية الغالية الرائعة الى دركات الأنعام بل أضل .

الخسارة الرابعة :- ستدعو بالويل والشبور دائماً وتئن من صدمة الفراق والزوال ووطاة تكاليف الحياة التي أرهقت بها كاهلك الضعيف مع أن ففرك قائم وعجزك دائم .

الخسارة الخامسة :- ان هدايا الرحمن الجميلة كالعقل والقلب والعين وما شابهها ، ما وهبت لك الا لتهينك لفتح أبواب السعادة الأبدية ، ولكنها تتحول الى صورة مؤلة حيث تفتح لك ابواب جهنم .

والآن . . . سننظر الى البيع هذا . . . فهل أنه ثقیل ومتعب بحيث لا يدنو منه الكثيرون ؟!

كلا ثم كلا . . . فلا ثقل فيه أبداً . لأن دائرة الحلال واسعة فسيحة . . . وتكفي للراحة والسعادة والسرور . فلا تبقى حاجة إطلاقاً للولوج في الحرام .

أما الفرائض الالهية فهي كذلك خفيفة وقليلة ، وان العبودية لله سبحانه وشرف الجندي في سبيله لذيذ ومشرف ما لا يكاد وصفه وتعريفه . والواجب هو : ان تكون ذلك الجندي فتبدأ باسم الله ، وتعمل باسمه ، وتأخذ وتمطي في سبيله ولأجله . . . وتحرك وتسكن ضمن دائرة مرضاته وأوامره . . . وان كان هناك تقصير فأمامك باب « الاستغفار » فتضرع اليه وقل : اللهم اغفر لنا خطايانا ، واقبلنا في عبادك ، واجعلنا أمناء على ما أمنت عندنا الى يوم لقائك . . آمين .

سِرُّ الْوُجُودِ

أيها الأخ : ان كنت تريد أن تفهم شيئاً من اسرار حكمة العالم
وطلسمه ، ولغز خلق الانسان ورموز حقيقة الصلاة فتأمل في هذه الحكاية
القصيرة :

كان في زمان ما سلطان له ثروات طائلة وخزائن هائلة تحوي جميع
أنواع الجواهر والماس والزمرد ، مع دفائن خفية أخرى عجيبة جداً • وكان
صاحب علم واسع جداً ، واحاطة تامة ، واطلاع شامل بالعلوم البديعة التي
لا تحد مع مهارات فائقة وبدائع الصنعة •

وحيث ان كل ذي جمال وكمال يجب أن يشهد ويشاهد جماله
وكماله ، كذلك هذا السلطان العظيم ، أراد أن يفتح معرضاً هائلاً لعرض
مصنوعاته الدقيقة كي يلفت أنظار رعيته الى أبهة سلطنته ، وعظمة ثروته
بما يظهر لهم من خوارق صنعته الدقيقة وعجائب معرفته وغرائبها ،
فيشاهد جماله وكماله المعنويين على وجهين : الاول : أن يرى بنظره البصير
الناقب الدقيق ، والثاني : ان يرى معروضاته بنظر الآخرين •

ولاجل هذه الحكمة بدأ هذا السلطان بتشبيد قصر فخم شامخ جداً ،
وقسمه بشكل بارع الى منازل ودوائر مزينة كل قسم بعرضات خزائنه
المتنوعة ، وجمله بما عملت يده من الطف آثار ابداعه وأجملها ، ونظمه
ونسقه بأدق دقائق فنون علمه وحكمته ، فجهزه وحسنه بالآثار المعجزة
لخوارق عمله •

وبعد أن أتمه وكمله ، أقام في القصر موائد فاخرة بهيجة تضم جميع
أنواع أطعمته اللذيذة ، وأفضل نعمه الثمينة ، مخصصاً لكل طائفة ما يليق

بها ويوافقها من الموائد ، فأعد بذلك ضيافة فاخرة عامة ، مظهراً سخاءاً وكرماً لم يشهد له مثيل ، بما ملأ تلك الموائد من لطائف الصنعة الدقيقة وآثارها وبما مد عليها من النعم الغالية التي لا تحصى .

ثم دعا أهالي أقطار مملكته ، ورعاياه ، للتفرج والتنزه والضيافة ، وعلم كبير رسل القصر المكرمين ما في هذا القصر العظيم من حكم رائعة ، وما في جوانبه ومشمولاته من معان دقيقة ، مخصصاً إياه معلماً رائداً واستاذاً بارعاً على رعيته ، ليعلم عظمة الذي بنى القصر وصنع ما فيه من نقوش بديعة موزونة ، ومعرفاً لكل من يدخله رموزه وما تعنيه هذه المرصعات المنتظمة والاشارات الدقيقة التي فيه ، ومدى دلالتها على عظمة صاحب القصر وكمال الفائق ومهارته الدقيقة . ويبين أيضاً للداخلين القصر تعليمات مراسيم التشریفات بما في ذلك آداب الدخول والتجول ، وأصول السير ، وفق ما يرضي السلطان الذي لا يرى الا من وراء حجاب .

وكان هذا المعلم الخبير يتوسط تلامذته في أوسع دائرة من دوائر القصر الضخم وكان مساعده منتشرين في كل من الدوائر الاخرى للقصر . بدأ المعلم هذا بالقاء توجيهاته قائلاً :

أيها الناس ان سيدنا مالك هذا القصر الواسع البديع ، قد قصد ببنائه هذا أن يعرف نفسه اليكم بما ترونه أمام أعينكم من مظاهر ذات بهجة ، فما عليكم الا السعي الدائب لمعرفة جيداً .

وانه بهذه التزيينات الجمالية ، يريد أن يحبب نفسه اليكم ، فحببوا أنفسكم اليه ، باستحسانكم أعماله وتقديركم لصنعه .

وأنه يتودد اليكم ويريككم محبته بما يسبغه عليكم من آلائه ونعمه وأفضاله فأحبوه كذلك بحسن اصغائكم لاوامره وبطاعتكم إياه .

وانه يظهر لكم شفقتة ورحمته بهذا الاكرام والاغداق من النعم فقابلوه أنتم كذلك بالشكر والتعظيم والتوقير .

وانه يريد أن يظهر لكم جماله المعنوي بآثار كماله في هذه المصنوعات

الجميلة الكاملة فاطهروا أنتم شوقكم ولهفتكم للقاءه ورؤيته ، ونيل رضاه .
وانه يريد منكم أن تعرفوا : أنه السلطان المتفرد بالحاكمة
والاستقلال ، بما ترون من شعاره الخاص ، وخاتمه المخصص ، وطرته التي
لا تقلد على جميع المصنوعات . فكل شيء يعود اليه ، وخاص به ، صادر
من يد قدرته . فعليكم أن تدركوا جيداً ، ان لا سلطان ولا حاكم الا هو .
فهو السلطان الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا مثيل .

كان هذا المعلم الكبير يخاطب الداخلين للقصر والمتفرجين ، بمثل هذا
الكلام الذي يناسب مقام السلطان وعظمته واحسانه .

ثم ان المشاهدين الذين دخلوا القصر قد انقسموا الى فريقين :
الفريق الاول : وهم ذوو العقول النيرة . والقلوب الصافية الساكنة
المدركون قدر أنفسهم ، فحيثما يتجولون - في آفاق هذا القصر العظيم -
ويسرحون بنظرهم الى عجائبه يقولون : لابد أن في هذا أمراً عظيماً !!
ولابد أن وراءه غاية سامية ! . فعلموا ان ليس هناك عبث ، وليس هو
بلعب ، ولا هو بلهو صبياني ومن حيرتهم بدأوا يقولون :

ياترى أين يكمن حل لغز القصر ، وما الحكمة في ما شاهدناه ونشاهدناه ؟
وبينما هم يتأملون ويتحاورون في الامر ، اذا بهم يسمعون صوت
خطبة بليغة وبيانات رائعة من ذلك الاستاذ العارف . فعلموا ان لديه مفاتيح
جميع الاسرار وحل جميع الالغاز ، فاقبلوا اليه مسرعين :-

- السلام عليكم أيها الاستاذ . ان مثل هذا القصر الباذخ ينبغي أن
يكون له عرّيفاً صادقاً ، ومدققاً أميناً مثلك ، فالرجاء أن تعلمنا مما علم
سيدنا العظيم .

فذكرهم الاستاذ بخطبته الآتفة الذكر ، فاستمعوا اليه خاشعين ،
وتقبلوا كلامه بكل رضى وطمأنينة ، فغنموا أيما غنيمة ، اذ عملوا ضمن
ناثرة مرضاة سلطانهم فرضي عنهم السلطان بما أبدوا من رضى وسرور
لاوامره . فدعاهم الى قصر أعظم وأرقى يكاد لا يمكن وصفه ، وأكرمهم

بسعادة أبدية فيه ، بما يليق بالمالك الجواد الكريم ، وتلائم هؤلاء الضيوف الكرام المتأدبين ، وحرى بهؤلاء المطيعين المنقادين للاوامر .
أما الفريق الآخر : وهم الذين قد فسدت عقولهم ، وانطفأت جذوة قلوبهم ، فما أن دخلوا القصر ، حتى غنبت عليهم شهواتهم ، فلم يعودوا يلتفتوا الا لما تشتهيهم أنفسهم من الاطعمة اللذيذة ، صارفين أبصارهم عن جميع تلك المحاسن ، سادّين آذانهم عن جميع تلك الارشادات الصادرة من ذلك المعلم العظيم ، وتوجيهات تلاميذه .

فأقبلوا على المأكولات بشراسة ونهم ، كالحيوانات ، فاطبقت عليهم الغفلة والهوى وغشيهما السكر ، حتى فقدوا أنفسهم لكثرة ما أفرطوا في الاكل والشرب ، فبدأوا بالعريضة والمجون وازعاج للضيوف الآخرين .
فأساموا الادب مع قوانين السلطان المعظم وانظمته ، لذا أخذهم جنوده وساقوهم الى سجن رهيب لينالوا عقابهم الحق ، جزاء وفاقا على ما عملوا من سوء الخلق ، وخرق لابسط آداب الضيافة .

فيا من ينصت معي الى هذه الحكاية ؛ لابد انك قد فهمت ان ذلك السلطان قد بنى هذا القصر الشامخ لاجل تلك المقاصد المذكورة ، فحصول تلك المقاصد يتوقف على أمرين :-

١ - وجود ذلك المعلم الاستاذ الذى شاهدناه وسمعنا خطابه ، اذ لولاه لذهبت تلك المقاصد هباءا منثورا ، ولغدا القصر كالكتاب المبهم الذى لا يفهم معناه ، حيث لا معلم يشرحه ، ولا استاذ يبينه ، فيظل مجرد أوراق تطاير معناها ! .

٢ - اصفاء الناس الى كلام ذلك المعلم ، وتقبلهم له . بمعنى ان وجود الاستاذ مدعاة لوجود القصر . واستماع الناس اليه سبب لبقاء القصر ، لذا يمكن القول : لم يكن السلطان العظيم ليبنى هذا القصر لولا هذا الاستاذ ، وكذا يمكن القول : حينما يصبح الناس لا يصغون اليه ولا يلقون بالا الى كلامه ، فسيغير السلطان ويبدل هذا القصر .

الى هنا انتهت القصة يا صديقي . فان كنت قد فهمت سر الحكاية ،
فانظر من خلاله الى وجه الحقيقة :

اجل ! ان ذلك القصر هو هذا العالم ، المسقف بهذه السماء المتلألئة
بالنجوم المتبسمة ، والمبلط بهذه الارض المزينة من الشرق الى الغرب -
بالازهار المتجددة كل يوم .

وذلك السلطان العظيم ، هو الله سبحانه وتعالى سلطان الازل والابد
الملك القدوس ذو الجلال والاکرام الذي (تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن) حيث أن (كل قد علم صلاته وتسبيحه) .
وهو القدير (الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على
العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بأمره) .

أما منازل ذلك القصر فهي ثمانية عشر ألفاً من العوالم التي تزينت
كل منها وانتظمت بما يلائمها من مخلوقات .

اما الصنائع الغريبة في ذلك القصر فهي معجزات القدرة الالهية
الظاهر في عالمنا لكل ذى بصر وبصيرة .
وما تراه من الاطعمة اللذيذة التي فيه ، هي علامات الرحمة الالهية
من الاثمار والفواكه البديعة التي تشاهد بكل وضوح في جميع مواسم السنة
وخاصة في الصيف وبالأخص في بساتين (بارلا) .

ومطبخ هذا القصر هو سطح الارض وقلبها الذي يتقد ناراً .

وما رأيته في الحكاية من الجواهر في تلك الكنوز الدفينة هي في الواقع
امثلة لتجليات الاسماء الحسنی المقدسة .

وما رأيناه من النقوش ورموزها هي هذه المخلوقات المزينة المنتظمة
للعالم التي هي نقوش موزونة لقلم القدرة الدالة على اسماء القدير ذي
الجلال .

اما ذلك المعلم الاستاذ فهو سيدنا ، وسيد الكونين محمد عليه الصلاة والسلام ، ومساعدوه هم الانبياء عليهم السلام ، وتلاميذه هم الاولياء الصالحون ، والعلماء الاصفياء ؛

اما خدام السلطان العظيم فهم الملائكة عليهم السلام في هذا العالم .
وأما جميع من دُعوا الى دار ضيافة الدنيا فهم اشارة الى الانس والجن .
وما يخدم الانسان من حيوانات وأنعام .
وأما الغريقان :

فالأول : هم اهل الايمان الذين يتتلمذون على مائدة القرآن الكريم الذي يفسّر لهم آيات كتاب الكون الواسع ومعناها وحكمتها .

والآخر : هم اهل الكفر والظنّيان الصمّ البكم الضالون الذين اتبعوا اهواءهم والشيطان ، فما عرفوا من الحياة الا ظاهرها ، فهم كالأنعام بل هم اضل سبيلا .

حَقِيقَةُ الدُّنْيَا

يقول داعية اهل الضلالة وممثلها (١) :

– ان الدنيا في احاديثكم النبوية ملعونة ٠٠ وقد ذكرت بأنها « جيفة » ٠٠٠ وقد استحقها اهل العلم والولاية جميعا وقالوا : « بأنها قدرة » ، « تافهة » ٠٠٠ فما بالك تذكرها في ما تكتب بأنها : مدار جميع الكمالات الالهية ومنبعها ، وحجة عظيمة لمعرفته سبحانه وتعالى ٠ بل انك تبحث عنها وكأنك مشتاق اليها ؟!

اقول (٢) : اني نظرت الى الدنيا التي ابتلي بها الناس ، وتأملت فيها كثيرا ، وبالاخص في الذين أخذوا يعبدونها ! ٠٠ فرأيت بنور القرآن الكريم ان :

لكل منا في هذه الدنيا : دنيا خاصة به ، أي ان هناك دنى متداخلة بعدد البشر وحياة كل شخص هي عمود عالمه ومستنده ، فاذا ما تهدم جسم أي انسان ، فانما انتهت دنياه هو وقامت قيامته ، ولكن الغافل الجاهل عندما يرى استقرار العالم حوله – بعد موت أحد – يذهب الى عشقه وغرامه ناسيا ان دنياه قصيرة خاطفة وستزول من هذا الوجود عن قريب بل في لحظة . ثم نظرت الى دنياي الخاصة – السريع الزوال – وذلك بعين الدرس والعبرة ، فرأيت بنور القرآن الكريم أنها :-

- متجر موقت لي ولغيري ٠
- ودار ضيافة لا تكاد تملأ حتى تفرغ كل يوم من أفواج المسافرين ٠
- وسوق مقام للغادين والرائحين من الضيوف ٠

(١) الرمز الخامس من الموقف الثاني من الكلمة الثانية والثلاثين ٠

(٢) من الرجاء الثامن من رسالة الشيوخ / اللمعات ٠

- كتاب مفتوح تتجدد فيه نقوش المصور الازلي فيثبت ويمحي ما يشاء بكل حكمة وعلم .
- وقصيدة منظومة تترنم بأسماء خالقها في كل موسم .
- ورسالة مرصعة ومذهبة الى كل ذي حياة تذكر آلاء باعنها وبخاصة في الربيع .
- ومرايا تتجدد وتظهر لكل راء روائع تجليات الاسماء الحسنی لذي الجلال والجمال والكمال .
- ومزرعة وحديقة لغراس الآخرة .
- وبستان أزاهير للرحمة الالهية .
- ومصنع لتجهيز اللوحات الربانية الخالدة لما تظهر في عالم البقاء والخلود . فشكرت الخالق الكريم وحمدته شكراً وحمداً لا يستغرقه العد ، لخلقه الدنيا على هذه الصورة .
- ثم ان للدنيا ثلاث وجوه :

(الوجه الأول)

وهو الوجه المتوجه الى أسماء الله الحسنی يبرز بدائع صنعه الحكيم . . فهذا الوجه كتاب مفتوح منظور فيه ما لا يحد من المكتوبات الصمدانية . . فهو كالمرايا لتجليات أسمائه الحسنی (تعكسها للانظار بحيث يقرأه ويراه كل ناظر اليه بعين الدقة والتأمل) فوجه كهذا الوجه لاشك انه جميل محبوب ، ورائع جذاب ، بل انه يستحق الحب والعشق وليس النفور والتقرز .

(الوجه الثاني)

وهو الذي ينظر ويتوجه الى الآخرة . فهو مزرعة الآخرة . . مزرعة الجنة . . وبستان مزهر للرحمة الالهية . فهذا الوجه ، جميل أيضا بل رائع جدا كالوجه الاول تماما ، لذا فهو يستحق المحبة والتقدير والاكبار ، لا النفور والتحقير والاهمال .

أي أن (١) هذين الوجهين - تجليات الاسماء الحسنی ، ومزرعة الآخرة - ليسا مما ينقص العبودية اذا ما توغل فيهما قلب المؤمن . بل العكس هو الصحيح والمطلوب . اذ ان الانسان كلما توغل فيهما ، وأطال النظر اليهما بتدبر وتفكر ، احبهما حبا شديدا فيزداد عندهند معرفة بالله سبحانه ، فينشط ويسعى في عمله ويجده في عبادته ، وعندئذ يرقى في مراتب الكمالات . . (لان عمله ، ونظره ، ينقلبان من الزوال الفاني الى الخلود الباقي) .

واذا شئت فانظر الى حياة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين والى تابعيهم كيف دخلوا الى أعماق الدنيا من هذين الوجهين الكريمين : فنظروا الى الموجودات بعين الشوق والحب والى الحوادث بعين العبرة والدرس كأنها مرايا عاكسة لتجليات الاسماء الحسنی ، ونظروا الى الدنيا مزرعة للآخرة . فكان كل نظرهم عبرة ، وكل عملهم زرع للآخرة وجنى لثمارها .

(الوجه الثالث)

هذا الوجه ينظر الى هوى الانسان ويتطلع الى نفسه الأمارة بما فيها من حقد وحسد ، وكبر ، وحب جاه وغرور . وجميع التوازع السافلة . لذا فهو ستار الغفلة ، ومثير للشهوات الوضيعة لاهل الدنيا . فهو وجه فان زائل ، مؤلم ، خداع . . فهو وجه قبيح ، ودميم ، ومرفوض . لذا فكل ما ورد من الاحاديث النبوية الشريفة في النهي عن طلب الدنيا ، وما ذكره اهل العلم من قدراتها ، ودناءتها ، وفنائها . . هو هذا الوجه .

أما ما بحثه القرآن الكريم باهتمام بالغ واستحسان واعجاب عن الكون والحياة والموجودات ، فهو متوجه بلا شك الى الوجهين الأولين ، وكذلك كانت الدنيا المرغوبة فيه عند الصحابة الكرام رضوان الله عليهم اجمعين وعند اهل العلم والولاية والصلاح .

(١) ذيل الكلمة السابعة والعشرين .

وان الحب الذي كان على الانسان أن يظهره للدنيا عند نظره الى
الوجهين الاوليين اللطيفين قد أخطأ المرمى ، وجانب الصواب ، فأدار هذا
الانسان النكد وجهه الى الوجه القبيح الدميم الفاني المضر الزائل أي الى
الوجه الثالث فحق عليه الحديث الشريف :

« حب الدنيا رأس كل خطيئة »

نعم(١) ، ان الذي ينصت الى صوت القرآن الكريم ، ويتدبر معانيه ،
يفهم بنور الحقائق الربانية التي فيه ماهية الدنيا وحقيقتها ، وان الركون
اليها تافه فضلاً عن حبها وعشقها ، حيث يقول بل يثبت :

ان الدنيا كتاب رباني صمداني مفتوح للانظار ، حروفها وكلماتها
لا تمثل نفسها ، بل تدل وتشير الى ذات بارئها المقدسة وصفاته وأسمائه
الحسنى ، (اذ كما لا تدل حروف كتاب على نفسها ، وانما على معاني
كلماتها ، كذلك الوجود) ٠٠ لذا :

- أنهم معاني الدنيا وخد بها ، ودع نقوشها وزخارفها .
- واعلم انها مزرعة للأخرة ، فازرع واجن ثمارها واحفظها ، واهمل
مزخرفاتها الفانية .
- واعلم انها مجاميع مرايا متعاقبة تأتي وتمضي دائماً ، لذا تعرف بها
الى ما يتجلى فيها ، وعاین أنوارها وادرك الاسماء المتجلى فيها واحبب
مسمياتها ، واقطع علاقتك عن تلك القطع الزجاجية القابلة للكسر .
- واعلم انها متجر سيار . فافهم ، وقم بالبيع والشراء المطلوب منك ،
دون أن تلهث وراء القوافل التي أهملتك ، وجاوزتك ، والا تتعب .
- واعلم انها متنزه موقت ، فاسرح ببصرك فيها للعبرة ودقق في الوجه
الجميل المستتر المتوجه الى الباقي الجميل ، واصرف وجهك عن وجهه
القبيح الدميم المتوجه الى هوى النفس .

(١) الكلمة السابعة عشرة – الفقرة الأخيرة .

- لا تبك كالطفل الغريير عند انسداد الستائر التي تريك تلك المناظر الجميلة فهي دار ضيافة ، وانت فيها ضيف كريم • لذا كل • واشرب ، ولكن باذن صاحب الضيافة والكرم ••• ومن ثم اشكره •• ولا تتحرك خطوة الا وفق حدوده وأوامره • هكذا تستوجب آداب الضيافة • ومن ثم لا تتلفت ورائك عندما تترك دار الضيافة ، وتزعم الرحيل الى الابد •
- واياك أن تتدخل بفضول بأمور لا تعود اليك •• ولا تفرق نفسك بأمور لا ترتبط معها الا مؤقتاً ••• نعم بمثل هذه الحقائق يخفف القرآن الكريم فراق الدنيا على الانسان بل قد يحببه الى اليقطين النابهن باظهار اسرارها الكامنة • وهكذا تظهر رحمته سبحانه في كل شيء وفي كل شأن •

[الكلمة الثانية]
الدُّنْيَا بَيْنَ
نَظَرِ الْمُؤْمِنِ وَنَظَرِ الْكَافِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) [سورة

البقرة : ٢]

إذا كنت تريد أن تعرف : ما أعظم ما في الإيمان من السعادة والنعمة !
وما أعظم ما فيه من اللذة والراحة .. فانظر - إذن - واستمع الى هذه
الحكاية التمثيلية القصيرة :-

خرج رجلان في سياحة ذات يوم من أجل الاستجمام والتجارة ؛
فمضى أحدهما - وكان أنانياً شقيماً - الى جهة ما . ومضى الآخر - وهو
رباني سعيد - الى جهة ثانية .

وانطلق كلاهما . أمّا الرجل الأناني المغرور - فلأنه كان متشائماً
وانانياً ولا خير فيه - فقد لقي بلداً في غاية السوء والشؤم والنكد في نظره -
جزءاً وفاقاً على ما قدّمت يده - لذلك فهو أينما يتجه يرى بناظره :
العجزة المساكين البائسين يصرخون ويولولون من أيدي رجال قساة ومن
تخريباتهم المدمّرة . ويرى كل ما يزوره من أماكن .. في حزن - أينما
حزن ! والم - أينما ألم ! - .. حتى اتخذت المملكة كلها شكل
دار الماتم العام . فلم يجد لنفسه المؤلة المظلمة حلاً ولا علاجاً - لكيلا يحس
بما هو فيه من حال - غير نشوة السكر ؛ لأنه صار - في اعتقاده - كل
واحد من أهل هذه المملكة عدواً يتربص به ، وأجنبياً يتنكر له . وصار يرى
في الأوساط جنائز مرعبة ويسمع عويلاً ذا نبرة يائسة مريرة لليتامى
تنطلق من ورائها ؛ مما ظل يتلوى وجدانه في العذاب الأليم .

وأما الآخر : الرجل الربّاني ، العابد لله ، والباحث عن الحق ، فقد كان ذا أخلاق حسنة بحيث صادف في رحلته مملكة طيّبة هي في نظره في منتهى الروعة والجمال .

وهكذا فان هذا الرجل الصالح ما أن دخل هذه المملكة حتى رأى احتفالات رائعة ومهرجانات بارعة قائمة على قدم وساق . فرأى في كل طرف سرورا ، وفي كل زاوية جذبة ، وفي كل مكان محاريب ذكر . حتى لقد صار يرى كل فرد من أفراد هذه المملكة صديقا صدوقا وقريبا حبيبا له . ومن ثم بدأ يرى ان المملكة كلها تعلن - في حفل التسريح العام - هتافات الفرح بصيحة مصحوبة بكلمات الشكر الجزيل : وأصبح كذلك يسمع فيهم أصوات الجوقة الموسيقية وهي تقدم الأغانى الحماسية مقترنة بالتكبيرات العالية والتهليلات الحارة بسعادة واعتزاز سوفا الى الخدمة والجندية .

فبينما كان ذلك الرجل الاول المتشائم منشغلا بألمه وآلام الناس كلهم . . كان الثاني السعيد المتفائل مسرورا مع سرور الناس كلهم وفرحا مع فرحهم .

وبذلك فقد غنم هذا لنفسه تجارة حسنة مباركة شاكرا ربه بما هو أهله سبحانه وتعالى . ثم عاد الى أهله . وفي الطريق يلقي ذلك الرجل فيسأل عنه وعن أخباره فيعلم كل شيء عن حاله فيقول له : - يا هذا هل جننت ؟ فانك قد أظهرت ما في باطنك من الشؤم والقبح بحيث أصبحت تتوهم أن كل ابتسامة صراخ ودموع . وأن كل تسريح وإجازة نهب وسلب .

عند الى رشدك، وطهر قلبك . . لعل غشاء المصيبة ينزاح عن عينيك . وعسى أن تبصر الحقيقة على وجهها الأبلج . وتبصر أيضاً أن صاحب هذه المملكة ومالكها هو في منتهى درجات العدل والرحمة والربوبية والاقتدار والتنظيم المبدع والرفق . . فان مملكة يمثل هذه الدرجة من الرقي والسمو

ما تريك من آثار بأمر عينيك ٠٠٠ لا يمكن بالتأكيد أن تكون بمثل ما تريه
أوعامك من صور ٠

وبعد ذلك بدأ - هذا الشقي - يراجع نفسه ويرجع الى صوابه رويداً
رويداً ، ويفكر بعقله ويقول متندماً :

- نعم لقد كنت مجنوناً من جرّاء تعاطي الخمر ٠٠ ليرض الله
عنك ؛ أنت الذي أنقذتني من حالة جهنمية ٠

فيا نفسي ! اعلمي ان الرجل الاول هو « الكافر » أو « الفاسق
الغافل » فهذه الدنيا في نظره بمثابة مأتم عام ، وجميع الاحياء ايتام يكون
ألماً من ضربات الزوال وصفعات الفراق ٠ أما الانسان والحيوان فمخلوقات
سائبة بلا راع ولا مالك تتميزق بمخالب الأجل وتعتصر بمصارتها ، وأما
الموجودات الضخام كالجبال والبحار فهي في حكم الجنائز الهامدة والنعوش
الرهيبية ٠٠ وهكذا تذيق أمثال هذه الأوهام المدهشة المؤلمة التي تسحق
الانسان وتنشأ عن كفره وضلالته ، صاحبه عذاباً معنوياً مريعاً ٠

أما الرجل الثاني ، فهو « المؤمن » الذي يعرف خالقه حق المعرفة
ويؤمن به ، فالدنيا في نظره هي دار ذكر رحمانية ، وساحة تعليم وتدريب
البشر والحيوان ، وميدان ابتلاء واختبار الانس والجان ٠٠٠ أما الوفيات
كافة - من حيوان وإنسان - فهي اعفاء من الوظائف ، وانهاء من الخدمات
فالذين أنهموا وظائفهم الحياتية ، يودعون هذه الدار الفانية وهم مسرورون
معنوياً ، لينتقلوا الى عالم آخر غير ذي قلق خال من اضرار المادة واوصاب
الزمان والمكان وصروف الدهر وطوارق الحداث ٠ لينفسح المجال واسعاً
ويتهيأ لموظفين جدد يأتون للسعي في مهامهم ٠٠٠ أما المواليد كافة - من
حيوان وإنسان - فهي سقوة تجنيد عسكرية وتسلم سلاح وتسنم
وظائف وواجبات ، فكل كائن من موظف وجندي مسرور ومأمور مستقيم
راضٍ قانع ، ٠٠٠ وأما الاصوات المنبعثة والاصداء المرتدة من ارجاء الدنيا
فهي : اما ذكر وتسبيح لتسنم الوظائف والشروع فيها أو شكر وتهليل

أيذاناً بالانتهاء منها • أو أنغام صادرة من شوق العمل وفرحته ،...
فالموجودات كلها في نظر هذا المؤمن هي خدام مؤسسون ، وموظفون أخلاء ،
وكتب حلوة لسيدته الكريم ومالكه الرحيم ... وهكذا يتجلى من إيمانه
ويظهر للعيان كثير جداً من أمثال هذه الحقائق التي هي في غاية اللطف
والسمو واللذة والدوق •

فالإيمان إذاً يضم حقاً بذرة معنوية منشقة من « طوبى الجنة » أما
الكفر فإنه يخفي بذرة معنوية قد نفثته « زقوم جهنم » •
فالسلمة والأمان إذاً لا وجود لهما إلا في الإسلام والإيمان • لذا علينا
أن نردد دائماً : « الحمد لله على دين الإسلام وكمال الإيمان » •

نظرة إيمانية إلى سِرِّ الْمَوْتِ

قال تعالى في سورة الملك : [الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملاً] •

فالسؤال الوارد هو (١) : ان الآية الكريمة تعتبر الموت مخلوقاً كالحياة ، وانه نعمة ايضاً • ولكن الملاحظ ان الموت : انحلال ، وعدم ، وتفسخ ، وانطفاء لنور الحياة ، وهادم للذات •• فكيف يكون « مخلوقاً » وكيف يكون « نعمة » ؟

الجواب : مثلما ذكرنا في ختام الجواب عن السؤال الاول من ان الموت في حقيقته هو :

- ليس اعداماً ولا عدماً ولا زوالاً ولا فناً ، وانما هو :
- رخصة وتسريح وانهاء لوظيفة الحياة الدنيا من قبل الفاطر الحكيم •
- وهو تبديل للمكان ، وتحويل للوجود ليس إلا •
- وهو دعوة للحياة الباقية الخالدة ، ومقدمة للحياة الأخرى •
- وهو مخلوق كالحياة •• وذلك :-

كما ان مجيء الحياة الى الدنيا هو بخلق وتقدير الهى ، كذلك ذهابها من الدنيا هو ايضاً بخلق وتقدير وبحكمة وتدبير الهى ؛ لان موت أبسط الاحياء - وهو النبات - يظهر لنا نظاماً دقيقاً وابداعاً للخلق ما هو اعظم وانظم من الحياة نفسها ، فالذي نراه من موت وتحلل وتفسخ عند استنابات الاثمار والبذور والحبوب هو في الحقيقة عبارة عن :

(١) السؤال الثاني من المکتوب الاول / المکتوبات •

عجن لتفاعلات كيميائية متسلسلة منتظمة جداً • وامتزاج لمقادير العناصر بكل دقة وميزان • وتركيب وتشكل للذرات بعضها ببعض بكل حكمة وبصيرة • بحيث ان هذا الموت الذي لا يرى وفيه هذا النظام الحكيم ، والدقة الرائعة هو الذي يظهر ويبرز بشكل حياة نامية للسنبل وللنبات الباسق المثمر • وهذا يعني :

ان موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديد ، أزهاراً وأثماراً ... بل هو بمثابة عين حياته الجديدة ؛ لذا فالموت خلق منتظم ايضاً كالحياة • وكذا فان ما يحدث في معدة الانسان من موت للغذاء النباتي والحيواني هو في حقيقته بداية ومنشأ لصعود ذلك الغذاء في اجزاء الحياة الانسانية الراقية ، اي أن موتاً وتحللاً كهذا ليس الا رقي ومخلوق اكثر انتظاماً من الغذاء نفسه • لذا فموت النبات وهو في ادنى طبقات الحياة ان كان خلقاً حكيماً منتظماً راقياً الى هذا الحد فكيف بالذي هو في ارقى طبقات الحياة ، وهو الانسان ؟! فلاشك انه عندما يأتيه الموت ويوارى الى التراب ، فان موته هذا سيثمر حياة دائمة في (عالم البرزخ) ، تماماً كالبذرة الموضوعة تحت التراب والتي اصبحت بموتها نباتاً رائعاً في الحكمة والجمال في (عالم الهواء) •

واذا ما قيل كيف يكون الموت نعمة ؟ ••

فالجواب :

سنذكر اربعة وجوه فقط من اوجه النعمة والمنة الكثيرة للموت •
اولا : ان الموت مقدمة للسعادة الابدية والحياة الاخرى ، ولاشك ان مقدمة الشيء لها حكم الشيء نفسه ، حسناً وقبحاً • وهذه قاعدة لا تتغير •
وانه خروج من بين قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب من جهة ، ودخول الى رعاية المحبوب الباقي ورحمته الواسعة ، بل هو تنعم بحياة فسيحة باقية مستنيرة ، دون ان يزعجها خوف ، ولا حزن ولا هم من جهة اخرى •

ثانيا : بينما الموت انقاذ من وظائف الحياة الدنيوية التي استثقلت بتكاليف المعيشة ، اذ هو وصال مع تسعة وتسعين من الاحبة الاعزاء في عالم البرزخ •• في عالم الآخرة • لذا فهو نعمة عظيمة ! •

ثالثا : انه ليس نعمة فحسب بل قد يكون نعمة مطلوبة ايضاً وخاصة للأشخاص الذين لا يستطيعون ان يتحملوا اعباء الحياة وتكاليفها من اثقال المصائب والبلايا وجفاء الرحمة والشفقة من الاقربين لعجزهم وضعفهم وكم نكون قلقين بما يصيب الوالدين الشيخين من امراض وعجز ونحن مكلفون برعايتهما بالمعروف والحسنى !! فكيف بنا ان كان اجدادنا جميعاً امامنا وهم في مثل هذه الحالة ؟ الا تكون الحياة عندئذٍ نعمة والموت نعمة ؟!

رابعا : فكما ان النوم راحة للانسان ورحمة وبخاصة للمرضى والجرحى كذلك الموت - الذي هو اخو النوم - رحمة ونعمة للمبتلين واليائسين • وكذا يمكن ادراك مدى نعمة الموت ، ومدى صعوبة الحياة ومشقتها لتلك الحشرات العاشقة للأزهار الجميلة في شدائد برد الشتاء • فلولا الموت لتحولت البشرية عامة الى درك فظيع ومصيبة عظيمة • وهكذا يصبح الموت اذن نعمة عظيمة للبشرية قاطبة ••

ولكن (١) هل يرى اهل الضلالة ما نراه نحن بنور القرآن العظيم ••؟ فالحياة كما اصبحت لنا نعمة بنوره الوضئ لم يعد لنا الموت كذلك: اعداء بل هو تبديل للمكان • والقبر لم يعد لنا فوهة حفرة مظلمة بل هو باب يفتح لعالم منور • حتى غلت الدنيا بمتاعها وزينتها سجناً لنا بالنسبة لنعيم الآخرة • واصبح الخروج والنجاة من سجن الدنيا وضيقها الى سعة وبستان الجنان الاخرية ، والانتقال من منغصات الحياة المادية المزعجة الى عالم الراحة والاطمئنان ، والانسلاخ من ضوضاء وصخب المخلوقات الى الحضرة الربانية الهادئة المطمئنة الراضية • سياحة بل سعادة مطلوبة بألف فداء وفداء •

(١) من الكلمة السابعة عشرة ، رابعا •

[الرجاء الثامن - رسالة الشيوخ - اللمعات]

رَحِيلَ لِشَبَابٍ

كان ذلك حينما خالط بعض شعرات رأسي البياض الذي هو علامة الشيخوخة ، وكانت أحداث الحرب العالمية الاولى وما خلفه الاسر لدى الروس من آثار عميقة في حياتي عمقت في نوم الغفلة ، وما تلا ذلك من استقبال رائع عند عودتي من الاسر الى استانبول ، سواء من قبل الخليفة ، أو القائد العام ، أو من قبل طلبة العلوم الشرعية ، وما قوبلت به من تكريم وحفاوة اكثر مما استحق بكثير . كل ذلك ولد عندي حالة روحية زادت من سكرة الشباب وغفلته وعمقت في ذلك النوم اكثر ، الى درجة تصورت معها أن الدنيا دائمة باقية ، ورأيت نفسي في حالة عجيبة ملتصقة بالدنيا كأنني لا أموت .

ففي هذا الوقت ، ذهبت الى جامع بايزيد في استانبول وذلك في شهر رمضان المبارك لاستمع الى القرآن الكريم من الحفاظ المخلصين ، فاستمعت من لسان اولئك الحفاظ ما اعلنه القرآن المعجز بقوة وشدة خطابه السماوي الرفيع في موت الانسان وزواله ووفاء ذوى الحياة وموتهم وذلك بنص آية [كل نفس ذائقة الموت] .

نفذ هذا الاعلان الداوي صماخ أذني مخترقاً الطبقات الكثيفة الغليظة للنوم والغفلة حتى استقر في أعماق قلبي .

رأيت نفسي - لبضعة ايام - كأن اعصاراً هائلاً يضطرم في رأسي يبدد ذلك النوم العميق المستقر فيه ، ورأيتني كالسفينة التائهة بين أمواج البحر الفارقة لبوصلتها ، . . . كانت نفسي تتأجج بنار ذات دخان كثيف وكلما كنت انظر الى المرأة . . . كانت تلك الشعرات البيضاء تخاطبني قائلة : انتبه !!! .

نعم ان الامور وضحت عندي بظهور تلك الشعرات البيضاء وتذكيرها
إياي حيث شأهلت :

أن الشباب الذي كنت أغتر به ، بل كنت مفتوناً بأذواقه يقول لي :
الوداع !!! وان الحياة الدنيوية التي كنت ارتبط بها بدأت بالانطفاء وريداً
رويداً ، وبدت لي الدنيا التي كنت اتشبهت بها وكنت مشتاقاً اليها وعاشقاً
لها رأيته تقول لي : الوداع !! الوداع !! مشعرة إياي ، بانني سأسافر من
دار الضيافة هذه ، وسأغادرها عما قريب . ورأيته - اي الدنيا - هي
الآخرى تنهياً للرحيل لتقول : في أمان الله .

كل ذلك بما انفتح الى القلب من كلفة هذه الآية الكريمة [كل نفس
ذائقة الموت] ومن شموليتها ذلك المعنى الذي يتضمنها وهو :

ان البشرية قاطبة انما هي كالنفس الواحدة ، فلا بد انها ستموت كي
تبعث من جديد ، وان الكرة الارضية - كذلك - نفسٌ فلا بد انها سوف
تموت كي تبقى دائمة خالدة ، وان الدنيا هي الاخرى نفس وسوف تموت
كي تتشكل بصورة (آخرة) .

فكرت فيما أنا فيه ؛ فرأيت : أن الشباب - الذي هو مدار الأذواق
واللذائذ ذاهب نحو الزوال ، تارك مكانه للشيوخوخة التي هي منشأ
الاحزان . وان الحياة الساطعة الباهرة لفي ارتحال وتنهياً الحياة المظلمة
- ظاهرياً - والمخيفة وهي الموت لتحل محلها . ورأيت الدنيا التي هي
محبوبة وحلوة ، وتظن انها دائمة والتي هي معشوقة الغفلة ، رأيته تجري
مسرعة الى الفناء . ولكي انغمس في الغفلة واستمر فيها ولتبت نظري
الى أذواق المنزلة الاجتماعية ومقامها الرفيع - الذي حظيت به والذي خدعت
به نفسي وهو فوق حدسي وطوقي - في استانبول من الحفاوة والاکرام
والسلوان والاقبال والاعجاب فرأيت أن جميعها لا تصاحبني الا الى
حد باب القبر القريب مني . وعندئذ تنطفئ ، لذا لم أر لها اي جدوى ونفع .
ورأيت أن رياء ثقيلاً ، واثرة مقيتة ، وحيرة مؤقتة تكمن تحت الستار

المزركش للاعجاب بالنفس التي هي المثل الاعلى لأرباب الشهرة وعشاقها
ففهمت أن هذه الامور التي خدعتني حتى الآن لن تمنحني السلوان ولا يمكن
ان أتلمس فيها اي قبس من نور .

ولكي استيقظ من غفلتي مرة اخرى وانتبه منها نهائياً بدأت بالاستماع
كذلك الى اولئك الحفاظ الكرام في جامع بايزيد ، لالتقى الدرس السماوي
للقرآن الكريم وعندها سمعت بشارات ذلك الارشاد السماوي من خلال
الاوامر الربانية المقدسة في « وبشّر الذين آمنوا »

ان هذا الفيض الذي اخذته من القرآن الكريم جعلني أبحث عن
السلوة والرجاء والنور حتى في تلك الامور التي أدهشتني وحيرتني
وأوقعتني في يأس فآلف شكر وشكر للخالق الكريم على ما وفقني لأن أجد
الدواء في الداء نفسه ، وأن أرى النور في الظلمة نفسها ، وأن أشعر
بالسلوان في الألم والرعب ذاتهما .

فنظرت أول ما نظرت الى ذلك الوجه الذي يرعب الجميع ويتوهم أنه
مخيف حقاً . . . وهو وجه (الموت) . فوجدت بنور القرآن الكريم ، ان
الوجه الحقيقي للموت صبوح منور ، رغم ان حجاب مظلّم والستر الذي
يخفيه يكتنفه السواد المرعب . وقد اثبتنا هذه الحقيقة بصورة قاطعة في
كثير من الرسائل وأوضحناها في (الكلمة الثامنة) و (المكتوب العشرين)
من أن الموت :

ليس باعدام نهائي ، ولا هو بفراق أبدى ، وانما هو مقدمة للحياة
الابدية وبداية لها . وهو إنهاء لأعباء مهمة الحياة ووظائفها ، ورخصة منها
واجازة ، وهو تبديل مكان ، وهو وصال ولقاء مع قافلة الأحباب الذين
ارتحلوا الى عالم البرزخ وهكذا ، يمثل هذه الحقائق فقد شاهدها
الوجه المليح الصبوح للموت . فلا غرو لم انظر اليه خائفاً وجلالاً ، وانما
نظرت اليه بشيء من الاشتياق - من جهة - وعرفت إبانها سرّاً من اسرار
(رابطة الموت) التي يزاولها أهل الطرق الصوفية .

ومن ثم تأملت في (عهد الشباب) فرايت انه يحزن الجميع بزواله ،
ويجعل الكل يشتاقون اليه ويفتنون به ، وهو الذي يمر بالنفلة ، وقد
مرّ هكذا ! فرايت أن ثمة وجهاً دميماً جداً بل مسكراً ومجيراً تحت الحلة
القشبية الفضفاضة الملقاة عليه ، فلو لم أكن ممن يعرف كنهه لكان يبكي
ويحزنني طوال حياتي الدنيا حتى لو عمرت مائة سنة حيال بضع سنين
تمضي بنشوة وابتسامة ، كما قال الشاعر بحسرة مريرة :

الا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب
نعم ان الذين لم يتبينوا سر الشباب من الشيوخ يقضون شيخوختهم
بالحسرة والنحيب على عهد شبابهم كهذا الشاعر .

والحال ان فتوة الشباب ونضارته اذا ما حلت في المؤمن المطمئن
الحصيف ذى القلب الساكن الوقور ، واذا ما صرفت طاقة الشباب وقوته
الى العبادة والأعمال الصالحة والتجارة الاخرية ، فانها تصبح اعظم قوة
للخير وتغدو أفضل وسيلة للتجارة ، وأجمل وساطة للحسنات بل ألذها .
نعم ان عهد الشباب نفيس حقاً وثمين جداً لمن لم يسر استعماله ، وهو
نعمة الهية عظيمة ، ونشوة لذينة لمن عرف واجبه الاسلامي . ولكن
- الشباب - ان لم تصحبه الاستقامة ولم ترافقه العفة والتقوى ، فهناك
المهالك الويلة اذن . اذ يصدع طيشه ونزواته السعادة الابدية ويدمر
الحياة الاخرية ، وربما يحطم الحياة الدنيوية ايضاً . فيجرع صاحبه
الآلام غصصاً طيلة فترة الهرم والشيخوخة لما أخذه في بضع سنين من
الذواق ولذائذ .

ولما كان الشباب لا يخلو من الضرر عند اغلب الناس ، فعلينا اذن
نحن الشيوخ ان نشكر الله شكراً كثيراً اذ نجّانا من مهالك الشباب واضرار
هذا وأن الشباب ولذته ونشوته ونضارته شيء زائل لا محالة ، كما تزول
جميع الاشياء . فلئن صرف للعبادة ، وبذل للخير والصلاح فدونه ثماره
الباقية الدائمة ، وعنده وسيلة الفوز لشباب دائم وخالد في الحياة الابدية .

ثم نظرت الى (الدنيا) التي عشقها اكثر الناس ، وابتلوا بها •
فرايت بنور القرآن الكريم ان هناك ثلاث دنى كلية قد تداخل بعضها في بعض :

الاولى : هي الدنيا المتوجهة الى الاسماء الالهية الحسنى، فهي مرآة لها •

الثانية : هي الدنيا المتوجهة نحو الآخرة ، فهي مزرعتها •

الثالثة : هي الدنيا المتوجهة الى أهل الضلالة ، فهي لعبة أهل الغفلة •

ولهوهم •

ورأيت كذلك ان لكل أحد في هذه الدنيا دنيا خاصة به ، فهناك
اذن دنى متداخلة بعدد البشر • غير أن دنيا كل شخص قائمة على حياته
الشخصية فمتى ما يتهدم جسم اي شخص فان دنياه تنهدم وقيامته تقوم •
وحيث ان الغافلين لا يدركون انهدام دنياهم بهذه السرعة الخاطفة ،
لذا فهم يفتنون بها كالدنيا العامة المستقرة من حولهم •

فتأملت قائلاً :

لاشك أن لي دنيا خاصة ايضاً - كما هي لغيري - ولاشك انها سوف
تنهدم بسرعة - كما هي حالها عند غيري - فما فائدة هذه الدنيا الخاصة
اذن في عمري القصير جداً ؟! فرايت بنور القرآن الكريم :

ان هذه الدنيا هي - بالنسبة لي ولغيري - ما هي الا متجر موقت ،
ودار ضيافة تملأ كل يوم وتفرغ ، وهي سوق مقامة على الطريق للغادين
والرائحين ، وهي كتاب مفتوح يتجدد للمصور الازلى سبحانه ، فيمحو فيه
ما يشاء ويثبت به بحكمة • وكل ربيع فيها رسالة مرصعة مذهبة الى كل ذى
حياة ، وكل صيف فيها قصيدة منظومة رائعة • وهي مرايا تتجدد مظهره
تجليات الاسماء الحسنى للصانع الجليل وهي مزرعة لغراس الآخرة
وحديقتها • وهي مزهرة الرحمة الالهية ، وهي مصنع موقت لتجهيز
اللوحات الربانية الخالدة التي ستظهر في عالم البقاء والخلود •

فشكرت الله الخالق الكريم أجزل شكر على خلقه الدنيا بهذه الصورة •

ولكن في الوقت الذي منح الانسان حباً مقبلاً الى وجهي الدنيا المليحين المتوجهين الى الاسماء الحسنی والى الآخرة ، الا أنه أخطأ المرمى وجانب الصواب عندما استعمل تلك المحبة في غير محلها ، فصرفها الى الوجه القبيح ذي الغفلة المضرة والفواية المظلة على أهل الضلالة حتى حق عليه الحديث الشريف « حب الدنيا رأس كل خطيئة » •

فيا ايها الشيوخ ويا ايها العجائز •

انني رأيت هذه الحقيقة بنور القرآن الحكيم ، وبتذكير من شيخوختي وبما منحه الايمان لبصيرتي من نور ، وقد اثبتتها في رسائل كثيرة مع براهين دامغة •• رأيت أن هذه الحقيقة هي السلوان الحقيقي لي وهي الرجاء القوي والضياء الساطع فرضيت بشيخوختي وهرمي وسررت من رحيل الشباب •

فلا تحزنوا اذن ، ولا تبكوا يا اخوتي الشيوخ على شيخوختكم بل احمدا الله واشكروه • وما دعتم تملكون الايمان ، والحقيقة تنطق هكذا ، غليبك اولئك الغافلون ، وليحزن الضالون ولينتجبوا ••

لولا الشيخ الركن

قال تعالى : [إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ٠٠]
ايها الحبيب ، ويا من يسكن في بيته أب شيخ ، أو أم عجوز ، أو أحد من ذوى قرباه ، أو أخ في الدين مقعد ، أو شخص عاجز عليل ٠٠٠
انظر الى هذه الآية الكريمة بدقة وامعان ، انظر كيف أن آية واحدة تجلب للوالدين المعجوزين خمسة أنواع من الرحمة بصور مختلفة وأشكال متعددة ؟

نعم ، ان اسمى ما في الدنيا من الحقيقة هو شفقة الامهات والآباء على أولادهم ، وان أعلى الحقوق - كذلك - هو حق احترامهم مقابل تلك الشفقة والرافة ، ذلك لأنهم يضحون بحياتهم فدى حياة اولادهم بكمال اللذة والسعادة •

ولذلك - فان كل ولد - ان لم تسقط انسانيته ولم ينقلب بعد الى وحش - لابد ان يوقر باخلاص اولئك الاحبة المحترمين ، المضحين الصادقين ويقوم بخدمتهم خدمة صادقة ، ويسعى لنيل رضاهم وادخال البهجة في قلوبهم •

ان العم والعمة هما في حكم الاب ، وان الخالة والخال هي في حكم الأم • لذا ٠٠ فاعلم ما اشد انعداماً للضمير استئثار وجود هؤلاء الشيوخ المباركين والرغبة في موتهم ! بل ما أشده من ذنابة ووضاعة لا مزيد عليهما
إعلم هذا ٠٠ واصح !

أجل افهم ، ما اقدره من ظلم وما افظعه من انعدام الضمير ان يتمنى حتم زوال الذى ضحى بحياته كلها في سبيل حياته هو !

ايها الانسان المبتلى بهوم العيش !

اعلم ان عمود بركة بيتك ووسيلة الرحمة فيه ، ودفع المصيبة عنه ،
انما هو ذلك الشيخ ، أو ذلك الأعمى من اقربائك الذى تستثقله • لا تقل.
ابداً : ان معيشتى ضنك ، لا استطيع المداراة فيها •• ذلك لانه لو لم تكن
البركة المقبلة من وجوه اولئك ، لكان ضنك معيشتك اكثر قطعاً •
فخذ مني هذه الحقيقة ، وصدقها ، فاني أعرف لها كثيراً من الأدلة
القاطعة ، وأستطيع أن احمك على التصديق بها كذلك ••• ولكن ، لنلا
يطول الأمر فاني أجزها ؛ كن واثقاً جداً ••• كلامي هذا ، أقسم بالله ان
هذه الحقيقة هي في منتهى القطعية حتى ان نفسي وشيطانى ايضاً قد
استسلما امامها • فلا غرو ان الحقيقة التي اغاظت شيطانى واسكتته
وحطمت عناد نفسي الامارة لا بد انها تستطيع أن تقنعك ايضاً •

أجل ؛ ان الخالق ذا الجلال والاکرام الذى هو الرحمن الرحيم وهو
اللطيف الكريم - بشهادة ما في الكون اجمع - حينما يرسل الاطفال الى
الدنيا فانه يرسل أرزاقهم عقبهم مباشرة في منتهى اللطف ؛ كانقذاف
ما في الائداء وتفجيره كالينابيع الى أفواههم ، كذلك فان أرزاق العجزة -
الذين دخلوا في عداد الاطفال بل هم احق بالرحمة واحوج الى الرأفة -
يرسلها لهم سبحانه وتعالى بصورة بركة ، ولا يحمل اعاشة هؤلاء - ولا
يدعها - للبخلاء الاشحاء من الناس ، فالحقيقة التي تفيدها الآيات الكريمة:
[ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين] • [وكأين من دابة لا تحمل رزقها
الله يرزقها واياكم] • انها حقيقة ذات كرم ينطق بها لسان جميع
المخلوقات المتنوعة من الأحياء •

وانه ليس الشيوخ الاقرباء وحدهم يأتيهم رزقهم رغداً بصورة
بركة ، وانما رزق حتى بعض المخلوقات التي وهبت لمصاحبة الانسان
وصداقته كأمثال القطط • فان ارزاقها ترسل ضمن رزق الانسان ، وتأتي
بصورة بركة ايضاً •

ومما يؤيد هذا ، ما شاهدته بنفسى من مثال ، هو :
كانت لى حصة من الغذاء كل يوم - كما يعلم احبائى القريبين - قبل
سنتين أو ثلاثة - وهى نصف رغيف ، وكان رغيف تلك القرية صغيراً ،
وكثيراً ما كان لا يكفينى ٠٠ ثم جاءنى - بعد ذلك - أربع قطط ضيوفاً ،
وقد كفانى ذلك الغذاء وكفاهم ٠ بل غالباً ما كانت تبقى منه فضلة وزيادة .
هذه الحالة قد تكررت عندى الى درجة بحيث اعطتنى قناعة تامة من
أننى أنا الذى كنت استفيد من بركات تلك القطط ! ٠

وانا اعلن بصورة قاطعة الآن ان تلك القطط ما كانت حملاً ولا عبئاً
علىّ ولم تكن تبقى تحت منتى وانما انا الذى كنت ابقى تحت منتها ٠
فيا ايها الانسان :

ما دام الأمر أنه : حينما يأتى حيوان شبه مفترس ضيفاً الى بيتٍ
يكون محوراً للبركة ، فكيف اذا حلّ فى البيت من هو اكرم المخلوقات وهو
الانسان ؟ ومن هو اكملهم من بين الناس وهو المؤمن ؟ ومن هو من العجزة
والمعلولين المعمرين من بين اهل الايمان ؟ ومن هو اكثر اهلا للخدمة والمحبة
من بين المعلولين والمعمرين وأولى من يستحقونها وهم الاقربون ؟ ٠ ومن هم
اخلاص صديق ، واصدق محب من بين هؤلاء وهم الوالدين ؟ فكيف بهم
اذا حلوا فى البيت ٠ فلك ان تقيس ، ما اعظمها من وسيلة للبركة ، ومن
واسطة للرحمة ، ومن سبب لدفع المصيبة ، كما يتضمنه الحديث الشريف :
« لولا الشيوخ الركع لصبّ عليكم البلاء صباً » ٠

اذن ايها الانسان :

تأمل ٠٠ واعتبر ٠٠ واعلم انك ان لم تمت فلا مناص من أن تصير
شيخاً عجوزاً ، فان لم تحترم والديك ، فسيأتى عليك يوم لا يورك اولادك
ولن يحترموك ، وذلك بما اودع الله من سر فى « الجزء من جنس العمل » ٠
لذا ٠٠ ان كنت محباً لآخرتك فدونك كنز عظيم الا وهو :

اخدمهما ونل رضاهما ٠

وان كنت تحب الدنيا فارضهما كذلك واشكر لهما • حتى تمضي
حياتك براحة ، وحتى يأتي رزقك ببركة من ورائهم • والا • • فان استثقال
هؤلاء وتمني موتهم وتجريح قلوبهم الرقيقة الحساسة يجعلك ممن ينطبق
عليه حقيقة الآية الكريمة [خسر الدنيا والآخرة] •
واذا كنت تريد رحمة الرحمن الرحيم • فارحم ودائع ذلك الرحمن •
وما استودعك في بيتك من أمانات •

كان لي أخ من اخوان الآخرة وهو « مصطفى جاويش » وكنت أراه
موفقاً في دينه ودنياه معاً • ولم اكن أعرف السر • ثم علمت سبب ذلك
التوفيق وهو : ان هذا الرجل المبارك كان قد علم حقوق امه وابيه ، وانه
راعى تلك الحقوق حق رعايتها • فكان أن وجد الراحة والرحمة ببركة
وجوههم • وارجو ان يكون قد عمّر آخرته كذلك ان شاء الله •
فمن اراد ان يكون سعيداً فليقتد به ، وليكن مثله •
اللهم صل وسلم على من قال « الجنة تحت اقدام الامهات » وعلى
آله وصحبه أجمعين •

(سبحانك لا علم لنا الا ما علّمتنا انك انت العليم الحكيم) •

لغة العلوم

« هذه المسألة إشارة مختصرة الى برهان واحد فقط من بين الوف البراهين الكلية حول (الايمان بالله) والذي تم ايضاحه مع حججه القاطعة في عدة مواضع من رسائل النور » .

جاءني فريق من طلاب الثانوية في « قسطنطيني » (١) قائلين : عرفنا بخالفنا ، فان مدرسينا لا يذكرون الله لنا ! . فقلت لهم : ان كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوماً ، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة . فاصفوا الى تلك العلوم دون المدرسين .

فمثلاً : لو كانت هناك صيدلية ضخمة ، في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية ، وضعت فيها بموازين حساسة ، وبمقايير دقيقة ؛ فكما أنها ترينا ان وراءها صيدلياً حكيماً ، وكيميائياً ماهراً كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم اكثر من أربعمئة ألف نوع من الأحياء - نباتاً وحيواناً - وكل واحد منها في الحقيقة زجاجة مستحضرات كيمياوية دقيقة ، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة تري - حتى للعيان - صيدليتها الحكيم ذا الجلال ، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها ، وانتظامها ، وعظمتها ، ومدى نسبتها قياساً على تلك الصيدلية التي في السوق ، وذلك وفق مقاييس علم الطب الذي تقرأونه .

ومثلاً : كما لو أن مصنعاً خارقاً عجيباً ينسج الوفاً من أنواع المنسوجات المتنوعة ، والأقمشة المختلفة ، من مادة بسيطة جداً ، يرينا بلا شك ان وراءه مهندساً ميكانيكياً ماهراً ، ويعرفه لنا ؛ كذلك هذه الماكينة الربانية السيارة المسماة بالكرة الأرضية ، وهذا المصنع الآلهي الذي فيه مئات الآلاف من رؤوس المصانع ، وفي كل منها مئات الآلاف من المصانع المتقنة ، يعرف لنا - بدون شك - صانعه ، ومالكة ، وفق مقاييس علم

(١) مدينة تقع شمال تركيا ظل فيها الاستاذ النورسي منفياً طوال ثمانين سنوات /٠م

المكانن الذي تقرأونه ، يعرفه بدرجة كمال هذا المصنع الآلهي ، وعظمته قياساً على ذلك المصنع الانساني .

ومثلاً : كما ان حانوتاً او مخزناً للاعاشة والارزاق ، ومحللاً عظيماً للأغذية والمواد ، احضر فيه - من كل جانب - ألف نوع ونوع من المواد الغذائية ، ويميز كل نوع عن الآخر ، وصنّف في محله الخاص به ، يريد ان له مالكاً ، ومدبراً ؛ كذلك هذا المخزن الرحماني للاعاشة الذي يسبح في كل سنة ، ويدور مسافة اربعة وعشرين ألف سنة ، في نظام دقيق متقن ، والذي يضم في ثناياه مئات الآلاف من اصناف المخلوقات التي يحتاج كل منها الى نوع خاص من الغذاء . والذي يمر على الفصول الاربعة فيأتي بالربيع ، وكأنه شاحنة محمولة ومعبأة بآلاف الانواع من مختلف الأطعمة ، فيأتي بها الى الخلق المساكن الذين نفد قوتهم في الشتاء . تلك هي الكرة الأرضية ، والسفينة السبحانية التي تضم آلاف الانواع من البضائع والاجهزة ومعلبات الغذاء . فهذا المخزن والحانوت الرباني ، يري - وفق مقاييس علم الاعاشة والتجارة الذي تقرأونه - صاحبه ومالكة ومتصرفه بدرجة عظيمة هذا المخزن وبمدى نسبته على ذلك المخزن المصنوع من قبل الانسان ، ويعرفه لنا ، ويحبّه إلينا .

وكما لو أن جيشاً عظيماً يضم تحت لوائه أربعمائة ألف نوع من الشعوب والأمم ، لكل جنس طعامه المستقل عن الآخر ، وما يستعمله من سلاح يفاير سلاح الآخر ، وما يرتديه من ملابس تختلف عن البسة الآخر ، ونمط تدريبه وتعليماته يباين الآخر ، ومدة عمله وفترة رخصه هي غير المدة للآخر . ففائدة هذا الجيش الذي يزودهم بالارزاق المختلفة ، والاسلحة المتباينة ، واللبسة المتغيرة ، دون نسيان أي منها ولا التباس ، ولا حيرة ، لهو قائه ذو خوارق بلا ريب . وهذا المعسكر العجيب يرينا - بداهة - ذلك القائد الخارق ، بل يحبّه الينا مع كل تقدير واعجاب ؛ كذلك معسكر الأرض ، ففي كل ربيع يجنّد - مجدداً - جيشاً سبحانياً عظيماً مكوناً من

أربعمائة ألف نوع من شعوب النباتات وأمم الحيوانات ، ويمنح لكل نوع
ألبسته وأرزاقه واسلحته وتدريبه ورخصه الخاصة به ، من لدن قائده
عظيم واحد أحد جلّ وعلا ، دون نسيان لأحد ، ولا اختلاط ، ولا تحير ،
وفي منتهى الكمال وغاية الانتظام ٠٠ فهذا المعسكر الشاسع الواسع للربيع
الممتد على سطح الأرض يُري حاكم الأرض - حسب العلوم العسكرية -
وربّتها ، ومدبرها ، وقائدها الأقدس الاجل ، ويحبّه سبحانه ، بدرجة
كمال ، ومدى عظمتة ، قياساً الى ذلك المعسكر المذكور ، بل يعرفه
سبحانه لنا بالتحميد والتقديس والتسبيح ٠

وكما ان ملايين المصاييح الكهربائية في مدينة عظيمة تسير فيها
وتتجول في جميع ارجائها دون نفاذ للوقود ، ولا إنقطاع ؛ تُري - باعجاب
وتقدير - أن هناك مهندساً حاذقاً ، وكهربائياً بارعاً لمصنع الكهرباء ،
ولتلك المصاييح ٠ كذلك مدينة العالم هذا ، ومصاييح النجوم المتدلية من
سقف قصر هذه الأرض التي هي اكبر من الكرة الأرضية نفسها بألوف
المرات - حسب قول علماء الفلك - فانها تسير بسرعة فائقة هي أسرع من
انطلاق القذيفة بسبعين مرة ، دون ان تخل بنظامها ، او تتصادم مع بعضها
مطلقاً ، ولا تنطفئ ، ولا ينفد وقودها - وفق ما تقرأونه في علم الفلك -
فشمسنا مثلاً - وهي اكبر بمليون مرة من كرتنا الأرضية ، وأسناً منها
بمليون سنة كذلك ، ما هي الامصباح دائم ٠ وموقد مستمر لدار ضيافة
الدنيا ٠ فلأجل إدّامة إتقادها واشتعالها وتسجيرها كل يوم يلزم وقوداً
بقدر بحار الأرض ، وفحماً بقدر جبالها ، وخطباً بقدر حجم الأرض ، ولكن
الذي يشعلها - ويشعل جميع النجوم الاخرى أمثالها - دون وقود ولا فحم
ولا زيت ودون انقطاع ويسيرها جميعاً معاً دون اصطدام انما هي قدرة
لا نهاية لها وسلطنة عظيمة لا حدود لها ، فهذا الكون يشير اذن باصابع
من نور الى تلك القدرة غير المتناهية ٠ نعم فكما ان ما في قصر هذا الكون
من مصاييح مضيئة ، وقناديل متدلية هي اعظم مما في المدينة العظيمة واكبر
منها وان اذارتها وانتظامها هما في منتهى الكمال والاتقان ، مما تبين بوضوح

- وفق مقاييس علم الكهرباء الذي قرأتموه أو ستقرأونه - سلطان هذا المعرض العظيم والمهرجان الكبير وتعرف منوره ومدبره ، وصانعه ، بشهادة هذه النجوم المتلألئة ، وتحببه الى الجميع بالتحميد والتسبيح والتقديس ويسوقهم الى عبادته سبحانه •

وكما لو كان هناك كتاب ، كتب في كل سطر منه كتاب بخط دقيق ، وكتب في كل كلمة من كلماته سورة قرآنية ، وكانت جميع مسائله ذات مغزى ومعنى عميق ، وكلها يؤيد بعضها البعض ، فهذا الكتاب العجيب يبين بلا شك مهارة كاتبه الفائقة ، وقدرة مؤلفه الكاملة • أي أن مثل هذا الكتاب يعرف كاتبه ومصنّفه بوضوح النهار ، مع بيان كماله وقدرته مثيراً الإعجاب والتقدير عند الناظرين اليه بحيث لا يملكون الا ترديد : ما شاء الله ! من كلمات الاستحسان والإعجاب ! كذلك هذا الكتاب الكبير للكون الذي يكتب في صحيفة واحدة منه ، وهي سطح الارض ويكتب في ملزمة واحدة منه - وهي الربيع - ثلثمائة ألف نوع من الكتب المختلفة وهي طوائف الحيوانات وأجناس النباتات ، التي كل منها بمثابة كتاب ••• يكتب كل ذلك معاً ومتداخلة بعضها ببعض دون اختلاط ، ولا خطأ ، ولا نسيان ، وفي منتهى الانتظام والكمال بل يكتب في كلمة منه - كالشجرة - قصيدة كاملة رائعة ، وفي نقطة منه - كالبذرة - فهرس كتاب كامل • فكما ان هذا مشاهد أماننا ، ويرينا بالتأكيد ان وراءه قلم سيّال يعمل ، فلکم ان تقدروا مدى دلالة كتاب الكون الكبير العظيم الذي في كل كلمة منه معاني جمة وحكم شتى ، ومدى دلالة هذا القرآن الاكبر المجسّم وهو العالم الى باريه سبحانه والى كاتبه جلّ وعلا ، قياساً الى ذلك الكتاب المذكور في المثال • وذلك بمقتضى ما تقرأونه من علم حكمة الاشياء او فن القراءة والكتابة ، واخذ بمقياس اكبر ، وبالنظرة الواسعة الى هذا الكون الكبير • بل تفهمون مدى تعريفه للخالق العظيم بـ « الله اكبر » ومدى تعليمه لنا التقديس بـ « سبحانه الله » فيحبّبه سبحانه الينا بثناء « الحمد لله » •

وهكذا فان كن علم من العلوم العديدة جداً ، يدل على خالق الكون
ذي الجلال - قياساً على ما سبق - ويعرفه لنا سبحانه باسمائه الحسنی ،
ويعلمه إيانا بصفاته الجليلة وكمالاته • وذلك بما يملك من مقاييس
واسعة ، ومرايا خاصة ، وعيون حادة باصرة • ونظرات ذات عبرة •
قلت لأولئك الطلبة الشباب : ان حكمة تكرار القرآن الكريم من
« خلق السموات والأرض » و « رب السموات والأرض » هي لأجل تدريس
هذه الحقيقة المذكورة ، وتلقين هذا البرهان الباهر للتوحيد ، ولأجل
تعريفنا بخالقنا العظيم سبحانه • فقالوا : شكراً لربنا الخالق بغير حد ،
على هذا الدرس الذي هو الحقيقة السامية عينها ، فجزاك الله خير الجزاء
ورضى الله عنك •

قلت : ان الانسان ماكنة حيوية ، يتألم بآلاف الانواع من الآلام ،
ويتلذذ بآلاف الأنواع من اللذائذ ، ومع أنه في منتهى العجز ، فان له من
الأعداء ما لا يجد سواء الماديين أو المعنويين ، ومع أنه في غاية الفقر فان له
رغبات باطنة وظاهرة لا تحصر ، فهو مخلوق مسكين يتجرع آلام صفعات
الزوال والفراق باستمرار ••• فرغم كل هذا ، فانه يجد بانتسابه الى
السلطان ذي الجلال - بالايان والعبودية - مستنداً قوياً ، ومرتكزاً عظيماً
يحتج اليه في دفع أعدائه كافة ، ويجد كذلك مدار استمداد يستغيث به
لقضاء حاجاته وتلبية رغباته وآماله كافة ، فكما ينتسب كل الى سيده
 ويفخر بشرف انتسابه اليه ، ويعتز بمكانة منزلته لديه ، كذلك فان
انتساب الانسان بالايان ، الى القدير الذي لا نهاية لقدرته ، والى السلطان
الرحيم ذي الرحمة الواسعة ، ودخوله في عبوديته ، وخدمته سبحانه ،
بالطاعة والشكران ، محولاً الأجل والموت من الاعداء الأبدي الى تذكرة
مرور ، ورخصة الى العالم الباقي • فلكم ان تقدروا كم يكون - هذا
الانسان - متلذذاً بحلاوة العبودية بين يدي سيده وممتناً بالايان الذي
يجده في قلبه ، وسعيداً بأنوار الاسلام ، ومفتخراً بسيده الرب الرحيم
شاكراً له نعمة الايمان والاسلام •

إذا قلت (١) : لما كان القرآن الكريم نزل لأجل الانسان ، فلم
لا يصرّح بما هو المهم في نظره من خوارق المدنية الحاضرة ، وانما يكفي
برمز مستتر ، وإيماء خفي ، وإشارة خفيفة ، وتنبيه ضعيف فحسب ؟
فالجواب :

ان خوارق المدنية البشرية لا تستحق أكثر من هذا القدر . إذ أن
الوظيفة الأساس للقرآن الكريم هي تعليم (شؤون الربوبية وكمالاتها) ،
(ووظائف اليهودية وأحوالها) .

لذا فإن حق تلك الخوارق البشرية وحصتها من تلك الدائرتين
لا ينال إلا مجرد رمز ضعيف وإشارة خفية . . . فإن ادّعت حقها وطالبتها
من دائرة الربوبية ، فعندها لن تحصل على حظها إلا بحق ضئيل جداً .
فمثلاً : إذا طالبت الطائرة البشرية (٢) القرآن الكريم قائلة :

— اعطني حقاً للكلام ، وموقعاً بين آياتك

فلا بد أن طائرات « الربوبية » التي هي الكواكب السيّارة والارض
والقمر ستقول بلسان القرآن الكريم :-

— انك تستطيعين أن تأخذي مكانك هنا ولكن بمقدار جرمك لا أكثر !
وإذا أرادت الغواصة البشرية موقعاً لنفسها بين الآيات الكريمة
ستتصدى لها غواصات تلك الطائرة ، التي هي الأرض السابحة
في محيط الهواء ، والنجوم العائمة في بحر الاثير . . . قائلة :

— ان مكانك بيننا ضئيل جداً لا يكاد يرى ؟

وإذا أرادت الكهرباء أن تدخل حرم الآيات بمصابيحها اللامعة أمثال
النجوم ، فإن مصابيح تلك الطائرة التي هي : الشمس والشمس
والانجم المزيّنة لوجه السماء ، سترد عليها قائلة :

(١) من المقام الثاني للكلمة العشرين / م .

(٢) لقد انساق القلم دون إرادتي في هذا الموضوع الجاد الى هذا الحوار
اللطيف فتركته وشأنه ، على أمل ألا يخل لطافة الأسلوب بجديّة
الموضوع .

— انك تستطيعين أن تدخلين معنا في البحث والبيان بمقدار ما تملكين من ضوء !! • وإذا طالبت الخوارق الحضارية - بلسان صناعاتها الدقيقة - حقوقها ، وازادت لها مقاماً بين الآيات •• عندها ستصرخ ذبابة واحدة بوجهها قائلة :

— اسكتوا •• فليس لكم الحق ، ولو بمقدار أحد جناحي هذين ! ولئن اجتمع كل ما فيكم من المصنوعات والاختراعات - التي اكتشفت إكتساباً بارادة الانسان الجزئية ، مع جميع الآلات الدقيقة لديكم ، فلن تكون أعجب بمقدار ما في جسمي الصغير جداً من لطائف الاجهزة ودقائق الصنعة • وان هذه الآلة الكريمة ستبهتكم جميعاً ••• [ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له • وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب] • وإذا ذهبت تلك الخوارق الى (دائرة العبودية) وطالبت منها حقها ، فلا بد انهما ستلتقى منها هذا الجواب !

— ان علاقتكم أنتم معنا واهية وقليلة جداً ، فلا يمكن اذن أن تدخلوا دائرتنا بسهولة، لأن منهجنا هو: ان الدنيا دار ضيافة • وان الانسان ضيف يلث فيها قليلا ، وله وظائف جمّة ، وهو مكلف لتحضير وتجهيز ما يحتاجه لحياته الابدية الخالدة في هذا العمر القصير ، ••• لذلك يجب عليه ان يقدم ما هو الأهم والألزم •

إلا أننا نرى - على اعتبار الاغلبية - صور عبادة الدنيا المتقاربة الزائلة تبدو عليكم ، وكأنكم اتخذتم هذه الدنيا الفانية - تحت استار الغفلة والدهر - داراً للبقاء ومستقراً للخلود • لذا فان حظكم من دائرة المبودية المؤسسة على هدى الحق ، و التفكير في آثار الآخرة ، قليل جداً •

ولكن •• ان كان فيكم - أو من ورائكم - من الصناعات المهرة والمخترعين ، الملهمين - وهم قلة - وكانوا يقومون بأعمالهم - مخلصين - لأجل

منافع عباد الله - وهي عبادة ثمينة - ويبدلون جهدهم للصالح العام وراحتهم ورفق الحياة الاجتماعية وكمالها ، فان تلك الرموز والارشادات القرآنية كافية بلا ريب لأولئك الذوات المرهفي الاحساس. ووافية لتقدير مهاراتهم وتشويقهم الى السعي والاجتهاد . ولعلك تقول :

— لم تبق لدي الآن - بعد هذا التحقيق - شبهة ، فقد ثبت عندي بيقين ، وصدقت ، أن القرآن الكريم فيه جميع ما يلزم السعادة الدنيوية والاخروية كل حسب قيمته وأهميته ، فهناك رمز واشارة لخوارق المدنية الحاضرة بل الى أبعد منها من الحقائق الاخرى . ولكن لِمَ لا يذكر القرآن الكريم تلك الخوارق بصراحة تامة تجبر الكفرة العنيدون على التصديق والايان. وتطمئن قلوبنا فتستريح؟ .

الجواب :

ان الدين امتحان ، وان التكاليف الالهية تجربة واختبار من أجل أن تتسابق الارواح العالية والارواح السافلة ، وتميزا بعضها عن بعض في حلبة السباق .

نعم أنه مثلما يختبر المعدن بالنار ليطهر الماس من النجم والذهب من التراب ؛ كذلك فان التكاليف الالهية في دار الامتحان هذه . . ابتلاء وتجربة وسوق للمسابقة حتى تتميز الجواهر النفيسة بحدن الفطرة من المعادن الخسيسة . فما دام القرآن قد نزل - في دار الابتلاء هذه - بصورة اختبار للانسان وليتم تكامله في ميدان المسابقة ، فلا بد انه سيشير - اشارة فحسب - الى هذه الامور الدنيوية الغيبية التي ستتوضح في المستقبل للجميع ، فاتحاً للعقل باباً بمقدار اقامة حجته . وإلا فافو ذكرها القرآن الكريم صراحة ، كان مما يخل بحكمة التكليف فتصبح بديهية مثل : كتابة (لا إله إلا الله) واضحا بالنجوم على وجه السماء والذي يجعل الناس - أرادوا أم لم يريدوا - عندئذ مرغمين على التصديق . ومن ثم فما كانت

مسابقة ولا اختبار اذن ولا تمييز ، فحينئذٍ تتساوى الارواح السافلة التي هي كالفحم مع التي هي كناس (١) .

والخلاصة :

ان القرآن العظيم ، حكيمٌ ، يعطي لكل شيء قدره ، حسب مقامه ، ويرى القرآن من ثمرات الغيب : التقدم الحضاري البشري قبل الف وثلاثمائة سنة ، المستترة في ظلمات المستقبل ، أفضل وأوضح مما نراها نحن - وسنراها - لذا فالقرآن كلام من ينظر الى كل الازمنة بما فيها من الامور والاشياء في آن واحد ٠٠٠ فتلك لمعة من الاعجاز القرآني ، تلمع في وجه معجزات الانبياء .

اللهم فهمنا اسرار القرآن ووفقنا لخدمته في كل آن وزمان .

(١) فكان أن ظهر ابو جهل اللعين مع ابي بكر الصديق رضى الله عنه في مستوى واحد . ! ولضاع التكليف .

[المكتوب السادس والثشرون - المبحث الرابع - المسألة الثامنة]

سؤال وجواب

[حاشية المثال الثالث من النقطة الثالثة للسبب الخامس من الاسباب
المانعة للاجتهاد في الوقت الحاضر من الكلمة السابعة والعشرين]
سؤال مهم : يقول بعض اهل العلم والتحقيق :

لما كان كل من الالفاظ القرآنية ، والاذكار الماثورة ، والتسبيحات
الواردة ، تنور شتى جوانب اللطائف المعنوية للانسان وتغذيه روحيا ، اذن
الا يكون من الافضل أن يصوغ كل قوم تلك الالفاظ وفق لسانهم الخاص
حتى تفهم معانيها ؟ اذ الالفاظ وحدها لا تفي بالغرض المطلوب وان هي في
حقيقتها الا البسة وقالب للمعاني ؟!

الجواب :

ان لفظ الكلمات القرآنية ، والتسبيحات النبوية ، ليس لباسا جامدا
يقبل التبديل والتغيير وانما مثله مثل الجلد الحي للجسد ، بل انها أصبحت
فعلا جلدًا حيا بمرور الزمن ، ولا جدال في ان تبديل الجلد وتغييره لما
يضر الجسم .

ثم ان تلك الكلمات المباركات في الصلاة ، والذكر ، والاذان ، أصبحت
(اسماً) و (علماً) لمعانيها العرفية والشرعية ، ولذلك لا يمكن تبديل
الاسم والعلم .

ولقد توصلت الى هذه الحقيقة ، بعد التأمل والامعان لحالة مرت
علّي ، وهي :

عندما كنت في يوم عرفة اقرأ سورة الاخلاص مائة مرة مكررا اياها
باستمرار لاحظت :

ان قسماً من حواسي الروحية اللطيفة ، بعدما أخذت غذاها بال تكرار
قد ملّت وتوقفت ؛ اذ ان قوة التفكير فيّ قد توجهت الى المعنى ، فأخذت
حظها ، ومن ثم توقفت وملّت . وان القلب الذي يتذوق المعاني الروحية
ويدركها ، هو الآخر قد سكت ، بعدما أخذ نصيبه من التكرار .

بينما بالمواظبة والتكرار المستمر على القراءة رأيت ان هناك قسماً
من اللطائف في الكيان الانساني لا يمل بسرعة ، فلا تضره الغفلة التي تضر
قوة التفكير ، بل أنه يستمر ويدوم بحيث لا يدع حاجة الى التدقيق
والتفكر في المعنى ، اذ يكفيه المعنى العرفي الذي هو اسم وعلم . ويكفيه
المعنى الاجمالي لتلك الالفاظ الغنية المشبعة ، بل ربما يورث سامة ومللا
حينما يبدأ التفكير بالمعنى ، ذلك لان تلك اللطائف لا تحتاج الى تعلم وتفهم
بقدر ما هي بحاجة الى التذكر والتوجيه والتشويق .

لذا فان اللفظ الذي هو أشبه بالجلد يكفى في اداء وظيفة المعنى ، وخاصة
ان تلك الالفاظ العربية هي مبعث فيض دائم ، اذ أنها تذكر بالكلام الالهي
والتكلم الرباني .

فهذه الحالة التي جربتها بنفسي تبين لنا :

ان التعبير بأي لغة كانت غير اللغة العربية عن حقائق الاذان
وتسبيحات الصلاة ، وسورة الاخلاص وال فاتحة التي تتكرر دائماً ، ضار
جداً . ذلك لان :

اللطائف الدائمة تبقى محرومة من نصيبها الدائم بعد أن تفقد المنابع
الحقيقية للالفاظ الالهية والنبوية . وانه يضيع على الاقل عشر حسنات
لكل حرف .

ولعدم دوام الطمأنينة والحضور القلبي لكل واحد في الصلاة ، فان
التعابير البشرية المترجمة - عند الغفلة - تبعث ظلمتها في الروح .

نعم ، فكما قال الامام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه أن :

(لا إله إلا الله) اسم وعلم للتوحيد . كذلك نقول :

ان الاكثرية المطلقة لكلمات التسيحيات والاذكار وخاصة للمعات
الاذان والصلاة والذكر ، أصبحت بمثابة الاسم والعلم ، فتتنظر الى معانيها
العرفية الشرعية أكثر من النظر الى معانيها اللغوية ، فلا يمكن - شرعا -
تبديلها مطلقا .

أما معانيها التي لابد أن يفهمها كل مؤمن ، فان أي شخص عامي
يمكنه أن يفهم ويتعلم مجمل معانيها في أقصر وقت . ولكن كيف يعذر ذلك
المسلم الذي يقضي عمره مالتاً فكره وعقله بما لا يعنيه من الامور ولا يصرف
جزءاً ضئيلاً من وقته لفهم تلك المعاني التي هي مفاتيح حياته الابدية
وسعادته الدائمة . بل كيف يعتبر من المسلمين وكيف يقال عنه انه
انسان عاقل !!

فهل من العقل في شيء ان تفسد تلك الالفاظ التي هي مستودع منابع
تلك الانوار لاجل تقاعس هؤلاء الكسالى !!؟

ثم انه عندما يقول أي مؤمن ، بأي لغة يتكلم : « سبحان الله » فانه
يعلم أنه يقدر ربه جل وعلا ٠٠٠ ألا يكفي هذا القدر ؟! بينما اذا حصر
اهتمامه بالمعنى المجرد ، بلسانه الخاص ، فانه لا يتعلم الا حسب تفكيره
وعقله ، ويبقى محروما من ذلك (اللفظ) الذي هو منبع ومدار لكثير من
الانوار والفيوضات ، بما يفوق مئات المرات حظوظ العقل والفكر مع ما فيه
من المعنى الإجمالي الذي سرى فيه وامتزج معه .

نعم ، ان تلك الالفاظ العربية لها أهميتها وقداستها وأنوارها
وفيوضاتها ذلك لانها كلام الهي .
ومجمل القول :

انه لا يمكن أن يقوم مقام الالفاظ القرآنية التي هي محافظ منابع
للضروريات الدينية أي لفظ آخر ، ولا يمكن لأي لفظ آخر أن يحل محلها
قطعا ، ولا أن يؤدي الغرض منها بقديستها ، وسموها ، ودوامها ، وان
أدى مؤقتا جزءاً ضئيلاً منها . أما الامور الدينية من غير الضروريات فليس

هناك حاجة الى تبديل الفاظها ايضاً لأن تلك الحاجة تندفع بالمواظبة على النصيحة والارشاد والوعظ .

والنتيجة :

ان شمولية اللغة العربية وسعتها ، والبيان المعجز في الالفاظ القرآنية ، لتحولان تلك الالفاظ عن الترجمة ، ولذلك فلا يمكن ترجمتها قطعاً ، بل انه محال . ومن كان يساوره الشك من هذا فليراجع (الكلمة الخامسة والعشرين) (١) في المعجزات القرآنية ليرى منزلة الآية الكريمة بأعجازها وتشعبها وشمولها وجمالها ومعناها الرفيع واين منها « الترجمة » التي هي معنى مبتور بل ناقص وقاصر .

(١) رسالة رائعة جليلة تبين اعجاز القرآن باربعين وجهاً وتظهر اعجازه الى طبقات البشرية كافة م/٠ .

الفهرس

الصفحة	المصدر	الموضوع
٣	٠٠٠٠	تقديم الكتاب بنبرة عن حياة المؤلف
٥		● من رياض الايمان ●
٧	سوزلر « الكلمات »	بسم الله الرحمن الرحيم
١٢	امير داغ لاحقه سي	جددوا ايمانكم
١٦	سوزلر	الايمان هو المفتاح
٢٦	لمعه لر « اللغات »	الحمد لله على نعمة الايمان
٣٦	شعاعلر « الشعاعات »	اركان الايمان حقيقة واحدة لا تتجزأ
٤٥		● من جنان التوحيد ●
٤٧	مكتوبات « المكتوبات »	بشائر التوحيد
٥٩	سوزلر	لا شريك له
٧٤	لمعه لر	نور التوحيد
٨٩	سوزلر	نافذة الى التوحيد
٩٣		● من بستان الآخرة ●
٩٥	سوزلر	درس للعبارة
٩٨	سوزلر	النشأة الاخرى
١٠٣	سوزلر	عبودية محمد صلى الله عليه وسلم دليل على الآخرة سوزلر
١٠٩	سوزلر	باب الى حقيقة الحشر
١١٤	سوزلر	آمنة مشهودة عن الحشر

الموضوع	المصدر	الصفحة
من ثمرات الايمان بالآخرة	سوزلر	١١٧
اعظم قضية للبشرية	شعاعلر	١٢٥
● من رياحين العبادة ●	/	١٣١
شوقاً الى الصلاة	سوزلر	١٣٣
حكمة اوقات الصلاة	سوزلر	١٤١
اياك نعبد	« سكة التصديق النيبى »	١٥١
حكمة الاعداد غير المتناهية في الازكار	سوزلر	١٥٦
الدعاء مفتاح خزينة الرحمة	سوزلر	١٦٤
● باقة من الموازين ●		١٦٩
كيف السبيل الى حب الله	سوزلر	١٧١
من دسائس الشيطان	لمعه لر	١٧٦
الوسوسة وعلاجها	سوزلر	١٨٠
التجارة الربحية	سوزلر	١٨٩
سر الوجود	سوزلر	١٩٥
حقيقة الدنيا	سوزلر	٢٠١
الدنيا بين نظرة المؤمن والكافر	سوزلر	٢٠٦
نظرة ايمانية الى سر الموت	مكتوبات	٢١٠
رحيل الشباب	لمعه لر	٢١٣
لولا الشيوخ الركع	مكتوبات	٢١٩
لغة العلوم	شعاعلر	٢٢٣
سؤال وجواب	مكتوبات	٢٣٢

تم طبع الكتاب في شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٠٣ هـ

رقم الايداع في المكتبة الوطنية في بغداد ٨٣٤ لسنة ١٩٨٣

تم طبع الكتاب في ١٠ تموز ١٩٨٣ بعدد ٣٠٠٠

على الرغم مما يمتاز به
اسلوب «النورسي» من بلاغة
رشيقة ، فان علميته غالبية ؛
فعباراته موزونة بموازين
الادلة والمنطق ، وهو اسلوب
اشبه ما يكون بالرياض
اليانعة ، يقصر بعض اغصانها
فيسهل على كل متناول ،
ويطاول بعض فروعها فيكده
الفارع المتطاول ؛ لذا لا يبقى
القارئ مطالعا له فحسب ،
بل ينتقل - بتكرار القراءة -
الى الدراسة والمحاكمة العقلية ،
فالتفاعل مع المضمون ،
فالعيش في اجواء ايمانية زكية .